جامعة دمياط

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

الأستاذ الدكتور

أحمد مصطفى أبو الخير

الخبير الدولي في اللغة العربية

دراسات تطبيقية في النقد الأدبي والأدب

١٤٣٨ هـ

٢٠١٧ م

Abu_elkher@yahoo.com

٠١٢٢٧٢٠٢٢٨٦

إهـــــداء

إلى أخي الكريم الذي – كَمْ – تمنيت أن أعمل معه في القرب متلئباً معه بأخلاقه العالية العاقلة، ولكن شاء الله أن تلتقي القلوب والأفهام حذر أن يكون قرب مع اختلاف واحزئلال، مع خالص التحية لصاحبك الذي تجده دوماً قد أبق إلى... المشحون، مع رغبة شديدة عن عد الأموال أو الانشغال بها.

المؤلف

أحمد مصطفى أبو الخير

ج



هذا الكتاب

سياحة من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية في تحليل مصطلحات السرد، ثم دراسة حول المتن الحكائي والمبنى الحكائي في مسرحيتي باكثير عن مصر القديمة.

ثم من هاتين المسرحيتين إلى الملحمة الإسلامية الكبرى، حيث درسنا واقعة اغتيال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– الذي كان مؤامرة كبرى مروعة موسعة، ليس حادثاً فردياً من شاب متطرف موتور.

هذا الكتاب إذن – كما يصرح مؤلفه– سياحة من الدرس اللغوي إلى نقد الأدب إلى نقد التاريخ تطرقاً تطرقاً إلى الواقع الحديث، بل والمعاصر، والله على ما أقول شاهد وشهيد.

المؤلف

أحمد مصطفى أبو الخير



أبرز مصطلحات السرد في العربية
وفي اللغات الأوربية

في مؤتمر السرد هذا العام – مارس ٢٠١٥- بمدينة الإسماعيلية، جامعة قناة السويس ذكر الصديق العزيز د.عبد الرحيم الكردي أن في العربية مصطلحاً واحداً هو (السرد) في حين نجد مصطلحين انجليزيين اثنين في مقابل ذياك المصطلح العربي، هما: Narration و Narratology.

وعلى الفور تلقفت الكرة من صديقي قائلاً له: (اترك لي هذا الأمر) أي التحقيق والتحقق والوصول إلى الرأي الصحيح الحقيقي، ولم يسع الصديق إلا أن قال بلساني الحال وكذا المقال: (حبا وكرامة).

نقول هذا ونكتب هذا برغم – برغم ماذا؟ - برغم وجود معاجم لعلم السرد، عربية التصنيف هيه، أو هيه عن الإنجليزية مترجمة، هيه:

١- معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، بيروت ٢٠٠٢ م، وقد أعطى عنوانا إنجليزيا لمعجمه هو A Dictionary of Narratology .

٢- معجم السرديات: وهو ترجمة لمعجم جيرالد برنس:

Dictionry of Narratology

نقله إلى العربية عابد خزندار بعنوان:المصطلح السردي، مراجعة وتقديم محمد بربي، القاهرة ٢٠٠٣م.

٣- وترجم ذات المعجم الإنجليزي بعنوان: (قاموس السرديات) القاهرة ٢٠٠٣م.

واعجب إن كنت من العاجبين أن ترجمة كتاب بعينه يتم مرتين، في عام واحد، وفي مدينة عربية واحدة.

٤- معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، تونس ٢٠١٠ م، بل إن هذا القاضي نفسه عينه يشكو بمرارة: (...فاختلط الحابل بالنابل واضطربت المصطلحات، وغمضت المفاهيم، وكثر حاطب الليل، وندر من يمكن أن يعتبر قدوة في الميدان، يعتد به، ويحتج بأقواله) ص ١٠ من مقدمة معجم السرديات.

ومن ثم سوف نسبح في معاجم اللغتين، العربية والإنجليزية بحثاً عن جذور هذا المصطلح (السرد).

في البدء نذكر منهجنا في التعامل مع ألفاظ العربية، أو به نذكر حتى لا يعاب من أحد، فلا ينكر، ذياك المنهج يعتمد على البدء بمعرفة خارطة اللفظ في القرآن الكريم ثم التفسير ومصادره، ثم كتب الحديث الشريف، وأخيراً نختم بمعاجم العربية، وهكذا سنتعامل مع لفظة السرد.

أولاً- خريطة اللفيظة في القرآن الكريم كلمة (السرد) وردت في قرآن ربى مرة واحدة فقط،في سورة سبأ[١]، يقول العليم الحكيم:

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

صدق الله العلي العظيم

---

[١] آية ١٠، ١١ راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، مادة (س ر د).

ومعنى السرد في الآية الثَّقب – مصدر ثَقَب – وهو من باب ثَقَب يثقُب ثقبا، كما نقول: نصر ينصر نصرا، ومعنى الفعل ثقَب (خرق خرقا صغيرا) كما جاء في المعجم الكبير.[٢]

وأمره تعالى لنبيه داود – عليه الصلاة والتسليمات – وقدر السرد، أي لا تجعل المسمار غليظا والثقب دقيقا فيفصم – أوينفصم – الحلق بفتح الحاء واللام – جمع حلقة– ولا تجعل المسمار دقيقا والثقب واسعا فيتقلقل، أو ينخلع أو يتقصف، بل اجعل (الثقب) على القصد والقدر المطلوب والحاجة.

وجاء في تفسير ابن كثير[٣]: وقدر في السرد، هذا إرشاد من الله لداود – عليه الصلاة والسلام – في تعليمه صنعة الدروع، و عن ابن عباس: السرد حلَق الحديد.

وعليه فالمعنى الذي أفهمه أن (السرد) أو تقدير السرد، الذي أمر به داود – عليه السلام – هو إحكام الربط والترابط بين حلقات – حلَق – الدرع، إذ (السابغات) هي الدروع، ثم انتقل المعنى من إحكام للدروع بجودة الضبط والربط والوصل بين حلقها فيما بعد إلى جودة الربط وإحكامه بين الكليمات والجمل والنصوص المختلفات، أو بين أجزاء هاتيك النصوص من الكلام أو من المكتوبات.

---

[٢] مادة: (ث ق ب) ٣ / ٢٨٥

[٣] طبعة القاهرة ٢٠١٠ ، ص ٢٤٣٣.

والآن هذا ما وجدناه في القرآن الكريم حول مادة (س ر د) وننحدر سراعا سراعا إلى هذى المادة في كتب الحديث النبوي، فنقول متوكلين على الخلاق الرزاق:

ثانياً – لفظة السرد في الحديث الشريف: بحثت فيما تحت يدي من مصادر الحديث النبوي الشريف[1] التي وقعت تحت يدي، فوجدت الآتي:

١-إن مادة (س ر د) في أي اشتقاق من اشتقاقاتها، فعلا، أو اسما... إلخ، كل هذا ما وقع في كلامه صلى الله عليه وآله.

٢- لكن هذى المادة جاءت على ألسنة بعض الصحابة- رضي الله عنهم -هم حمزة بن عمرو الأسلمي (ت٦١هـ) والسيدة عائشة زوجه – صلى الله عليه وآله – فقد روى أن حمزة سأل النبي عن الصوم في السفر قائلاً:

يا رسول الله: إني رجل أسرد الصوم، أفأصوم

في السفر؟ قال: صم إن شئت، وأفطر إن شئت... روته عائشة.[٢]

وفى سنن أبى داود[٣] جلس أبو هريرة جَنْب حجرة السيدة عائشة وهى تصلى، فجعل يقول: (اسمعي يا ربة الحجرة) مرتين، فلما قضت صلاتها قالت: ألا تعجب إلى هذا وحديثه ، وإن كان رسول الله ليحدث الحديث لو شاء العادّ أن يحصيه أحصاه.

---

[١] راجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، مادة (س ر د) طبعة ليدن الهولندية ١٩٦٩ م، ٢/٤٥١، ٤٥٢

[٢] صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الصوم في السفر والإفطار، حديث ١١٧٥٢

[٣] كتاب العلم، باب سرد الحديث، حديث رقم ٣٦٥٤

وفى رواية أخرى أن عائشة قالت: ألا يعجبك أبو هريرة ، جاء إلى جانب حجرتي بحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وآله – يسمعني ذلك، وكنت أسبح ، فقام قبل أن أقضى سُبْحتي، ولو أدركته لرددت عليه:

إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يكن يسرد الحديث[٤]

مثل سردكم

ويبدو أن أبا هريرة كان يسرع في كلامه، على عكس ما كان عليه حديثه – صلى الله عليه وآله – إذا حدث حديثا أعاده ثلاث مرات.[٥]

٣- ومن الملاحظ هنا أيضاً أن معنى (السرد) توزع بين معنين، هما:

أ-طريقة الحديث والكلام، أو قل سرعته، المتأنية المعادة الواضحة، بل شديدة الوضوح، حتى إن السامع إذا أراد إن يعيد ما سمعه لتمكن من هذا بسهولة شديدة .

ويبدو أن أبا هريرة كان يسرع في كلامه، ولا يتأنى كما كان شان حديثه – صلى الله عليه وآله – على عكس حديث غيره، كما وصفت السيدة عائشة حديث أبى هريرة مثلا، والذي يبدو أنه كان حدرا سريعا.

وقد حاولت الرجوع إلى مصادر أخرى للحديث غير هذا المعجم، لكن ما عثرت على لفظة (السرد) أو أي من مشتقاتها في مظانٍ أخرى، بل حاولت الاستعانة بالشبكة الدولية فلم أعثر على شيء من مادة (س ر د) في كلامه، صلى الله عليه وآله.

---

(٤) السابق، حديث ٣٦٥٥، سنن أبى داود، طبعة القاهرة ١٩٨٨، ٣/ ٣١٩

(٥) السابق

ب- سرد الصوم، أي متابعته وموالاته، كما عبر هذا الصحابي حمزة الأسلمي.

ثالثا- معاجم العربية: والآن، الآن الآن - وليس بعد - ننتقل إلى معاجم لغيتنا العربية، فنختار منها بعيضها:

١-مختار الصحاح: وقد بدأنا بالمختصر من المعاجم، إذ هذا المعجم على وجازته وشدة اختصاره وتركيزه فيه كثير من الخير ومن اللفتات والوقفات على أي حال، ماذا قال الرازي في مختاره في مادة (س ر د)؟ أستطيع منه أقتبس: درع مسرودة ومسردة بالتشديد - أي للراء - وقيل: سردها نسجها، وهو تداخل (الحُلَق) بعضها في بعض، وقيل: السرد الثّقب، و المسرودة المثقوبة، وفلان يسرد الحديث إذا كان جيد السياق له، وسرد الصوم تابعه، وقولهم في الأشهُر الحرم: ثلاثة سَرد،أي متتابعة : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد، وهو رجب.

ثم يلخص الرازي ما سبق: (وسرد الدرع والحديث والصوم كله من باب نَصَر) وهذا يؤشر إلى أن السرد عند الرازي[1] يختص بما يلي:

-الدروع: بإحكام صنعها ومتانتها.

-الحديث: بجودة السياق له، أو إجادة حكيه وصوغه.

-الصوم: بموالاته وتتابعه.

٢-تاج العروس: للزبيدي، حيث انتقلنا من المختار في وجازته وتركيزه إلى أوسع معجم عربي، هذا التاج ولحسن الحظ لم يكثر في الكلام عن السرد، بل

[1] مختار الصحاح، مادة (س ر د) طبعة الحلبي (د. ت.) بالقاهرة.

جاء في كلامه مختصرا مركزا إلى حد كبير في مادة (س ر د) وأستطيع ألخص ما قال الزبيدي في هذى المادة بما يلي:

أ-السرد: بمعنى الخرز: الخرز في الأديم – الجلد – والنعَّل وغيرهما، والسَّراد الخراز ، والخَرْز مسرود و مُسَّرد.

جدير بالذكر أن الرازي يثير عدداً من القضايا، منها أن سرد الَدروع والحديث وتوالى الصيام كله من باب نصر، في حين تجد بعض الأفعال يتغير بابها بتغير المعنى، مثل (نضح) النضح الرش، وبابه ضرب، ونضح البيت رشه... نضحت القِّربة والخابية – وعاء الماء – رشحت وبابه قطع.

أي أن ذات الفعل (نضح) إذا كان بمعنى رشّ فبابه ضرب، فإن كان المعنى رشح فبابه قطع، وهو ما يثير قضية الباب الصرفي، وصلته بمعنى الكلمة، سيما إذا تغير الباب لذات الفعل الواحد، قضية تحتاج إلى دراسة مفصلة.

كما نشير أيضاً إلى أن الرازي منسوب إلى (الري) تلك المدينة التي أصبحت جزءا من طهران العاصمة، جاء في تاج العروس للزبيدي، مادة: (ر ي ي): والنسبة أي إلى (الري) رازي، ألحقوا في النسب زايا على خلاف القياس.

هذى مسألة مهمة، لماذا زادوا هذى الزاى، وفى النسب قضايا مهمة كثيرة بحاجة إلى البحث، مثل شواذ النسب ولماذا شذت؟ وكثير من قضايا الصرف وعلاقته بالمعنى، وكذا قضايا التصغير ومسائله، مثل تصغير الترخيم، بتجريد الكلمة من الزيادة، ثم تصغيرها، كما تصغير (محمود) مثلاً:

محمود ← حمد ← حميد

وسرد خف البعير سردا خصفه بالقِدّ (كالسِّراد بالكسر).

ب-السرد بمعنى الثقب: والسَّرْد الثقب.... تقول: سرد الشيء سردا، وسرّده بتضعيف الراء – وأسرده – بهمزة التعدية – إذا ثقبه.

جـ - السرد: نسج الدروع، وهو تداخل الحَلَق بعضها في بعض، وقوله تعالى (وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ) اجعله على القصد وقدر الحاجة، أي المسمار الذي يربط ويجمع الحلق، فلا يكون الثقب دقيقا والمسمار غليظا، أو العكس، ولا يكون المسمار دقيقا والثقب واسعا... إلخ.

د-السرد جودة سياق الحديث: سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سْردا وتسَّرده، إذا كان جيد السياق.

هـ - السرد متابعة الصوم وموالاته: وسَرد فلان،صار يسرد صومه ويواليه ويتابعه، وفى الحديث أن رجلا قال: يا رسول الله: إني أسرُد الصيام في السفر، فقال: إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر.

وفى هامش تاج العروس [١]: بمناسبة كلمة (تَسَرَّده) أنه جاء (تسرّد) وليس تسرده، في:

- تسرّد الدر تتابع في النظام.
- وتسرد دمعه، كما يتسرد اللؤلؤ.

وفى تاج العروس[٢] أيضاً: وسرد القرآن، تابع قراءته في حدر، أي في قراءة سريعة.

---

[١] ١٨٧/٨، وقد راجعت المثاليين على أساس البلاغة ٤٣٤/١، مادة (س ر د).

[٢] السابق، مادة (س ر د).

٣-المعجم الوسيط: ونختم بمعجم مجمع اللغة العربية في وسيطه، حيث معنى سرد يتوزع بين:

- ثقب
- خرز الجلد [٣]
- نسج الدرع: فك طرف كل حلقتين وسمَّرهما.
- سرد الشيء تابعه وأولاه، ويقال: سرد الحديث، أتى به على ولاء، جيد السياق له، أي للحديث.
- تسرد الدّر وتسرد الدمع (تتابع) وتسرد الماشي تابع خطاه.

المِسْرَد: اللسان.

-السّرْد: بإسكان الراء أو فتحها.[١]

ونخلص من كل ما سبق أن مادة (س ر د) هي مادة أصيلة في عربية بني يعرب، ومن معانيها البارزة سرد الحديث، أي أن يؤتى منه على توالٍ / توالى وتتابع واتصال مع جودة السوق - السياق - لذياك الحديث.

والآن الآن، وقبل أن ننتقل إلى معاجم الإنجليزية نعرج على معجمين من المعاجم المتخصصة، الأول في المصطلحات اللغوية، والثاني في اللغة والأدب:

---

[٣] الفرق بين الثقب والخرز أن الثقب أضيق من فتحة (المخرز) كما نسميه في مصر المخراز، باب الفعلين (ثقب وخرز) نصر.

[١] الوسيط، مادة (س ر د) دار المعارف بالقاهرة، ١/٤٢٦.

١- معجم المصطلحات اللغوية: للدكتور رمزي منير بعلبكي [٢] ، حيث ورد فيه Narrative Sequence وقد ترجمها إلى (تعاقب قصصي) وكتب إلى جوارها (Gramm) أي: قواعد ، ثم شرح هذا بقوله :

Sequence of tenses = تعاقب الصيغ الزمنية - لكننا لم نقرأ في المعجم المذكور شيئا من مادة (سرد)

٢- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: لمجدي وهبة وكامل المهندس [٣]، إذ وجدنا في هذا المعجم هذى المصطلحات مؤنجلة وبالعربية:

- القص Narration
- السرد Narrative
- القصص Narrative fiction
- الأدب القصصي Narrative literature

- وجهة نظر الراوي: Narrator's point of view

وهذا تفصيل ما أجمله المؤلفان:

أ-السرد Narrative: هو المصطلح العام الذي يشمل قص حدث أو أحداث أو خبر أو أخبار، سواء أكان ذلك من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال (انظر: القص).

---

[٢] بيروت ١٩٩٠، راجع ص ٣٢٣.

[٣] بيروت ١٩٨٤، راجع ص ٤٩٨.

ب- القص Narration: استعراض لأحداث ماضية كلاما، وقد يوجد ذلك ضمن سرد طويل كالقصة أو الرواية، أو ضمن حوار المسرحية لتعريف الجمهور بأحداث لم يشهد تمثيلها على خشبة المسرح، مع مراعاة التسلسل الزمني، وأن تأخذ الأحداث بحجز بعض، ويلاحظ أن المسرح الفرنسي الكلاسيكي في القرن السابع عشر كان يعتمد على القص لحوادث العنف كالمعارك والاغتيالات لأن قواعد التأليف المسرحي في ذياك الحين كانت تقضى بعدم تمثيل مناظر العنف على خشبة المسرح.

معنى ما سبق – في رأيي – أن القص يأتي في مقابل الحوار، وحين ينتقل العمل الأدبي إلى خشبة المسرح – أو على الشاشة – فإن القص يأتي عوضاً أو بدلاً من تمثيل الحدث بكل تفاصيله وزواياه.

جـ- القصص:Narrative fiction، وهو من فنون الأدب الغرض منه الترويح عن النفس بما يتضمنه من لهو، وما يحتويه من تثقيف للعقل وتهذيب للخلق بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يك للعرب به عناية حتى آخر الدولة الأموية (٤٠- ١٣٢ هـ) وقبل أن يفكر ابن المقفع (١٤٢ هـ) في تدوين شيء من القصص، فكان ما قام بترجمته هو وغيره من نحو (كليلة ودمنة) نموذجا احتذاه الغرب في وضع قصصهم.

ولم يكتف معجم مجدي وهبة وكامل المهندس[1] بما سبق بل قدما شرحا لكلمة fiction القصص الخيالي بما يلي: الجنس الأدبي الذي يشمل القصص التي تكتب نثرا، وتصور مواقف وأحداثا من صميم خيال مؤلفها أو مؤلفيها – وإن

---

(1) راجع ص ٢٨٩.

كان من الممكن أن تشبه – إلى حد التطابق – مواقف الحياة الواقعية وشخصياتها، وقد ظهر هذا الجنس الأدبي متأخرا في الآداب العالمية مشتقا عن السرد القصصي الخيالي، الذي كان في زمن أرسطو والقدماء، وهو لا يختلف عن الشعر في مفهومه العام أ. هـ.

ولا أدرى لماذا ترجم المعجميان الكلمتين Narrative fiction إلى كلمة واحدة فقط، هي (القصص) في حين ترجما fiction إلى القصص الخيالي، وما أراه هو العكس، نترجم الكلمة بكلمة، فالأخيرة القصص، والكلمتان الأوليان بكلمتي: القصص الخيالي، ولنا عود إلى هذى النقيطة عند الانتقال إلى المعاجم الإنجليزية.

د- الأدب القصصيNarrative literature: هو ذلك الأدب الذي موضوعه قص حوادث، أو مغامرات حقيقية أو خيالية، وقد نشأ في بادئ الأمر نظما، كما في الملاحم القديمة والقصص الشعبي، ثم شاع إنشاؤه نثرا، وخاصة بعد العصور الوسطى الأوروبية في قصص المغامرات التي بدأت تظهر في الآداب الأوروبية منذ أواخر القرن الخامس عشر، وفى الروايات الأدبية التي نشأت أواخر القرن السادس عشر، وأصبحت الفن الغالب على الأدب القصصي منذ أوائل القرن الثامن عشر إلى يومنا هذا [٢].

وقد اتخذ الأدب القصصي عند العرب أحد شكلين منذ القرن الرابع الهجري تقريبا، يمثل أحدهما مجموعة القصص المشتقة من مصادر مختلفة في

---

[٢] ص ٢٠، معجم المصطلحات العربية، والذي نشر عام ١٩٨٤، في بيروت العرب والعروبة.

(ألف ليلة وليلة) في حين يمثل ثانيهما القصص الشعبية التي يمتزج فيها النثر بالنظم، من أمثال (سيرة عنترة) و (الزير سالم) وغير ذلك.

أما الرواية النثرية القصصية بمعناها الحديث فلم تظهر عند العرب إلا أوائل القرن العشرين تحت تأثير الآداب الغربية، ويقال: إن زينب ١٩١٤م للمرحوم الدكتور محمد حسين هيكل هي أول رواية عربية حديثة [٣].

هـ- وجهة نظر الراوي Narrator's point of view: يراد بهذا أحياناً الموقف الفلسفي الذي يتخذه مؤلفُ أثر أدبي، أو نظرته الفكرية والعاطفية إلى الأمور عامة، كما يراد بهذا المصطلح في الرواية أو القصة بصفة خاصة ذلك الوجدان أو العقل الذي تَرْشَح - من خلاله - أحداث القصص حتى يدركها القارئ، فذياك الراوي، أو تيك النظرة التي يستتر بها هي ما نسميه بوجهة نظر الرواية.

وهناك ثلاثة مواقف مختلفة يمكن أن تتخذها وجهة النظر هذه:

- إما أن يحكيها الراوي بأسلوب ضمير المتكلم على أن كل أحداث الرواية وشخصياتها خارجة عن حيز تجاربه المباشرة.

- وإما أن يرويها بوصفه شخصية من شخصيات الحدث، تشترك في حبكة القصص، وتتكلم عن غيرها من الشخصيات.

-وإما أن يَقُصّ الرواية بوصفه رقيبا عليما بكل شيء ويحكى - أي الراوي - كما يظهر ما يكمن في ضمائر الشخصيات - جوانيهم وداخلهم - من فكر ووجدانيات داخلها.[١]

---

[٣] السابق.

انتهى ما قبس عن معجم مصطلحات العربية ويأتي الآن دور الملاحظات والمداخلات التي أسردها، كما يلي:

١-إن المعجم ما ذكر المصطلح Narratolog وما أشار إليه من بعيد أو من القريب.

٢- عبر عن السرد بالمصطلح Narrative وليس Narration ، والتي ترجمها المعجم إلى (القصّ) كما ترجم Narrator إلى الراوي، وكذا Narrative في:

- Narrative fiction
- Narrative literature

ترجم تيك الكليمة إلى (القصص – القصصي) ولم يستخدم (السرد – أو السردي) وقد كان هذا أوفق وأنيق بما اختاره في الأول ، أي Narrative بمعنى السَّرد، و ليس القصصي أو القص.

٣-نشعر أن المعجم المذكور رجع إلى المعاجم الإنجليزية، والتي ستجول في بعضها على أمل تأصيل المصطلحين: Narratology – Narration .

رابعا- المعاجم الإنجليزية: ونبدأ بالمعاجم الإنجليزية العربية، ثم الإنجليزية الإنجليزية، كما يلي:

١-المورد [٢]: جاء في المعجم المذكور عدة مشتقات من المصطلحين المذكورين ما يلي:

---

[١] السابق، ص ٤٣٠.

[٢] البعلبكي (قاموس انجليزي عربي) بيروت ٢٠٠٥، ص ٦٠٤.

-Narrate: (فعل) بمعنى: يقص، يروى، يحكى

-Narrator: (اسم) القاص، الراوية

-Narration: (اسم) القصّ – رواية القصص – قصة – حكاية

-Narrative: (اسم– صفة) قصة – حكاية – سرد الأخبار أو فن سردها – القصص – قصصي

وهنا نلحظ ما يلي:

١-إنه – صاحب المورد – استخدم المصطلح Narrative وليس Narration بمعنى سرد الأخبار أو فن سردها، مع الأخذ في الاعتبار أن المصطلح الإنجليزي الأول هنا هو (اسم وصفة) في نفس الوقت، لكن الأخير هو اسم فقط، أي في اللغة الإنجليزية.

٢-إن المورد ما استخدم المصطلح Narratology ، ولا أتى على ذكره من قريب أومن بعيد.

٣-إن المعجم المذكور استخدم لفظة أخرى غير Narrate ، وهى:

-Relate: (فعل) يروى – يقص

-Related: (صفة) مروى – مسرود

-Relation: (اسم) رواية – قصّ – سرد

وقد رأيت – عزيزي القارئ – أن البعلبكي استخدم المصطلح الأخير مقابلا للمصطلح العربي (سرد) والمصطلح الذي قبله المسرود وكأن هذى المصطلحات الثلاثة مترادفة، أي:

Relation – Narrative – Narration

ونكتفـي بمـا سـبق وننحـدر سـراعا نحـو المعـاجم الإنجليزيـة، أحاديـة الإنجليزية لنبحث عن معنى وجذور المصطلح Narration :

A Modern[1] Dictionary of the English language by Macmillan

في هذا المعجم ميزة مهمة أنه يشير إلى أصل الكلمة الإنجليزية، وهذا شيء محمود وفائدة محمودة، لكن على أي الأحوال نشير أولا إلى مادة الكلمة في ذياك المعجم المذكور، وهى بطبيعة الحال مترجمة إلى العربية:

-Narrate: (فعل) أن يخبر عن (شيء) بالتفصيل

-Narration: (اسم) عملية الإخبار – سرد منتظم لحدث أو مجموعة من الأحداث حقيقية أو خيالية

-Narrative: (صفة) ولكنها (اسم) بمعنى: تاريخ أو قصة

ونلاحظ ما يلي:

١-إن المعجم استخدم المصطلح Narration بمعنى السرد، وليس Narrative التي فسرها بكلمتي (تاريخ أو قصة) .

٢-إن المصطلح Narratology ما ظهر – أو ما ظهر له رائحة – في معجم ماكميلان.

وفى النهاية ما أصل هذه الكلمة الإنجليزية في رأى صاحب المعجم؟ إن الرجل يشير إلى أنها مأخوذة من الفرنسية والفرنسية أخذتها من اللاتينية، أو من الكلمة اللاتينية Narro ومعناها: أنا أحكى.

---

(١) P.455

لا شك أن الإنجليزية Narrate مأخوذة من الفرنسية – أو من الفعل الفرنسي – Narrer ، الفرق بين الفعلين في الفرنسية والإنجليزية هو استخدام اللاحقة الإنجليزية ate...

وفى معجم (المؤشر) وهو قاموس فرنسي [٢] انجليزي فسر الفعل الفرنسي بكلمتين انجليزيتين، هما: To Narrate, relate ، لاحظ أنه استخدم الفعلين المؤنجلين كمترادفين.

ولكن معجما انجليزيا [٣] آخر اتفق مع ماكميلان بأن أصل الكلمة لاتيني فعلا، لكنه ذكر أن أصلها اللاتيني هو Nārrāre وليس Narro ، وإن كان الرجلان اتفقا على أن معنى الأصل اللاتينى هو Relate.

على أي الأحوال إذا كان الأصل Narro فإني أتصور أنها جاءت من الكلمة العربية (نروى) بالكتابة الصوتية وهى في الأصل narwiyu، إذ كل ياء مدية – أو واو مدية في مثل (نرنو – نبكى) هما في الأصل – narnuwu nabkiyu، وعليه فإننا نتصور أن الأصل عربي، ثم لاتيني، كان في العربية كما سبق narwiyu ثم حذفت الأصوات wiy ، فأصبحت الكلمة Naru ، ولكن تم تعويض الكلمة عن العناصر المحذوفة الثلاثة بتضعيف الراء لتصبح الكلمة Narru ، ولكن الضمة العربية الضيقة u تحولت إلى ضمة نصف ضيقة في اللاتينية، أي [o] بدل: [u] العربية، هذا كله أمر وارد جدا، وتصور مقبول معقول.

---

[٢] نشر فى بيروت عن دار الراتب (بدون تاريخ) راجع ص ٧٤٩.

[٣] The world Book Dictionary, volume two L-Z,London

على أي الأحوال فإن مبدأ التعويض عن العناصر المحذوفة مبدأ مقرر في العربية، وهذان مثالان فقط في:

أ–في كلمة رأس مثلا – التي تحولت إلى (راس) بدون همز، نتصور أن الذي حدث أن الهمزة عندما سقطت فإن العربية عُوضت الكلمة بزيادة المد وزيادة الحركة القصيرة، وهى الفتحة بعد الراء إلى فتحة طويلة، أي إلى ألف مد، لاحظ: ra?s → raas.

أو ra:s.

ب–في كلمة (كم) عند النسب إليها حاز أن تقول: (كمي) بتشديد أو تضعيف – الميم، أو تخفيفها، حيث الكلمة على صامتين ضعيفة في (كمْ) ما احتاج إلى تقويتها وبعنصر من عناصر الكلمة، أو داخل الكلمة، وليس من خارجها، بتضعيف الميم.

ولذا فإن Naru عندما حذف منها فأصبحت على هذه الصورة جاز تعويضها أو تقويتها بتضعيف الراء ؛ لتصبح Narru، ثم تحولت الضمة العربية الضيقة إلى نصف ضيقة هذا رأيي، تصوري أو خريطتي.

على أي الأحوال نعود إلى المعجم [1]الأخير لنشير إلى أن ذياك المعجم ما أتى على ذكر – البتة – للمصطلح Narratology من القرب، أو من البعد، ومن ثم اتفق مع ما جاء عن المعاجم الأخرى التي سبق الرجوع إليها في هذا البحث.

---

[1] المرجع السابق، ص ١٣٨٢.

على أي الأحوال فإنني خضت جولة في المعاجم الإنجليزية والفرنسية، بل والألمانية فما وجدت المصطلح الإنجليزي الأخير ذكر، بدأت بمكتبتي وهى ثرية بالمعاجم من كل لغة ولون، وكذا المعاجم المتخصصة، ثم انتقلت إلى مكتبة كلية التربية وكلية الآداب، جامعة دمياط، ثم مكتبة دمياط المركزية، في كل هذى الجولات لم أجد ضالتي ، ومن ثم وصلت إلى قناعة أن الكلمة جديدة لما تدخل إلى المعجمات على الأقل فيما رجعت إليه على عده وعديده، فكان على أن أتحول إلى الشبكة الدولية (الإنترنت)[٢] وبالفعل وجدت ما يلي:

١-جاء المصطلح Narratology ثم فُسر المصطلح بما ترجمته من الإنجليزية ؛ أو تعريفه بأنه: الفرع من المعرفة أو النقد الأدبي الذي يتعامل مع تركيب ووظيفة السرد Narrative ؛ موضوعاته ومصطلحاته ورموزه.

ويلاحظ أنه استخدم المصطلح Narrative وليس Narration والذي عُرف بما يلي:

سلسلة الأحداث التي تشكل الأثر الأدبي، أو عملية رواية قصة – شكل ونوع السرد فى القصة.

إذن المصطلح Narratology أو ما يمكن أن أترجمه إلى(علم السرد) فرع من فروع المعرفة، أو من النقد الأدبي كما نقول:

علم الصرف Morphology-

---

[٢]) راجع المصطلح 2-Oxford university Press: Narratology

علم المفردات Lexicology[١]-

علم وظائف الأصوات Phonology-

٢- وربما أن المصطلح جديد لما يتسرب إلى المعجمات - على الأقل ما توفر لدى - فكان عليّ أن أعرف أصل المصطلح، ومتى بدأ استخدامه، فوجدت الآتي:

أ- إن المصطلح Narratology هو أنجلة للمصطلح الفرنسي Narratologie والذي تبناه(تزوفيتان تودورف) في دراسته :

Grammaire du Décaméron 1969 [٢]

ب- الكلمة الأخيرة هي يونانية قديمة، مكونة من جزءين Deca ديكا، أي عشرة، والجزء الآخر Meron الأيام، أي الأيام العشرة تأليف الأديب الإيطالي (جوفاني بوكاتشو ١٣١٣ - ١٣٧٥م) الذي استعار الأسلوب السردي في ألف ليلة وليلة - العربية - ليكتب النسخة الإيطالية منها، إلا أنه سرد حكاياته خلال مائة يوم، تروى على مدى عشرة أيام، ولذا سميت الأيام العشرة.

في هذه الأيام العشرة يحكى سبع سيدات، وثلاثة رجال على خلفية وباء الطاعون الذي عصف بمدينة فلورنسا ١٣٤٨ سنة صدور الأيام العشرة ؛ حيث اجتمع العشرة في قصر ريفي هربوا إليه من الطاعون في المدينة، فحكوا ما حكوا، وقد حاول المؤلف اقتباس أسلوب ألف ليلة وليلة، ما جعل بعض الباحثين يطلقون

---

(١) أخذنا ترجمة المصطلح من: (معجم المصطلحات اللغوية) للدكتور رمزي البعلبكي، راجع ص ٢٨٣.

(٢) Wikipedia,the free encyclopedia

على هذه الأيام العشرة (النسخة الإيطالية)- باعتبار كاتبها - مِنْ ألف ليلة وليلة.[٣]

جـ - وفى موقع آخر - أو ثالث - تحدث عن المصطلح Narratology فذكر أنه مصطلح حديث نسبيا، دخل دائرة الاستخدام في فرنسا - أو في اللغة الفرنسية - تحت تأثير البنيوية ليشير إلى الدراسة النظرية وتحليل السرد وبنائه في اللغة ووسائل الإعلام.

ويعد تزوفيتان تودورف أول من اقترح هذا المصطلح ١٩٦٩، علم السرد إذن العلم الذي يعنى بمظاهرالخطاب السردي، أسلوبا وبناء ودلالة، السرد هو المادة الأولية لهذا العلم، إنه نظام لغوي يحمل حادثة أو سلسلة من الحوادث على سبيل التخيل.

علم السرد: هو فن تنظيم هذه المقولات بوصفها شكلا فنيا منتظما بعلاقات وقواعد وأبنية داخلية تنظم عملية السرد ، وذلك انطلاقا من جذره العربي، الذي يعني:

- دقة الصنع (أي للدروع).
- وتتابع العمل، أو الشهور أو غيرها.
- سرد الكلام وسرعته ودرجة وضوحه.
- وصولا إلى المفاهيم الحديثة والمعاصرة.

د- وقد نبعت الدراسات السردية الحديثة وانبثقت من المنجز النقدي المتميز للشكلانيين الروس عندما حاولوا أن ينظموا النقد بوصفه علما قائما بذاته في

---

(٣) www.matarmata.net,1969,Page12

الأدب، وموضوعا للبحث فيه، ويعنى هذا العلم بالخصائص النوعية للموضوعات الأدبية التي تميزها عن كل مادة.

هـ- ولعل أهم إنجاز للشكلانيين[١] الروس في الميدان السردي التفريق بين مصطلحين:

- المتن الحكائي Fable

- المبنى الحكائي Sujet

كلمة Sujet: من أصل روسي، استخدمه الشكليون الروس هوСЮжet، وفى الإنجليزية لها أكثر من هجاء:

Sjuzet- Sjuzet – Sjuzet – Sjuzet

جدير ذكره أن الجيم الروسية في تيك الكلمة – ورمزها Ж – هي احتكاكية كالجيم الشامية الاحتكاكية، أما الجيم الروسية الانفجارية التي نعرفها في العربية بالجيم القاهرية الانفجارية، هذى الجيم الروسية الانفجارية هي فونيم مستقل عن الجيم الروسية الاحتكاكية التي سلفت، في حين هما في العربية أي الانفجارية، والاحتكاكية كلهن أعضاء في فونيم الجيم العربية.

على أي حال فإن الفرق بين المتن والمبنى، هو أن الأول أصل الحكاية كما هي – أو كما هيه – أو هي المادة الخام، دون رتوش أو تجميل أو تطريز، أما المبنى فهو الصياغة الفنية للمتن، أو الأدبية، تخيل مثلا واقعة حصلت أمامي فأعدت حكيها، هي في صيغتها الأولى متن، فإذا أعدت حكيها مرة أخرى مضافا إليها كان هذا هو المبنى.

---

(١) www.startimes.com

مثال آخر أيام طه حسين في متنها تختلف - بلا شك - عن طريقة حكيها التي جاءت في كتابه، وكذا الحال مع الأيام العشرة لبوكاتشو، وهكذا.

و- وهذى مجموعة من فرسان السرد، وعلى رأسهم فلاديمير بروب الذي قدم كثيرا من المعطيات النقدية للشكلانيين في دراسته (مورفولوجيا الخرافة ١٩٢٨م)[٢] إذ أنه المؤسس الحقيقي للسرديات الحديثة التي تطورت على يد من أسماهم روبرت شولر بذرية بروب، أي: (كريسماس - بريمون - تودورو مهبارت - حانيت) إذ على يد هؤلاء ارتقى علم السرد وتطور، وتوسعت موضوعاته النظرية وكذا العناية بالرواية والخطاب النظري والعلمي والأيدولوجي فضلا عن الخرافة والأسطورة الشعبية [٣].

وبرغم هذا كله يجب الاعتراف بأن الأصل النظري لمفهوم السرد ربما يرجع إلى الوراء كثيرا حتى يصل إلى أرسطوطاليس في كتابه (فن الشعر) في ثنائية التفرقة بين المحاكاة والسرد .

ونختم هنا بالإشارة إلى بعض أعلام السرد، فنقول: جيمس فيلان - باحث في الأدب -ومحرر مجلة السرد (لسان حال الجمعية الدولية لدراسة السرد) هو أيضا ألف عديدا من الكتب والمقالات في نظرية السرد علما بأن الرجل يدير مشروع الدراسات السردية في جامعة ولاية أوهايو الأمريكية، وذلك بالتعاون مع

(فريدريك لويس - برين موهيل - روبرت ورهول).

---

[٢] درس ثلاثين خرافة روسية، وأصّل لدراسة هذه الأشياء.

[٣] السابق.-

ز- وحول تطبيقات نظرية السرد أرى أن علم السرد الذي ينتمي - قطعا وقولا واحدا - إلى الأدب والنقد الأدبي، هذا العلم الأدبي النقدي يلتقي في نقطة ما بالدرس اللغوي، أو علم اللغة، كيف؟: إن تطبيق مناهج علم السرد يمكن أن يمتد إلى دراسات علم اللغة الاجتماعي للقص الشفوي (وليم لابوف) وكذا تحليل الحوار وتحليل المقال، وكل هذا يتعامل مع تطور السرد من خلال التفاعل اللفظي التلقائي، على أية حال فإن التحليل الذي يؤلف نموذجا تعتبر الوحدات السردية وحدات رئيسة في تركيب السرد، هذا التحليل يمكن أن يقع في نطاق علم اللغة، علم (السيميوطيقا) أو النظرية الأدبية [١].

جاء في معجم السرد، إشراف محمد القاضي، ص ٣٥٢: (واستُغِلّت مفاهيم السرديات في دراسة السرد، في نصوص غير أدبية، دينية سياسية وصحافية، وظلت السرديات في تفاعل مثمر مع الأبحاث وخاصة منها اللسانيات التلفظ ولسانيات النص أو التخاطب والتداولية، وقد أسهم هذا كله في إثارة إشكاليات عديدة أن العلاقة بين المشافهة والكتابة وحدود القول بلغة التخيل متميزة، وهو شمول السرديات لمستوى خطابي ملازم للنص السردي ومنفصل عنه في آن ، وهو الجامع بين المؤلف الفعلي والقارئ الفعلي، وما يترتب على هذا من مسائل مثل الذاتية، وعلاقة النص بالمقام في دوائره المتعددة وتزواج السرد والحجاج، ونهوض النص السردي- سواء أكان تخييليا أم مرجعيا - بوظيفة عمل اللغوي).

---

(١) Wikipedia,the free encyclopedia

كما ننقل عن ذات المعجم ص ٢٥٠، وان بتصرف يسير: (إن ذلك التراكم من البحث السردي في اللغات الأوربية هو الذي تأسس عليه البناء التصنيفي والنظري التي أنجزنه البنيوية الفرنسية منذ الستينات، دون التغاضي عن اللسانيات السوبسرية والأبحاث المتاثرة بمفاهيمها المركزية، ولا شك أن العدد الثامن من مجلة إبلاغات ١٩٦٦ يقوم دليلا على تيك الإفادة فقد كان واضحا من مقال بارت الافتتاحي السعي إلى التحكم المنهجي في قصص العالم التي لا تحصى في كل الأزمنة وفي مختلف أشكالها اللغوية وغير اللغوية مثلما حاول الشكليون الروس وذلك بتحويل هذا القصص كله إلى عدد محدود من القواعد والبنى اقتداء بالطريقة الاستنباطية في اللسانيات).

وعن الصلة بين الدرس السردي والدرس اللغوي يقول الدكتور عبد الرحيم الكردي: (إن كثيرا من رواد علم السرد وفرسانه كانوا لغوين) ولم يكونوا من دارسي الأدب ونقاده.

ح- وعندي تعريف آخر - أخير - لكلا المصطلحين، ما ترجمته من الإنجليزية إلى العربية:

Narratology

هو فرع من المعرفة أو النقد الأدبي، هذا الفرع الذي يتعامل مع تركيب ووظيفة السرد وموضوعاته ومصطلحاته ورموزه، أما المصطلح الآخر:

Narration

هو فعل أو عملية سرد قصة، أو روايتها، مثل شكل السرد في القصة [٢].

ي- آخر الملاحظ والحكايا أنني وجدت مسردا للمصطلحات المستخدمة في علم السرد [٣] Narratology والنظرية السينمائية Film Theory.

وقد تعرض المسرد لأشهر وأبرز مصطلحات السرد، وذاك في ثماني صفحات – ٣٦ مصطلحا – وكان من المصطلحات التي شرحها المسرد:

- ثنائية المتن والمبنى: Fabula and Sjuzhet، ويلاحظ أن المسرد استخدم هذا الهجاء للكلمتين وليس Fable/ Sujet كما مر في هذا البحث، وهو أمر ممكن متاح، إذ يجوز استخدام هذا النوع من الهجاء أو ذاك، فقد سبـــق أن Sujet يمكن أن تكتب بخمسة أشكال من الهجاء، أو الرسم .

على أي الأحوال فإن Fabula المتن الحكائي تشير إلى التسلسل الزمني – الحقيقي – للأحداث في سرد هذى الأحداث في العمل السينمائي – أو الفيلم – (عبر السرد والمجاز وزوايا الكمرة وإعادة ترتيب التتابع الزمني للأحداث) وهكذا.

إن هذا ينطبق تماما على الفرق بين Story وبين Discourse ، أي بين القصة – كما وقعت وحدثت – وبين إعادة كتابتها بشكل قصدي متعمد، أو حكيها في خطبة شفاهية بمعنى إعادة حكي هذى القصة وسردها شفويا.

---

(٢) راجع Oxford University Press:

(٣) WWW.Purdue.edu/guidet the ory / narratology/terms

وضَع الحد بين المصطلحين قدمه الروس الشكليون، وقدمه أيضا مجموعة مؤثرة من البنيويين - كما سلف - كما وضع المسرد مزيدا من التفاصيل بين Sujet وبين Fabula لمن أراد أن يراجعها.

مثال للتفريق بين المصطلحين، ففي رواية الأرض لعبد الرحمن الشرقاوي ت ١٩٨٧ م تجد الأحداث التي سردها في روايته المكتوبة تختلف اختلافا بينا عن الأحداث الحقيقية الخام، وفى ذات الوقت فإن هذه الأحداث التي عرضها فيلم الأرض تختلف عما جاء في الرواية المكتوبة، فنحن أمام مبنى حكائي حكاه الفيلم في حين إن المتن الحكائي هنا جاء في النص المكتوب، هذا النص المكتوب هو مبنى بالنسبة للأحداث الحقيقية التي وقعت بترتيبها الزمني الحقيقي.

مثال آخر اغتيال اللورد موين في مصر - عام ١٩٤٤ - تحول إلى فيلم، في هذا الفيلم قدموا وجهة نظر المسئولين عن الفيلم، الذي اختلف - بشكل أو بآخر - عن الأحداث الحقيقية لمقتل الرجل غدرا وغيلة .

والآن مع البحث التالي في السرد

المتن الحكائي والمبنى الحكائي في مسرحيات باكثير حول مصر القديمة

في مؤتمر السرد لهذا العام – في مارس الماضي – وبرعاية الجمعية العربية للسرد شكا أمين الجمعية من أن بعض الناس يستخدم مصطلحا عربيا واحدا هو السرد، مقابل المصطلحين الإنجليزيين:

- Narration
- Narratology

فما جلية الأمر؟ وعلى الفور قلت له: اترك المسألة لأحقق فيها، وبالفعل غصت غوصا في أعماق المسألة في معاجم العربية والإنجليزية، ثم في الشبكة الدولية، فخلصت إلى ما يلي:

١-لفظة السرد: من الألفاظ الأصيلة في العربية، وطبقا لمنهجنا في التعامل مع اللفظة العربية فإنا نبدأ بالقرآن، ثم الحديث النبوي الشريف ثم المعاجم العربية، وأخيرا مع الكتب والمصادر المتخصصة.

ففي القرآن الكريم وقعت لفظة (السرد) مرة واحدة فقط ، في (وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ) في سورة سبأ، وكان المعنى إحكام صنع الدروع التي كان يصنعها نبي الله داود – عليه السلام – وفى الحديث الشريف ما وقعت اللفظة في كلامه – صلى الله عليه وآله – وإنما جاءت في كلام أحد الصحابة – رضي الله عنهم – وكانت بمعنى: أتابع وأوالى الصيام، وبمعنى سرعة الكلام وجودته، ثم أضافت المعاجم ما يلي من معاني: جودة سوق الحديث ومتابعته – الخرز في الجلد والنعل وغيرهما – وسرد خف البعير خصفه بالقِّد – السرد: تتابع الشهور أو النظام والدمع والدر والمشي – المسرد اللسان، ربما لأنه يسرد الكلام أو يتابعه.

وفى المعاجم المتخصصة (منير البعلبكي)[١] لم تأت مادة (س ر د) البتة، بل ترجم Narrative إلى القصصي – قصصي، أما المعجم الآخر [٢] فقد استخدم مصطلح السرد في مقابل Narrative ، وليس Narration التي ترجمها إلى القص وليس السرد، وعلى كل الأحوال ما وجدنا المصطلح Narratology في المعجمين السابقين، بل في سائر المعاجم الإنجليزية التي رجعنا إليها على كثرتها ما وجدنا ذياك المصطلح.

على أي حال فإن تيك المعاجم التي رجعنا إليها تفيد أن لفظة Narration جاءت من الفعل Narrate وهو مأخوذ من الفرنسية مثل عديد الألفاظ الإنجليزية – وهذى الأخيرة أخذتها عن اللاتينية Narro بمعنى: أنا أحكى، وليس من المستبعد أن يكون ذياك من أصل عربي هو (نروى).

وفى هذى المعاجم التي إليها رجعنا استخدمت لفظتان، هما:

Narration – Narrative ولذا لا بأس من استخدام اللفظتين الإنكليزيتين بمعنى السرد بشكل عام.

أما Narratology فهو علم السرد، وهو علم ينتمي إلى الأدب والنقد الأدبي بامتياز، وإن كان يتقاطع مع الدرس اللغوي في منطقة ما، هذا المصطلح المذكور هو أنجلة للمصطلح الفرنسي Narratologie.

---

[١] معجم المصطلحات اللغوية، ص ٣٢١.

[٢] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، لمجدي وهبة وكامل المهندس، ص ٤٩٨.

وبما أن المعاجم التي رجعنا إليها ما ذكرت هذا المصطلح الإنجليزي فقد حاولناالإفادة من الشبكة الدولية لنجد فيها معلومات غزارا حول علم السرد وقضاياه المختلفة والمتشعبة:

١-أول من تبنى هذا المصطلح هو تودورف في دراسته:

Grammaire du Décaméron 1969

هذه الكلمة الأخيرة هي يونانية قديمة، مكونة من جزءين Deca ديكا، أي عشرة، والباقي بمعنى أيام، أي الأيام العشرة للأديب الإيطالي (جوفانى بوكاتشو ١٣١٣ - ١٣٧٥م) الذي حاكى فيها ألف ليلة وليلة، أو هو النسخة الإيطالية منها، وإن كان المؤلف كتبها باليونانية القديمة.

٢-من أهم إنجازات الشكلانيين الروس في مجال السرد، هو ثنائية: المتن الحكائى Fable في مقابل المبنى الحكائى Sujet وهذى الأخيرة من أصل روسي، استخدمها الشكلانيون الروس.

٣-قدم فلاديمير بروب كثيرا من المفاهيم النقدية للشكلانيين في دراسته (مورفولوجيا الخرافة) ١٩٢٨، درس فيها ثلاثين خرافة من الخرافات الروسية.

٤- برغم أن مصطلح السرد مصطلح حديث إلا أن مفهومه ربما يعود في عمق التاريخ إلى أرسطو في كتابه (فن الشعر).

صفوة القول إن المصطلح الإنجليزي Narratology وكذا أصله الفرنسي يمكن أن يترجما إلى خلم السرد أو السرديات، المتن الحكائي هو القصة الحقيقية بتسلسلها الزمني، وفى شكلها الخام، أما المبنى الحكائى فهو الإعداد الأدبي كتابة أو شفاهة، بتحويل القصة الخام إلى عمل أدبي، مثل أيام طه حسين

التي نشرت هي مبنى بامتياز، أما الحكايات الأصلية الخام التي اغترف منها الرجل فهي المتن.

ومثل الفيلم المصري (جريمة في الحي الهادئ) الذي صور مقتل اللورد موين وزير المستعمرات البريطانية الذي اغتيل في حي الزمالك القاهري ١٩٤٤، ما صوره الفيلم مبنى، ووقائع جريمة الاغتيال – كما وقعت تماما – متن، وهناك اختلاف بينهما.

أما المصطلح العربي (علم السرد) وهو علم ينتمي إلى دراسة الأدب ونقده بامتياز،وإن كان معجم السرد قد قابله بالمصطلح (السرديات) وهو ما لا به بأس.

أما المصطلحان Narrative – Narration فإنهما يقابلان مصطلح (السرد) أي السرد بشكل عام، أما (يقص – يحكى) فإنه يقابلهما الفعل relate والمصدران (القص – الحكي) في مقابلة المصدر Relation ، وهكذا.

في مؤتمر السرد في العام الماضي[1] بجامعة قناة السويس تساءل الصديق الكريم الدكتور عبد الرحيم الكردي: لماذا نستخدم في العربية مصطلحاً واحداً هو السرد في مقابل المصطلحين الإنجليزيين:

- Narration.
- Narratalogy.

وعلى الفور تلقفت الفكرة قائلاً لصديقي: (اترك لي هذا الأمر) أي التحقيق والتحقق والوصول إلى الرأي – أي الرأي الصحيح الصح والحقيقي _ ومن ثم

---

(1) في مدينة الإسماعيلية على قناة السويس، مارس ٢٠١٥.

قمت بسياحة وسباحة في بحار معاجم اللغتين، العربية والإنجليزية ، ثم الفرنسية والروسية،واللاتينية، والمعاجم المتخصصة كذلك.

ومن عجب أن في العربية معاجم متخصصة في (علم السرد) عربية التصنيف هيه، أو هي عن الإنجليزية مترجمة معربة، هيه:

١- معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف الزيتوني[١]، بيَروت ٢٠٠٢م.

٢- معجم السرديات، وهو ترجمة لمعجم جيرالد برنس:

Dictionary of Narratalgy

نقله إلى العربية عابد خزندار، بعنوان: (المصطلح السردي)مراجعة وتقديم محمد بربري، القاهرة ٢٠٠٣م.

٣- وترجم ذات المعجم الإنجليزي، لكن بعنوان مختلف: (قاموس السرديات) القاهرة ٢٠٠٣م.

واعجب – أُخَّى – إن كنت من العاجبين المستغربين أن ترجمة كتاب واحد عينه عينه، يتم مرتين في عام واحد، وفي مدينة واحدة، هي قاهرة المعز.

٤- معجم السرديات: إشراف محمد القاضي، تونس ٢٠١٠م.

بل هذا المحمد والقاضي نفسه عينة يشكو بمرارة (... فاختلط الحابل بالنابل، واضطربت المصطلحات وغمضت المفاهيم، وكثر حاطبو الليل، وندر من يمكن أن يُعتبر قدوة في الميدان، يعتد به، ويحتج بأقواله[١].

(1) وقد أعطى عنواناً إنجليزياً لمعجمه، هو : Dictionary of Narratalgy.

وكان عليّ أن أبدأ باللفظة العربية (السرد) ثم المصطلحين الإنجليزيين المرادفين للفظة العربية.

أولاً – لفظة (السرد): في البدء نتحدث أن هذي اللفظة في القرآن الكريم، ثم في كتب السنة، وأخيراً في معاجم العربية، على ما يلي:

١- خريطة الكليمة في القرآن الكريم: ورد (السرد) في كتاب الله مرة واحدة فقط، في سورة سبأ[٢]:

"ولقد آتينا داود منا فضلاً، يا جبال أوبي معه، والطير وألنا الحديد، أن اعمل سابغات، وقدر في (السرد) واعملوا صالحاً، إني بما تعلمون بصير". صدق الله العظيم

ومعنى (السرد) في الآية الثّقْب – مصدر ثقب – وهو من باب نصر، أي ثقب يثقب ثقبا، كما نقول: نصر ينصر نصرا، ومعنى الفعل (ثقب): خرق خرقاً صغيراً، كما جاء في المعجم الكبير[٣].

الله – سبحانه سبحانه – أمر نبيه داود – عليه الصلوات والتسليمات – وقدر في السرد: لا تجعل المسمار غليظاً والثقب صغيراً دقيقاً فيفصم – أو ينفصم الحلق – بفتح الحاء واللام – جمع حلقة، ولا تجعل المسمار دقيقاً والثقب واسعاً، فيتقلقل أو ينخلع، أو يتقصف، بل اجعل (الثقب) على القصد والقدر المطلوب والحاجة.

---

(1) ص ١٠من مقدمة معجم السرديات.

(2) آية ١٠، ١١.

(3) ٢٨٥/٣.

جاء في تفسير ابن كثير[1]: وقدر في السرد هو إرشاد من الله لرسوله داود – عليه الصلاة والسلام – في تعليمه صنعة الدروع، وعن ابن عباس السرد حَلَق الحديد.

وعليه فالمعنى الذي أفهمه أن (السرد) أو تقدير السرد الذي أُمر به داود – عليه السلام – هو إحكام الربط والترابط بين حلقات – حلق الدرع – إذ السابغات هي الدروع، ثم انتقل المعنى من إحكام الدروع وإتقان صنعتها بدقة الربط والضبط والوصل بين حلقها إلى جودة الربط وإحكامه بين الكليمات والجمل والنصوص المختلفات، أو هاتيك النصوص من الكلام المنطوق الملفوظ، أو من المسطورات المكتوبات.

والآن نتحول سراعاً سراعاً حادرين – مسرعين – متوكلين على الخلاق الرزاق – إلى:

٢- لفظة (السرد) في مصادر الحديث النبوي: بحثت فيما تحت يدي من مصادر الحديث الشريف، فوجئت الآتي:

أ – إن مادة (س ر د) في أي اشتقاق من اشتقاقاتها، اسماً أو فعلاً، كل هذا ما وقع في كلامه – صلى الله عليه وآله – فيما تعلم.

ب- لكن هذي المادة جاءت على ألسنة بعض الصحابة – رضي الله عنهم – وهم على وجه التحديد:

- حمزة بن عمرو الأسلمي (ت ٦١هـ).
- السيدة عائشة، زوجه، صلى الله عليه وآله.

---

(1) القاهرة، ٢٠١٠م، ص٢٤٣٣.

روي أن هذا الصحابي – حمزة – سأل النبي عن الصوم في السفر قائلاً:

يا رسول الله: إني رجل أسرد الصوم، افأصوم في السفر؟

قال: صم، إن شئت، وأفطر إن شئت[١].

وفي سنن أبي داود[٢]: جلس أبو هريرة جنب حجرة عائشة، وهي تصلي فجعل يقول: (اسمعي يا ربة الحجرة) مرتين، فلما قضت صلاتها، قالت: ألا تعجب إلى هذا وحديثه، وإن كان رسول الله ليحدث الحديث لو شاء العاد أن يحصيه أحصاه.

وفي رواية أخرى أن عائشة قالت: ألا يعجبك أبو هريرة، جاء إلى جانب حجرتي بحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يسمعني ذلك، وكنت أسبح، فقام قبل أن أقضي سُبحتي، ولو أدركته لرددت عليه: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يكن يسرد الحديث مثل سردكم[٣].

وفي سنن أبي داود[٤] أيضاً عن أبي سلام عن رجل خدم النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه كان إذا حدث حديثاً أعاده ثلاث مرات.

ويبدو أن أبا هريرة كان يسرع في كلامه، على عكس ما كان عليه حديثه – صلى الله عليه وسلم – من تأن وتؤده في الكلام، فضلاً عن إعادته؛ بحيث لو أراد أحد أن يعيده أو يعده وراءه لتمكن من هذا بسهولة ويسر.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الصوم في السفر والإفطار، حديث ١١٧٥٢.

(2) كتاب العلم، باب سرد الحديث، حديث رقم ٣٦٥٤.

(3) السابق، حديث ٣٦٥٥.

(4) طبعة القاهرة ١٩٨٨، ٣١٩/٣.

صفوة القول فيما سبق أن ما وجدنا هذي الكليمة (السرد) ولا أحد اشتقاتها في حديثه – صلى الله عليه وآله – بل كان هذا في كلام أصحابه، وبشكل محدد، في كلام عائشة، وفي حديث حمزة الأسلمي، والذي روته السيدة عائشة أيضاً، حيث كان معنى السرد في كلامها طريقة الحديث والكلام، أو قل سرعته المتأنية الواضحة، بل شديدة الوضوح حتى إن السامع إذا أراد أن يعيد ما سمعه لتمكن من هذا بسهولة شديدة، كما كان شأن سرد الرسول – صلى الله عليه وسلم – على عكس حديث غيره كأبي هريرة والذي كان – فيما يبدو – حديثاً سريعاً.

والمعنى الثاني، وهو ما ظهر في كلام حمزة الأسلمي، أي سرد الصيام بمعنى متابعته وموالاته، كما عبر هذا الصحابي الجليل.

٣- معاجم العربية: ونختار منها ثلاثة فقط، مختار الصحاح، وتاج العروس، ثم المعجم الوسيط، كما يلي:

أ – مختار الصحاح: وقد بدأنا بهذا المعجم المختصر(١)، لأن ذياك المعجم على وجازته وشدة اختصاره وتركيزه فيه كثير من الخير ومن الوقفات واللفتات، وعن السرد قال الرازي: درع مسرودة ومسرّدة – بتشديد الراء – وقيل سردها نسجها، وهو تداخل (الحلَقَ) بعضها في بعض، وقيل: السرد الثَّقب، والمسرودة المثقوبة، وفلان يسرد الحديث، إذا كان جيد السياق له، وسرد الصوم تابعه، وقولهم في الأشهر الحرم: ثلاثة سَرْد – متتابعة – ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وواحد فرد، وهو رجب.

---

(1) طبعة الحلبي (د.ت.) القاهرة، مادة (س ر د).

ثم يلخص الرازي – صاحب مختار الصحاح – ما سبق بقوله: (وسرد الدرع والحديث والصوم كله من باب نصر) وهو ما يشير إلى أن السرد عنده يختص بما يلي:

- الدروع: بإحكام صنعها ومتانتها.
- الحديث: بجودة السياق، أو إجادة حكيه وصوغه.
- الصوم: بموالاته وتتابعه.

ب- تاج العروس للزبيدي[1]:انتقلنا من المختار في وجازته وتركيزه إلى أضخم معجم عربي وأشدها اتساعاً، لذا لخصت من هذا التاج ما ذكر عن مادة (س ر د).

- السرد: بمعنى الخرز، أي في الأديم – الجلد – والنعل، وغيرهما، والسَّرّاد، الخرّاز، والخرز مسرود ومسرّد، وسرد خف البعير سردا خصه بـ(القد) كالسِّراد بالكسر.

- السّرد: الثقْب، نقول: سرد الشيء سردا، وسرّده بتضعيف الراء، وأسرده – بهمزة التعدية – إذا ثقبه.

- السرد: نسج الدروع، وتداخل الحلق، وقوله تعالى: (وقدر في السرد) اجعله على القصد وقدر الحاجة والطلب.

- السرد: جودة سياق الحديث، وسرد الحديث ونحوه سردا إذا تابعه ووالاه، وفلان يسرد الحديث سردا، وتسَّرده إذا كان جيد السياق له.

---

(1) مادة (س ر د).

- تسرّد الدر : تتابع في النظام، وتسرّد معه، كما يتسرد اللؤلؤ.
- سردٌ: القرآن، تابع قراءته في حدر، أي في قراءة سريعة.

حـ- المعجم الوسيط: ونختم بمعجم مجمع اللغة العربية في وسيطه، إذ توزع معنى (السرد) على معاني:

(ثقب - خرز الجلد - نسج الدرع، فشك طرفي كل حلقتين وسمرَهما - سرد الشيء تابعه ووالاه، وسرد الحديث أتى به على ولاء، وكان جيد السياق والسوق له - تسرد الدر والدمع، وتتابعا، وتسرّد الماشي تابع خطاه - المِسْرَد اللسان - السَّرْد بإسكان الراء أو فتحها).

نخلص من كل ما سبق أن مادة (س ر د) هي مادة أصيلة في عربية بني يعرب، ومن أبرز معانيها سرد الحديث، أي سرعته، وأن يؤتى به على توالٍ/ توالي وتتابع، واتصال مع جودة السوق، و(السياق) للحديث.

ثانياً- المصطلح في الإنجليزية: كما ذكرنا هناك مصطلحان مقابلان لمصطلح السرد في العربية، هما: Narration - Narratology، وبعد بحث الموضوع من جميع جوانبه اتضح لنا ما يلي:

١- إن المصطلح Narration يمكن أن يترجم إلى (السرد) أي بشكل عام، وأحياناً يستخدم مصطلح إنجليزي آخر، هو Narrative.

٢- أما المصطلح Narratology فهو أنجلة للمصطلح الفرنسي Narratologie والذي تبناه تزفتان تودورف في دراسته:

Decameron 1969 Grammaire du .

الكلمة الأخيرة يونانية قديمة مكونة من جزءين Deca ديكا، أي عشرة والجزء الآخر Meron، أي (الأيام العشرة) للأديب الإيطالي (جوفاني بوكاتشي) - ١٣١٣ - ١٣٧٥ - الذي اقتبس الأسلوب السردي في (ألف ليلة وليلة) العربية، ليكتب النسخة الإيطالية منها، إلا أنه سرد حكاياته خلال مائة يوم، تروى على مدى عشرة أيام، وكذا كانت التسمية (الأيام العشرة).

في تيك الأيام العشرة، تحكي سبع سيدات، وثلاثة رجال على خلفية وباء الطاعون، الذي عصف بمدينة - فلورنسا- الإيطالية عام ١٣٤٨، حيث اجتمع العشرة في قصر ريفي هربوا إليه من الطاعون، في المدينة، فحكوا ما حكوا.

صفوة القول أن أول من اقترح المصطلح الفرنسي Narratologie هو (تودورف) عام ١٩٦٩م.

وعليه، وبعد هذا كله نرى أن المصطلح المؤنجل Narratology يمكن أن يترجم إلى (علم السرد) أما معجم السرديات بإشراف محمد القاضي فيرى أن المقابل العربي هو (السرديات) لا بأس، ولا بأس أن نقول أيضاً علم السرديات، فأما المصطلح الآخر Narration أو Narrative فهو السرد بالمعنى العام، أي:

سلسلة الأحداث التي تشكل الأثر الأدبي، أو عملية رواية قصة، أو شكل ونوع السرد في القصة.

أما علم السرد، فهو: فرع من فروع المعرفة ينتمي إلى النقد الأدبي، الفرع من المعرفة أو النقد ألأدبي الذي يتعامل مع تركيب ووظيفة السرد، موضوعاته ومصطلحاته ورموزه، وهو أيضاً: عملية تنظيم وانتظام المقولات والمعطيات

السردية بوصفها شكلاً فنياً منتظماً بعلاقات وقواعد وأبنية داخلية تنظم عملية السرد، وذلك كله انطلاقاً من جذره العربي.

دقة الصنع – تتابع العمل أو الشهور أو غيرهما – سرد الكلام وسرعته ودرجة وضوحه...إلخ. وصولاً إلى المفاهيم الحديثة والمعاصرة للسرد، وعلم السرد.

إلا أن الدراسات السردية الحديثة انبعثت وانبثقت من المنجز النقدي المتميز للشكلانيين الروس عندما حاولوا أن ينظموا النقد بوصفه عملاً قائماً بذاته في الأدب، وموضوعاً للبحث فيه، ويعني هذا العلم بالخصائص النوعية للموضوعات الأدبية التي تميزها عن كل مادة[١].

ولعل أهم إنجاز للشكلانيين الروس[٢] في الميدان السردي التفريق بين المصطلحين:

- المتن الحكائي Fable أو Faloula
- المبنى الحكائي Sujet وأصلها بالروسية Сюжеt.

الفرق بين المتن والمبني أن الأول أصل الحكاية، كما هي – أو كما هيه – أو هي المادة الخام، دون رتوش أو تجميل أو تطريز، أما المبني فهو الصياغة الفنية أو الأدبية، تخيل مثلاً واقعة حصلت أمامي فأعدت حكيها مرة أخرى هي في صيغتها الأولى (متن) فإذا أعدت حكيها مرة أخرى مضافاً إليها كان هذا هو المبني.

---

(1) www.matarmatar.net, 1969, page 12.

(2) www.startimes.net.

المتن الحكائي هو القصة الحقيقية بتسلسلها الزمني، وفي شكلها الخام، أما المبني فهو الإعداد الأدبي كتابة أو شفاهة، بتحويل القصة الخام إلى عمل أدبي، مثل أيام طه حسين التي نشرت، وهي مبني حكائي بامتياز، أما الحكايات الأصلية التي استقى منها الرجل، ومنها اغترف فهن المتن.

ومثل (الأيام العشرة) لبوكاتشو، فإن الحكايات كما وقعت تماماً هي متن، وأما صياغة الرجل في كتابه أو في كتابته فهو المبني.

وفي السينما فإن المتن الحكائي Fabula يشير إلى التسلسل الزمني – الحقيقي للأحداث في حين تشير Sujet إلى تمثيل وتقديم هذي الأحداث في العمل السينمائي – أو الدرامي[١] – عبر السرد وزوايا الكمرة، وإعادة ترتيب التتابع الزمني للأحداث، وهكذا.

إن هذا ينطبق تماماُ على الفرق بين Story وبين Discoures ، أي بين القصة – كما وقعت وحدثت – وبين إعادة كتابتها بشكل قصدي متعمد، أو حكيها في خطبة شفاهية: بمعنى إعادة حكي هذي القصة وسردها شفوياً.

ففي رواية الأرض لعبد الرحمن الشرقاوي – ت ١٩٨٧ – تجد الأحداث التي سردها في روايته المكتوبة تختلف اختلافاً بيناً عن الأحداث التي عرضها فيلم الأرض.

ومثل واقعة اغتيال اليهود للورد موين بالقاهرة – ١٩٤٤ – وزير المستعمرات البريطانية الأسبق، فإن هذي الواقعة بكل تفاصيلها تخالف فيلم (جريمة في الحي الهادئ) الذي قدم وجهة نظر المسئولين عن الفيلم، الذي اختلف بشكل واضح عن الأحداث الحقيقية لمقتل الرجل غدرا وغيلة.

---

(1) المذاع أو المتلفز.

والآن الآن نذكر بأننا سندرس المتن الحكائي والمبني الحكائي في مسرحيات علي أحمد باكثير عن مصر القديمة فنبدأ بتعريف مختصر مركز بهذا الأديب العربي الكبير، فنقول:

باكثير، كليمة عن حياته وتاريخه: ولد في ديسمبر ١٩١٠ في جزيرة (سورابايا) الأندونيسية – المشهورة بكثرة علمائها والمدارس والمؤسسات العربية التعليمية – هو من أصل حضرمي عربي، حين بلغ العاشرة، سافر به أبوه إلى حضرموت في أبريل ١٩٢٠م وهناك تلقى تعليمه، وتتلمذ على أبرز العلماء والفضلاء.

تزوج مبكراً عام ١٩٣٤م، ولكنه فجع بموت زوجه، ومن ثم سافر من عدن إلى الصومال والحبشة والحجاز التي استقر فيها فترة، نظم فيها مطولته (نظام البردة) كما كتب أول عمل مسرحي شعري، وهو: (همام في بلاد الأحقاف) وطبعهما في مصر، أول قدومه إليها.

وصل مصر عام ١٩٣٤، فالتحق بجامعة فؤاد الأول، وحصل على الليسانس في اللغة الإنجليزية من كلية الآداب.

وأثناء دراسته في الجامعة ترجم – عام ١٩٣٦ – مسرحية (روميو وجوليت) لشكسبير، بالشعر المرسل، بعدها بعامين – ١٩٣٨ – ألف مسرحية: (إخناتون ونفرتيتي) شعراً حراً ليصبح رائد هذا النوع من النظم العربي.

وبعد تخرجه في الجامعة التحق بمعهد التربية للمعلمين ١٩٤٠، عمل في مصر مدرساً للغة الإنجليزية أربعة عشر عاماً، وفي عام ١٩٥٤ سافر إلى فرنسا في بعثة دراسية حرة، وبعد عودته من بعثته فضل الإقامة في مصر، وتزوج من عائلة مصرية محافظة.

تواصل الرجل مع عمالقة الفكر والأدب: (العقاد – الحكيم – المازني – محفوظ – صالح جودت) وكان يعتبر نفسه الكاتب المسرحي الثاني بعد توفيق الحكيم.

بعد عمله في التدريس انتقل – عام ١٩٥٥ – للعمل في وزارة الثقافة المصرية، إلى أن توفى عام ١٣٩١هـ – ١٩٦٩م إثر أزمة قلبية حادة، عن تسعة وخمسين عاماً، ودفن بمدافن الإمام الشافعي في مقابر عائلة زوجته المصرية.

ولأنه عبقري فذ فقد حاربه أعداء النجاح حسداً من عند أنفسهم متزرعين بتوجهاته الإسلامية حتى أطلقوا عليه: (على إسلام ستان)[١].

الأعمال المنشورة: ترك علي أحمد باكثير عشرات الأعمال المنشورة، منها: (إخناتون ونفرتيتي – الفرعون الموعود – وإسلاماه – شعب الله المختار – إله إسرائيل – جلفدان هانم – الفلاح الفصيح)[٢]...إلخ.

ثم الملحمة الإسلامية التي جاءت في ثمانية عشر جزءاً، مثل: (معركة الجسر – تراب من أرض فارس – رستم – حديث الهرمزان...)إلخ.

أما المسرحيات التي نعنيها، أو نُعني بها في هذه الدراسة، فهي مسرحيات:

- إخناتون ونفرتيتي، وهي مسرحية شعرية.
- الفرعون الموعود، هي مسرحية نثرية.

---

(1) www.wikipedia.com .

(2) نهاية مسرحية الفرعون الموعود، عدد من الأعمال المنشورة التي وصل عديدها إلى خمسة وأربعين عملاً، فضلاً عن الملحمة الإسلامية الكبرى، وفيها ثمانية عشر جزءاً، انظر الفرعون الموعود، ص١١٠، ١١١.

وهما مسرحيتان رائدتان، ومن حق الرجل أن نتركه بنفسه يعرف بعمله ويتكلم عنه، نردف هذا برأيي كقارئ للمسرحيتين، يقول باكثير مقدماً إخناتون ونفرتيتي[١]:

أعود إلى هذي المسرحية بعد سبعة وعشرين عاماً، منذ عايشتها، وكتبتها سنة ١٩٣٨، فأقدمها اليوم للقراء العرب، كما خرجت للناس في طبعتها الأولى عام ١٩٤٠.

أقدمها منتشياً مما أجد في سطورها من أنفاس الشباب الأول، ومغتبطاً لما أصابت المسرحية من حظ عظيم، إذ صارت نقطة انطلاق، أو نقطة انقلاب في تاريخ الشعر العربي الحديث كله.

فقد قدر للمسرحية أن تكون التجربة الأم فيما شاع تسميته بالشعر الحر، أو الشعر التفعيلي، وأسماه باكثير – قبل ذلك – بالشعر المرسل المنطلق.

ثم ظهر صداها أول ما ظهر في العراق لدى الشاعرين المجددين الكبيرين بدر شاكر السباب، ونازك الملائكة، بعد انطلاق تجربة باكثير في هذي المسرحية بعشرة أعوام، ثم ما لبث هذا النوع من الشعر أن شاع في العالم العربي كله.

وقد أشاد بهذي التجربة الشعرية أديبا العربية إسعاف النشاشيبي، وبدر شاكر السباب، ثم يختم باكثير بقوله: ولعل نشر هذه المسرحية اليوم – في يناير ١٩٦٧ – من جديد، يصحح كثيراً من الأخطاء فيما يكتب عن الشعر العربي الحديث من دراسات[٢].

---

(1) مقدمة مسرحية (إخناتون ونفرتيتي) القاهرة، ١٩٨١م ، ص٥ ، جدير ذكره أن تيك المقدمة للمسرحية التي كتبها المؤلف، كتب في نهايتها تاريخ ١٩٦٧/١/٩م.

(2) السابق، ص٦.

وفي مقدمة الطبعة الأولى للمسرحية - ١٩٤٠ - كتب باكثير معرفاً بالنظم المرسل المنطلق: لما ترجمت: (روميو وجوليت) لشكسبير إلى الشعر العربي قبل زهاء ثلاث سنوات استعملت هذا التعبير - أي (النظم المرسل المنطلق) أو بالتعبير الإنجليزي Running Blank Verse ، كما عليه الأصل إذ اهتديت بعد التفكير إلى أنه أصلح نظم لترجمة شكسبير إلى العربية.

وقد وجدت أن البحور التي يمكن استعمالها على هذه الطريقة هي بحور التفعيلية الواحدة المكررة كالكامل والرمل والمتقارب والمتدارك، أما البحور التي تختلف تفعيلاتها كالخفيف والطويل فغير صالحة لهذه الطريقة، فكان أن استعمل باكثير البحور الصالحة - من وجهة نظره - في ترجمة روميو وجوليت.

ثم لاحظت - يقول باكثير - أن أصلح البحور وأكثرها مرونة وطواعية لهذا النوع الجديد من الشعر هو البحر المتدارك فالتزمته في هذي المسرحية، إخناتون ونفرتيتي.

البيت الواحد في المسرحية تألف غالباً من ست تفعيلات وقد ينقص، ولا يزيد عنها إلا في النادر، كما أن البيت ليس وحدة، كما في الشعر العربي التقليدي (المألوف) أو القديم، وإنما الوحدة هي الجملة تامة المعنى، تيك الجملة قد تستغرق بيتين أو ثلاثة أكثر، دون أن يقف القارئ إلا عند نهايتها، وهذا معنى المنطلق هنا.

أما معنى المرسل فواضح، أي أنه مرسل من القافية، على أن النظم في هذي المسرحية لم يتحرر التحرر المطلق من سلطان القافية إلا في الفصل الثاني، وما بعده، ولا يصعب تعليل ذلك على من يعلم أن القافية تعين الشاعر على السبح أكثر مما تعوقه.

وهذي الطريقة تختلف اختلافاً أساسياً عن الطريقة التي سلكها كثير من الشعراء المحدثين كالزهاوي وأبي حديد وغيرهما مما أسموه بالشعر المرسل، فالنظم على طريقتهم تلك لا يختلف عن النظم العربي القديم إلا في إرساله عن القافية، وإذا اتفق – أحياناً – أن البيت ليس بوحدة فيه من حيث المعنى أو الإعراب، فإنه على أي حال وحدة مستقلة من حيث النغم الموسيقي، أي أن النغم لا يطّرد في بيتين، بل ينقطع عند نهاية البيت الأول، ويبتدئ من جديد في أول البيت التالي، وهكذا دواليك.

وفي نظر باكثير أن هذي الطريقة الجديدة التي لا يعلم أحداً سبقه إليها، هذي الطريقة أصلح طريقة للشعر التمثيلي[١].

انتهى ما قاله باكثير في تقديم مسرحيته (إخناتون ونفرتيتي) وهي المسرحية الأولى التي كتبها، وكان هذا عام ١٩٣٨– كما سلف – ثم خرجت طبعتها الأولى بعد عام – أي ١٩٤٠– وبعد تسعة وعشرين عاماً، كانت الطبعة الثانية، وكانت مقدمتها التي سطرها باكثير في عام ١٩٦٧، كما أشرنا سلفاً.

ولعل النجاح الذي لاقته مسرحية (إخناتون ونفرتيتي)[٢] عندما نشرت لأول مرة عام ١٩٤٠ دفع باكثير إلى تأليف مسرحيته الثانية (الفرعون الموعود) وكلتاهما حول تاريخ مصر القديم، أو حول (أخناتون) وهذي الأخيرة كتبها باكثير عام ١٩٤٥، أي بعد نشر الأولى بخمس سنوات.

وكما فجر الرجل مفاجأة من العيار الثقيل نهاية مسرحية (أخناتون ونفرتيتي) عندما قدم تعريفاً بشخصيات مسرحيته بعيدها، وهذا الذي ذكر هو جزء

---

(1) إخناتون ونفرتيتي، مقدمة المؤلف، انظر ص١٤ وقبلها.

(2) (إخناتون) بكسر الهمزة وفتحها.

لا يتجزأ من المتن الحكائي للمسرحيتين، في حين فجر في بداية مسرحية (الفرعون الموعود) مفاجأة أخرى لا تقل عن المفاجأة الأولى، إذ ذكر في بداية المسرحية المتن الحكائي لمسرحيته، بعنوان: الشقيقان، محفوظ بالمتحف البريطاني برقم ١٠١٨٣ للكاتب المصري القديم (ناني) كاتب الخزانة المدعو (كاجابو).

يقول باكثير مقدماً مسرحيته: لكي نطلع القارئ على الأسطورة التي بنيت عليها المسرحية (المتن الحكائي) ونتيح مجال المقارنة والتأمل (أي المقارنة بين المتن والمبني الحكائي) آثرنا أن نوردها – أي الأسطورة – هنا ملخصة عن كتاب (من أدب الفراعنة) للأستاذ محمد صابر[1].

وبكل توكيد نطمئن إلى أن كتاب (محمد صابر) نشر قبل عام تأليف المسرحية، أو قبل كتابتها، أو قبيل كتابتها عام ١٩٤٥م ونحاول الآن إيجاد معلومات عن هذا الكتاب.

وهكذا وضع لنا باكثير ووضح المتن الحكائي لكلتا المسرحيتين، وهنا أكتب ملاحيظي على هذا المتن، والذي انتقل إلى المبنى الحكائي، أي أن الملاحيظ نجدها في المتن والمبنى كليهما:

أولاً– ملوك مصر القديمة ليسوا فراعنة: إن المؤلف يقدم مقدمة الطبعة الأولى لفرعون ونفرتيتي بقوله:

---

(1) راجع (الفرعون الموعود) ص٣، كتاب (من أدب الفراعنة) لمحمد صابر، طبع بمطبعة حليم بالقاهرة، خاتمة عام ١٩٤٠، في مجلد واحد. وفي ٣٢٦صفحة.

أبــوكم أبــي يــوم التفــاخر يعــرب وجــدكمو فرعــون أضــحى بكــم جــدى[١]

وبطبيعة الحال فإن الشاعر يبدي مشاعره الصادقة نحو مصرنا الذي شرف بإقامته في ديارنا، لكن يا أخابني يعرب: شكراً على مشاعرك، لكن أيها القادم من سورابايا، إن أجدانا ليسوا فراعنة.

كيف ذاك؟ إن المقصود بفرعون، هو فرعون موسى وهارون – عليهما الصلاة والسلام – أما باقي ملوك مصر القديمة فلم يكونوا من هذا الفرعون بشيء وعندي من الأدلة ما يلي:

١- في القرآن الكريم: وردت لفظة فرعون أربعاً وسبعين مرة، ويمكن للقارئ أن يراجعها جميعاً مستعيناً بالمعجم المفهرس للقرآن الكريم لمحمد فؤاد[٢] عبد الباقي فسوف يتوكد أن المقصود من فرعون هذا هو فرعون موسى فقط ليس إلا.

٢- إن لفظة (فرعون) في القرآن الكريم ما جاءت إلا:

- مفردة، فلم تثن، ولم تجمع مطلقاً.
- إنها ممنوعة من الصرف، لأنها إن صرفت خرجت من لباس الواحد، إلى متعدد ومتعددين من غيره، كما في سيبويه مبنية على الكسر هي علم على هذا العلم صاحب الكتاب، فإن نونت وصرفت انصرفت إلى جهبذ من جهابذة العربية المشبه لسيبويه (الأول).

---

(1) من البسيط.

(2) القاهرة ٢٠٧، ص٦٢٦.

٣- عندما تحدث القرآن الكريم في سورة يوسف عن حاكم مصر فإنه ما سماه (فرعون) أو (الفرعون) وإنما قال نصاً:

- (وقال الملك: إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف...)٤٣ يوسف.
- (وقال الملك: ائتوني به فلما جاءه الرسول، قال: ارجع إلى ربك فاسأله...) ٥٠ يوسف.
- (وقال الملك: ائتوني به أستخلصه لنفسي...) ٥٤ يوسف.

ومن هبل ومن عبط أن يقول باده: عندما نتكلم عن التاريخ أو عن الحقائق التاريخية، فلا يصح من بعيد أو من قريب أن نقول قال القرآن، وبعضٌ يقول لك: (إن القرآن يقيني الثبوت ظني الدلالة) وهذا خطأ واضح فاضح، فإن القرآن الكريم ليس كله ظني الدلالة، بل إن تعبيراته شديدة الدقة، إذ الفرق بينه وبين غيره من الكلامات أو المكتوبات هو فرق بين قائل وقائل، بين الله منزل القرآن، وبين مخاليقه.

إن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي نزل من السماء بذات الترتيب وبذاته النطق والقراءة، قال تعالى: (إن علينا جمعه وقرآنه) وقراءته (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه)[1] في هذي الآيات أكد الله لرسوله – صلى الله عليه وآله – وتعهد بعدة أمور.

- أن يعي الرسول ويحفظ القرآن كاملاً، دون نسيان شيء منه.
- إن القرآن يقرأ بنفس الطريقة التي أخذها جبرائيل عن رب العزة.
- سينقل إلى الرسول تفسير القرآن وبيان معانيه.

---

(1) ١٦ – ١٩/ القيامة.

ليس هذا فقط، ولكن:

في الحديث النبوي: فرعون هذه الأمة أبو جهل.

- حين رأى المصطفى – صلى الله عليه وآله – جثة أبي جهل عقيب معركة بدر، قال: (هذا فرعون هذه الأمة)[١].
- وقف – صلى الله عليه وآله – على مصرع ابني عفراء – منذر وعوف – فقال: (رحم الله ابني عفراء، فهما شركاء في قتل فرعون هذه الأمة، ورأس أئمة الكفر[٢]).
- عندما ألقى رأس أبي جهل بين يدي الرسول في بدر قال: (الله أكبر، الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب، إن لكل أمة فرعوناً، وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل[٣]).
- وفي رواية أخرى: (لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل[٤]).
- وروي عنه – صلى الله عليه وآله – أنه قال: (من قال لأبي جهل – أبا الحكم – فقد أخطأ خطيئة يستغفر الله منها)[٥].

وأبو جهل هو عمرو بن هشام الذي قاد الحرب ضد محمد – صلى الله عليه وآله – في بدر وقد كناه المصطفى أبا جهل، لأنه كان يكنى قبل ذلك أبا الحكم، وعندما هلك خلفه في القيادة أبو سفيان الأموي.

---

(1) لسان العرب لابن منظور، مادة: (ف ر ع ن).

(2) www.al-eman.com.

(3) www.alahmad.com.

(4) أنساب الأشراف للبلاذري، القاهرة ١٩٨٧م، ١/١٢٥.

(5) السابق.

وأولى الملاحظ هنا أن كلمة (فرعون) جاءت في الأحاديث الشريفة منونة، كما في: (إن لكل أمة فرعونا...) على عكس كلمة (فرعون) في القرآن الكريم، التي ما جاءت منونة البتة في كل مواضعها، ولنا عود إلى هذي النقيطة بعد الحديث عن الكلمة في المعاجم العربية، أو من خلالها:

في المعاجم العربية: وفي هاتيك المعاجم التي إليها رجعنا وجدنا ما يلي:

١- معنى فرعون: هو بلغة القبط معناه: (التمساح) و(فرعون) بضم الفاء وكسرها[1].

٢- أصل فرعون: هو بالمصرية (القديمة) هو (بَرْعو) بدون نون، البيت العظيم،أو (القصر العظيم) المكان الذي كان يقيم فيه فرعون، كما كنا نقول (الباب العالي) في حاضرة الدولة العثمانية، والبيت الأبيض في الولايات المتحدة الأمريكية.

٣- فرعون: لقب الوليد بن مِصعب، ملك مصر على أيام موسى وهارون، وكل عاتٍ فرعون، أي كل ظالم مستبد هو فرعون، والدروع الفرعونية هي منسوبة إلى فرعون موسى، وفرعون كل نبي ملك دهره وزمانه، أي المستبد العاتي في عصره.

٤- قال النظامي:

وشُق البحر عن أصحاب موسى وغرّقت الفراعنة الكِفار

أي الكُفار، جمع كافر، وفرعون الذي ذكره الله - تعالى- في كتابه من هذا، وبعبارة أخرى فإن فرعون المذكور في القرآن هو فرعون موسى، الذي أغرقه الله، من باب إطلاق الجمع وإرادة المفرد، أي غرق فرعون الكافر.

---

(1) لسان العرب، وتاج العروس للزبيدي.

٥- المنع من الصرف: وفرعون الذي ذكره الله في قرآنه إنما ترك صرفه لأنه لا سمى له، مثل (إبليس) فيمن أخذ أنه من (أبلس) وقال ابن سيده: وعندي أن فرعون هذا علم أعجمي، ولذا لم يصرف.

ابن منظور يؤكد ما سبق مرة أخرى، وإن بعبارة أخرى، إذ يقول: لم ينون (فرعون) كما لم ينون إبليس، لكن من تخلق بأخلاقهما سمي باسميهما ونون اسمه.

٦- إفراده: فرعون - أي في القرآن - لم يعرف بالألف واللام، ولم يثن ولم يجمع، كما جاءت (إبليس) أيضاً في القرآن، بدون ألف ولام، ولا تثنية ولا جمع، ومرة أخرى مرة أخرى ما نونت في كل مواضعها في القرآن، وقد جاءت في الكتاب الكريم إحدى عشرة مرة.

أما في غير القرآن فإن (فرعون) يمكن أن تنون، وأن تعرف بالألف واللام، وأن تثنى وأن تجمع على (فراعنة) أو (فراعين) حيث المعنى يشير إلى العتاة المتجبرين في كل أمة، وفي كل جيل، وفي كل بلد، وهو في هذي الحالة ليس فرعون موسى، ولكن من تخلق أو تخلقوا بأخلاقه، كمن تخلقوا بأخلاق إبليس أيضاً.

إن الحوار حول تنوين (فرعون) وأضرابه، سيما حول أسباب المنع من الصرف، هل هو:

- العلمية والعجمة.
- أو لأنه لا سمى له، مثل (إبليس) أي قبل نزول القرآن.

فمن قال بأن سبب المنع من التنوين عجمة هذا العلم دعم قول من قال بأن القرآن عربي، وفيه ألفاظ عجمية، وإن عربت، إذ بدلامن (بَرْعو) القبطية عربت في الكتاب العزيز إلى (فرعون).

وأما من قال بأن سبب المنع من الصرف أنه لا سمى له، أو لا نظير له في صيغته ونطقه فإن هذا يدعم الرأي بأن القرآن عربي، ما تسرب إليه لفظ عجمي البتة البتة.

وفي دراسات سابقة رأيت أن سبب المنع من الصرف هو طول الكلمة[١]، وعديد عناصرها من صامت وحركة، التي وصلت إلى ثمانية عناصر ما بين صامت وحركة (فرعونُ) ومنهم من قال بأن أسباب المنع في هذي الكليمات غرابة الوزن والصيغة.

ثانياً- تجاهل المسرحيتين لوجود النبي يوسف في مصر: تجاهلت مسرحيتا باكثير وجود يوسف الصديق - عليه الصلاة والسلام - في بلدنا، ودوره من تفسير رؤيا الملك أخناتون، ثم إيمانه بيوسف، الذي أدار الأزمة في مصر، حين جف النيل منها، وهذي من الحقائق المؤكدة الموثقة، فقد جاءت قصة نبي الله الصِّديق في سورة باسمه، حكت حكايته منذ رأى حلمه الشهير إلى أن انتهت بتحقيق هذا الحلم.

وقد كنت أتوقع من كاتب ذي ثقافة إسلامية معمقة مثل باكثير أن لا يتجاهل ما سبق، مع أنه قدم لبعض مسرحياته بالآية[٢]:

(ورسلاً قد قصصناهم عليك ورسلاً لم نقصصهم عليك)

---

(1) راجع دستور اللغة العربية، الحلقة الثالثة، القاهرة ٢٠١٠، ص٤٣٨.

(2) راجع ما جاء عن الأسطورة التي اقتبست منها مسرحية (الفرعون الموعود) ص٦ وقبلها.

فمن قال بأن سبب المنع من التنوين عجمة هذا العلم دعم قول من قال بأن القرآن عربي، وفيه ألفاظ عجمية، وإن عربت، إذ بدلامن (بَرْعو) القبطية عربت في الكتاب العزيز إلى (فرعون).

وأما من قال بأن سبب المنع من الصرف أنه لا سمى له، أو لا نظير له في صيغته ونطقه فإن هذا يدعم الرأي بأن القرآن عربي، ما تسرب إليه لفظ عجمي البتة البتة.

وفي دراسات سابقة رأيت أن سبب المنع من الصرف هو طول الكلمة[١]، وعديد عناصرها من صامت وحركة، التي وصلت إلى ثمانية عناصر ما بين صامت وحركة (فرعونُ) ومنهم من قال بأن أسباب المنع في هذي الكليمات غرابة الوزن والصيغة.

ثانياً– تجاهل المسرحيتين لوجود النبي يوسف في مصر: تجاهلت مسرحيتا باكثير وجود يوسف الصديق – عليه الصلاة والسلام – في بلدنا، ودوره من تفسير رؤيا الملك أخناتون، ثم إيمانه بيوسف، الذي أدار الأزمة في مصر، حين جف النيل منها، وهذي من الحقائق المؤكدة الموثقة، فقد جاءت قصة نبي الله الصِّديق في سورة باسمه، حكت حكايته منذ رأى حلمه الشهير إلى أن انتهت بتحقيق هذا الحلم.

وقد كنت أتوقع من كاتب ذي ثقافة إسلامية معمقة مثل باكثير أن لا يتجاهل ما سبق، مع أنه قدم لبعض مسرحياته بالآية[٢]:

(ورسلاً قد قصصناهم عليك ورسلاً لم نقصصهم عليك)

---

(1) راجع دستور اللغة العربية، الحلقة الثالثة، القاهرة ٢٠١٠، ص٤٣٨.

(2) راجع ما جاء عن الأسطورة التي اقتبست منها مسرحية (الفرعون الموعود) ص٦ وقبلها.

ولا أدري ماذا يقصد من هذا، أو من يقصد من الرسل...!! المعنى في بطن الشاعر – رحمه الله – فلعل باكثير لم يك متأكداً من أن أخناتون هو من آمن بيوسف، إلا أن باكثير ذكر في ما يسمى بإيمان أخناتون بوحي من السماء، صدى لبعض ما ورد في سورة يوسف، فمن هذا الأخير ما يلي:

- في متن (الفرعون الموعود) أن زوجة شقيق باتا، الذي كفله شقيقه أنبو مثل ابن من أبنائه قد مالت إليه الزوجة[١]، وحين تأبى عليها وتمنع ادعت عليه، كما ادعت زليخا على يوسف النبي... ثم تبين أنها هي التي راودت أخا زوجها، إن هذا يشبه ما جاء في سورة يوسف.
- وفي مبنى ذات المسرحية[٢] – مثلاً – يقول باتا لأخيه: معاذ الرب يا أنبو أن أحدث نفسي بخيانتك في زوجتك، وأنتما ربيتماني صغيراً.

إن مادة (الخيانة) هنا هي نفسها التي وردت في قولة يوسف – عليه السلام – مدافعاً عن نفسه، ومستخدماً ذات المادة في قوله: (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب، وأن الله لا يهدي الخائنين)[٣] هكذا دافع نبي الله عن نفسه بأنه لم يخن سيده عزيز مصر، الذي اشتراه ورباه في بيته.

أما ما يشير إلى إيمان فرعون بوحي من السماء، فهو يظهر فيما يلي:

- يصف باكثير إخناتون في دراسة تحليلية لشخصيات مسرحية إخناتون ونفرتيتي إيمان إخناتون بأنه إيمان عميق[٤]، إيمان عميق بماذا؟.

---

(1) ص٦٧.

(2) السابق.

(3) ٥٢ يوسف.

(4) إخناتون ونفرتيتي،ص١٥١.

- إيمان بإله الخير آتون في مقابل رب الشر آمون، الأخير للموت والظلام والشقاء، والأول للحياة والنور والسعادة[1]، بل إنه كما تقول السيدة تي (والدته): فمحا اسم آمون من اسم أبيه، بل (محاه من اسمه هو فسمى نفسه أخناتون، بدل أمنحتب الرابع) وإخناتون، أي: عبد الإله الواحد آتون، أو الروح الحية لآتون.
- هذا الصراع الذي أدى إلي محاولة كبير الكهنة إغراء من يقتل إخناتون، تقول السيدة تي: ولذلك آلى يمينا (أي أخناتون) ليستولين على أوقاف آمون ينفقها في مجد آتون[٢].
- وعندما تدعو أمه (تي) بأن يرزقه الله شقيقاً لبناته، يرد على أمه قائلاً:

يستجيب الرب دعاءك يا أماه.
ربنا هب لنا من لدنك غلاماً.
زكياً يخلفني في نصرة دينك[٣].

- إخناتون كان يقضي الساعات الطوال يباحث العلماء في الملل وفي العقائد، وهذا ما نصت عليه زوجه نفرتيتي[٤].
- وهو يتمنى أن يقضي على جميع الآلهة في مصر، ولا يبقى:

إلا رب واحد يدعوه الورى أجمعون.
الرب الكريم الرحيم العطوف الرءوف الحنون.
يوم يغدو الناس جميعاً وهم إخوة آمنون.

---

(1) السابق، ص٣٨.
(2) السابق ص٧١.
(3) ص٩٥.
(4) ص١٠١.

- ويرى أخناتون أن كهنة آمون اتخذوا دينهم مهنة يكسبون بها عيشهم: لا تبالون من بعده هدى الناس أو ضلوا[١].

ليس همكم ربا تعبدون، ولا قوما تهدون

ولكنه جاه تطلبون وأموال تجمعون

ما آمون ورع وفتاح وتلك الآلهة الأخرى

إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم

- يقول أخناتون لزوجه نفرتيتي:

ويح الأنثى، لا تكون الأنثى قط رسولا

حسب الأنثى فخراً أنها تلد المرسلين[٢].

فكرة الرسالة للذكران فقط، وليس للإناث، لا يصل إليها إلا من كان على صلة بوحي السماء وذلك خلال إيمانه وصحبته لرسول من رسل السماء.

وبعد هذا كله فإني على يقين خاصة بعد قراءتي الواعية لمسرحية إخناتون ونفرتيتي أن فكرة أو أفكار إخناتون تشي وتشير إلى إيمان قوي بالإله الواحد في مقابل الآلهة الأخرى المتعددة والزائفة، وإنه وحده وفي هذه الفترة الزمنية التي تمتد من عمق التاريخ إلى ما يزيد عن ألف سنة قبل الميلاد، وأكثر من ثلاثة آلاف عام من الآن لا يمكن أن تكون أفكاراً وصل إليها أخناتون دون نبي أو رسول متصل بالسماء يوحى إليه ويمده بهذا الإيمان العميق، وما نرى هذا الرسول إلى يوسف الصديق، عليه السلام.

---

(1) ص١١٥.

(2) ص١٣٠.

ونرجع الآن إلى بعض الروايات التي تؤكد إيمان إخناتون بنبي الله يوسف – عليه السلام – نلخصها فيما يلي:

- نجاح أخناتون في محو اسم الإله آمون وصوره، وباقي الآلهة في مصر.
- آمن بيوسف وجعله وزيرالاقتصاد.
- ترك مدينة طيبة، وبنى عاصمة جديدة في تل العمارنة في المنيا، اهتم في عاصمته الجديدة بصوامع الغلال.

وما أرى هاتيك الصوامع إلا من بنات أفكار وزير الاقتصاد، يوسف الصديق، ولعل هذي العاصمة أنشئت خصيصاً لبناء هذي الصوامع.

ويوجد نقش في المتحف المصري بالقاهرة لأخناتون على حجر جيري تركع أمامه بعض الوفود الأجنبيه، دليل قوي على مكانة الملك وهيبته في ذياك الزمان[١].

ومن ناحية أخرى فقد تحدثت المصادر الإسلامية عن قصة يوسف وإخوته وأبيه يعقوب في مصر، ولا أظن أن باكثير كان بعيداً عن هاتيك المصادر، لكنه ربما كان على غير يقين بأن الملك أخناتون هو من ذكر في سورة يوسف، ولذا ما جاء ذكر من هذا من بعيد أو من قريب في مسرحيات باكثير.

وللقراء – سيما المصريون منهم – ألخص ما جاء في قصص الأنبياء عن آل يعقوب في مصر[٢]:

نزلت سورة كاملة باسم (يوسف) ابن راحيل والتي توفيت في حياة يوسف، وسوف نتحدث عن قبرها لاحقاً.

---

(1) www.startimes منتديات ستارتايمز

(2) لابن كثير، القاهرة ١٩٨١، ص٢٢٩.

وأول إشارة إلى مصر في سورة يوسف (وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا[1]) لقد جلس يوسف في الجب ينتظر فرج الله، جاءت قافلة سيارة قاصدين مصر من الشام[2]، هذا الطريق الذي كان مطروقاً أرسلوا بعضهم ليستقي من البئر، فلما أدلى دلوه تعلق به يوسف، فلما رآه ذياك الرجل، قال: يا بشرى هذا غلام... (والله عليم بما يعلمون).

الله عليم بما تمالأ عليه إخوته، ففي هذا حكمة بالغة وقد سبق رحمة بأهل مصر بما يجري الله على يدي هذا الغلام الذي يدخلها في صورة سبى (رقيق) ثم بعد ذلك يمكنه الله ليملكه أزمة الأمور، وينفع الله المصريين به في دنياهم وأخراهم بما لا يحد ولا يوصف.

وكان الذي شرف بشراء يوسف من أهل مصر عزيزها، الوزير بها (أطغير) وكانت خزائن مصر إليه، واسم امرأة العزيز (زليخا) والظاهر أنه لقبها، وعن ابن عباس: كان اسم الذي باعه في مصر (وجلبه إليها مالك بن زاعر... بن إبراهيم) عليه السلام، أي كان الذي باعه إلى (أطغير) هو ابن عم ليوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم – عليهم الصلاة والسلام – إذ الأول هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، أما ابن زاعر فمن أحفاد إسماعيل بن إبراهيم –عليه السلام – ينتهي نسبه إلى الجد إبراهيم من طريق إسماعيل، وليس إسحاق.

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: أفرس الناس[3]:

- عزيز مصر حين قال لامرأته: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا.

---

(1) ٢١ يوسف.

(2) السابق.

(3) قصص الأنبياء لابن كثير، ص٢٣٧.

- والمرأة التي قالت لأبيها عن موسى: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين.

(وكذلك مكنا ليوسف في الأرض، ولنعلمه من تأويل الأحاديث، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ولما بلغ أشده) أربعين سنة (آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين).

ثم يفصل ابن كثير في قصص الأنبياء من مروادة زليخا، ثم دعوة يوسف (رب السجن أحَب إلى مما يدعونني إليه) ودخل يوسف السجن، وقضى فيه سبع سنوات على الراجح، وفي السجن التقى الفتيين، وفسر لهما رؤيتهما، وهو ما تحقق بالفعل، نجا أحدهما، وقتل الآخر وصلب.

وعندما رأى ملك مصر رؤياه المشهورة تذكر الذي نجا منهما يوسف الذي فسر الحلمين. بعد أن عجز معبرو آمون في تفسير رؤيا الملك، ولكن يوسف اشترط تبرئته مما نسب إليه، فكان له ما أراد.

ونرى بشكل عام أن ابن كثير سرد ما سرده القرآن في السورة:

يوسف عزيز مصر – لقاؤه مع إخوته – إبصار أبيه يعقوب حين شم قميص يوسف – دعوة يعقوب وآله للقدوم إلى مصر – تحقق رؤيا يوسف في بداية السورة – أحد عشر كوكباً سجدوا له هم عديد إخوته – الشمس والقمر سجدوا أيضاً – يعقوب وخالة يوسف[1] (ليا) فقد ماتت الأم (راحيل) قبل ذلك.

ومما جاء في قصيص الأنبياء لابن كثير: أن يعقوب وذريته حين اقتربوا من حاضرة مصر آنذاك خرج يوسف لتلقيه ومن معه، وخرج الملك أيضاً وجنوده

---

(1) في الحديث الشريف: (الخالة والدة).

وأعيان مصر وأهلوها إكراماً ليوسف وتعظيماً لنبي الله يعقوب الذي دعا للملك، ولأهل مصر، فدفع الله عن وادي النيل بقية سنين الجدب ببركة قدوم يعقوب إليها.

قال ابن مسعود: (كان مع يعقوب أبناؤه وأحفاده، ثلاثة وستون نفسا وذراريهم حتى بعث موسى وهارون، فكانوا – كما قيل – أزيد من ستمائة ألف مقاتل).

وقيل إن يوسف حين أدار الأزمة باع أهل مصر وغيرهم من الطعام الذي كان تحت يده بأموالهم كلها من الذهب والفضة والعقار والأثاث، وما يملكونه كله حتى باعهم أنفسهم فصاروا أرقاء، ثم أطلق لهم أرضهم، وأعتق رقابهم على أن يعمروا مصر، ويكون خمس ما ينتجون من زرعهم وثمارهم للملك، فصارت سنة أهل مصر بعده، هكذا جاء في قصص الأنبياء.

وجاء فيه أيضاً: أقام يعقوب بديار مصر عند ابنه يوسف سبع عشرة سنة، ثم توفى – عليه السلام – وكان أوصى إلى ابنه يوسف أن يدفن عند أبيه اسحاق وجده إبراهيم – عليه السلام – وعندما مات يعقوب بكى عليه أهل مصر سبعين يوماً.

وقد أمر يوسف الأطباء فطيبوا أباه بالطيب، الذي مكث فيه أربعين يوماً، ثم استأذن يوسف ملك مصر في الخروج مع أبيه ليدفنه عند أهله فأذن له، فخرج معه أكابر مصر وشيوخها، فلما وصلوا (حبرون) أي الخليل الآن – دفنوه في المغارة التي اشتراها إبراهيم الخليل من (عفرون بن صخر الحيتي) وأقاموا له عزاءً سبعة أيام، ثم رجعوا إلى مصر.

ثم حضرت يوسف – عليه السلام – الوفاة، فأوصى أن يحمل معهم إذا خرجوا من مصر، فيدفن عند آبائه، فحنطوه ووضعوه في تابوت، فكان بمصر

حتى أخذه معه موسى – عليه السلام – فدفنه عند آبائه، فمات يوسف وهو ابن مائة سنة وعشر سنين[1].

وبعد أربعمائة سنة وثلاثين سنة، وهي مدة إقامة بني يعقوب في مصر خرجوا منها أيام موسى – عليه السلام – أخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام[2]، وفي النهاية دفن في المغارة مع جده إبراهيم وإسحاق، وأبيه يعقوب، قال الدكتور شوقي أبو خليل: (بعد موت يوسف عليه السلام – نقل إلى حبرون (مدينة الخليل الآن في الضفة الغربية) وفي مغارة المكفيلة تابوت يوسف، وإن كان له مقام بمدينة نابلس، ومقام آخر قرب بلدة النبك في القلمون السورية)[3].

وسوف نحاول الحصول على صور لمثل تيك المعالم، وخرايط لما ذكر من بلدان ومواضع.

ومن هذا كله أقول: لو أن باكثير قدر له أن يطلع على مثل هذا المصدر وغيره من المصادر الإسلامية لأثرت هاتيك المتن الحكائي – وكذا المبني – بروايات وتفاصيل تفوق ما ذكر في مسرحياته، ولكن الأديب الكبير لم يك على يقين من أخناتون هو من آمن بنبي الله يوسف وجعله عزيز مصر والوزير بها، وهذا ما يجب أن نفطن إليه.

بل إن المازني في تقدمته لمسرحية (إخناتون ونفرتيتي)[4] قد قدم إشارات وتلميحات، ما التفت إليها باكثير، أو ما تنبه لها، سيما ما أقتبسه الآن:

---

(1) قصص الأنبياء، ص٢٦٦.

(2) السابق، ص٣٥٩.

(3) أطلس القرآن الكريم من بيروت ٢٠٠٣، ص٦٧.

(4) ص٨.

فقد استطاع السيد باكثير أن يصور عصر إخناتون، والبوادر المنبئة بوشك التطور، وشخصية هذا الملك المسيحي الروح، الشاعر، الحالم، المؤمن بأن له رسالة روحية واجبة الأداء والتبليغ.

ثالثاً- مكان المسرحيتين: في المسرحية الأولى (إخناتون ونفرتيتي) ذكر باكثير أن مكان المسرحية هي طيبة (الأقصر) جمع قَصْر، في صعيد مصر، ثم العاصمة الجديدة التي بناها أخناتون باسم (أخيتاتون) التي تقع الآن في تل العمارنة بمحافظة المنيا، تيك المدينة الجديد أخيتاتون، أو: (مدينة الأفق) كما جاء في المسرحية والتي جاء وصفها والحديث عنها سيما على لسان إخناتون بانيها موجهاً حديثه لأمه السيدة تي:

ستربن محاسنها بعد يا أماه

فتدرين أن أخيتاتون الجديدة درة مصر

وأجمل عاصمة في المشرق والمغرب

سترين حدائقها الغناء تحيط بأقطارها

وميادينها الفيحاء تفور نوافيرها بالماء

سترين فيها الحيضان (الأحواض) البديعة

يسبح فيها الإوز الجميل

ويمكن للقارئ الرجوع إلى وصف إخناتون العاصمة الجديدة[1]، وما العيب أو الضير في هذا، إن بناء هذه المدينة الجديدة كان من وجوه انتقاد الملك حيث ادعى المنتقدون أن المدينة أهملت بعد وفاة بانيها، وهل هذا عيب فيه أم في مهمليها، على فرض وقوع هذا الإهمال.

---

(1) ص٩٢ وما بعدها.

لكن ألا نفخر – نحن المصريين – على أن أحد أجدادنا هو من بنى أقدم مدينة جديدة في التاريخ؟ وقد ازدانت مصر الآن بمدن عديدة جديدة، السادس من أكتوبر، العاشر من رمضان، دمياط الجديدة، عروس المدن الجديدة، وأكثر المدن الجديدة كثافة في سكانها الذين يقدر عديدهم الآن بنصف مليون نسمة، أو أكثر من هذا.

كما قدر باكثير أن هذي الأحداث في مسرحيته وقعت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، لكنه في مسرحيته الأخرى لم يذكر لنا عن زمنها شيا (شيئاً) إلا أنه ذكر أن أحداث الفرعون المفقود وقعت في منف عاصمة مصر، وفي لبنان، وأتصور أنه نقل هذا من الأسطورة، المتن الحكائي للمسرحية، والتي قرأها في كتاب: (من أدب الفراعنة) الذي نشر عام ١٩٤٠، كما سلف.

والآن نتحدث عن منف التي ذكر أنها كانت عاصمة مصر، فنقول: منف أو منفر أو ممفيس: مدينة مصرية قديمة أسسها عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد، الملك نارمر، وكانت عاصمة في عصر الدولة القديمة (الأسرات من ٣ – ٦) ومكانها الحالي بالقرب من منطقة سقارة على مبعدة ١٩ك م جنوب القاهرة، بقرية ميت رهينة:

وكانت منف تعرف باسم الجدار الأبيض حتى القرن السادي والعشرين قبل الميلاد إلى أن أطلق عليها المصريون (من نفر) فحرفه الإغريق إلى (ممفيس) ثم أطلق عليها العرب منف... وفي تلك القرية (ميت رهينة) كثير من الآثار المصرية المهملة.

نعود إلى قصة يوسف في مصر حيث يقال: إن قصر (أطفير) الذي اشترى يوسف كان في سقارة جنوب البدرشين في الجيزة جنوب القاهرة في

الجهةالغربية من النيل[١]، في مقابل حلوان التي تقع في الجهة الشرقية المقابلة لمدينة البدرشين، وكذا وقع السجن الذي بقى فيه نبي الله يوسف سنوات من عمره.

وحبذا لو خضع هذا للتحقيق العلمي لنعرف هذي المواضع أو هذه الأماكن، لتكون مزاراً للسياحة الداخلية والخارجية.

والآن نعود مرة أخرى لنبي الله يعقوب – عليه السلام – لنشير إلى أنه دفن زوجه (راحيل) أم ابنه يوسف عند عودته من (فدان) أي (العراق) إلى أرض كنعان، وذلك في (أفراث) وهي بيت لحم الآن.

وقد رأيت في بعض المواقع الإلكترونية صورة لقبر راحيل عليه لوحة بالعبرية קבר רחל (قبر راحيل) بالعربية، يقع المكان فرب بيت لحم عند مدخل المدينة، وصف بعض السياح في القرنين السادس والسابع المزار بأنه مبني على شكل هرم من اثنى عشر حجرا إشارة إلى أسباط بني إسرائيل الاثني عشر، يعود شكل القبر الحالي إلى نهاية القرن الثامن عشر، وقد أضاف إليه المسلمون في القرن الماضي دهليزاً مع محراب ليصلي المسلمون فيهما[٢].

وعودة مرة أخرى إلى قبر يوسف عليه السلام – لتشير إلى ضريح لهذا النبي في نابلس شمال الضفة الغربية حيث نقلت وسائل الإعلام أنه في ٢٠١٥/١٠/١٦، أضرم شبان فلسطينيون غاضبون النار في ذياك الضريح، إذ يدعي الإسرائيليون أن رفات يوسف فيه، هذا ما قيل، ولا أدري من أضرم النار؟ هل فلسطينيون أم دُخلاء أم... أم...؟! هي مسألة تستحق البحث والتمحيص.

---

(1) www.arabic.nt.com.

(2) www.chariatuntnex.org

رابعاً- صورة أخناتون في مسرحية فرعون ونفرتيتي:

١- عداؤه للكهنة.

٢- ضعفه في مواجهة الأعداء.

٣- سذاجته.

ومن ناحية أخرى فإنه منذ عشرة شهور سلفت فوجئت بعدة برامج وثائقية عن إخناتون في فضائيات عربية مرموقة تجمع على وصم الرجل بما يلي:

١- الهرطقي، أو أنه مهرطق.

٢- خراب أخيتاتون بعد مماته.

٣- عودة نفوذ الكهنة بعد وفاته.

ونناقش مما سبق نقطة نقطة:

١- عداء إخناتون للكهنة: ظهر هذا واضحاً في مسرحية فرعون ونفرتيتي[١]، وعندما قال عميد آمون لإخناتون: (أنت فرقت يا سيدي بيننا) أي بين كهنة آمون، وكهنة رع وفتاح، رد الملك بقوله:

كلا، بل أهواؤكم ومطامعكم فرقت بينكم.

ليس همكم ربا تعبدون ولا قوما تهدون

ولكنه جاه تطلبون وأموال تجمعون

تعِدون الناس ببغضائكم وعداواتكم

وتجدّون ما بينهم من أرحام وصلات

....

ما آمور ورع وفتاح وتلك الآلهة الأخرى

---

(1) ص١١٧.

إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم

ما أنزل ربي من سلطان

تبتغون بها عرض الدنيا ومتاع الغرور

وتحولون بين الرب الكريم وبين عباده

تزعمون لهم أنه لا يقبله إلا بوساطتكم

أو يرحمهم إلا بشفاعتكم، كذبا واجتراء عليه

كراهة واضحة لها مبرراتها ومنطقيتها، من سوء استغلال الكهنة لمواقعهم وبشاعة مواقفهم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن إخناتون ما كان بدعا في موقفه من هؤلاء القوم، بل سبقه إلى هذا الموقف أبوه أمنحتب الثالث، بل والسيدة تي نفسها:

أ – والد أخناتون: ظهرت شخصيته الرجل من أول وهلة، هو وديع حليم، مشغول بملذاته وملاهيه وإن كان يضمر العداء لكهنة آمون وهو يسخر من السيدة تي التي تأمل أن يأتي يوم ما يقضي ابنها على كهان آمون[1].

ب- السيد تي: راعها ما وصل إليها كهان آمون من النفوذ العظيم والسلطة الهائلة حتى يسامون زوجها في سلطانه فأخذت على عاتقها أن تقضي على هذا النفوذ الذي أصبح يهدد مركز أمنحتب نفسه، بذرت فكرتها في رأس ابنها إخناتون، فزرعت في قلبه منذ نعومة أظفاره بغض آمون[2]، ولفتت إلى محاولات اغتيال زوجها وأسرته مرة، ومرة أخرى محاولة اغتيال ابنها وهو ملك.

---

(1) راجع ص١٧٣، ٢٢.

(2) راجع ص١٥٨، ٩٦، ٤٧.

٢- ضعف إخناتون في مواجهة الأعداء: انظر كيف فسر إخناتون المعارضة ضد مصر، في بعض الأطراف والبلدان التابعة لها:

أجل خرجوا عن طاعة مصر الظالمة الباغية

خرجوا عن طاعة مصر آمون

ولم يخرجوا عن طاعة مصر آتون

ويتمنى أن يأتي:

ذلك اليوم الحق لا ريب فيه وإن كره المبطلون

يوم لا يبغى المصري على السوري، ولا

يزهى المصري على النوبي، وتلغى الحرب الزبون

يوم يغدو الناس جميعاً، وهم إخوة آمنون

وفي النهاية لم يجد بداً من إرسال الجيوش، وتأديب الخارجية والعاصين، وأعمل فيهم السيف[1]، وسلف ذكرنا أنه يوجد نقش في المتحف المصري بالقاهرة لأخناتون على حجر جيري في ذياك النقش تركع أمام أخناتون بعض الوفود الأجنبية دليل مكانة الرجل وهيبته في ذياك العصر وذاك الزمان.

وإني أعجب لباكثير إذ اعتبر أخناتون رسول الإله آتون، من أين له هذا التصور !؟ لقد جاء في مسرحية أخناتون ونفرتيتي، هذا الحوار:

إخناتون: كن صريحاً معي أبداً فالصراحة في القول ترضي الرسول وإن تغضب فرعون.

حور محب: لكنك فرعون مصر من قبل تكون رسول آتون وعاهلها الأعلى.

---

(1) ص١٠٨.

إخناتون: آه! لو تصفو لي رسالة ربي وأعتق من فرعونيتي[١].

لاحظ أن أخناتون نفسه مقتنع بأنه رسول الله آتون، وكذا من حوله[٢]، ولو أني لا أصدق هذه الرواية عن رسولية الرجل، فإنني لا أتصور كيف لباكثير أن يعتبره ساذجا، وفي ذات الوقت يعتبره رسولاً من عند الإله الواحد.

أما ما جاء في القنوات الفضائية فقد ِليم الرجل وهوجم في عدة نقاط على رأسها:

١- وصم أخناتون بالهرقطة: وقد تم التركيز بشدة على الوصم وذلك الوصف، الهرطقة!! فما معنى هذه اللفيظة؟ إن الكليمة ما هي عربية، هي في ظني ووهلتي إنجليزية من أصل فرنسي، فإن كانت كذلك، وهي بالفعل كذلك، فهي من أصل لاتيني:

الكلمة هي Heresy، ومعناها العربي (بدعة – هرطقة) ومنها كليمة Heretic (المهرطق – الهرطوقي – المنشق عن عقيدة ما) وكذا Heretical (ابتداعي – هرطقي – خارجي – منشق – راديكالي) ومنها أيضاً Heresiarch (المبتدع – منشيء بدعة أو هرطقة)[٣].

معجم ماكميلان رأي أن الكلمة فرنسية مؤنجلة، أو هي إنجليزية من أصل فرنسي، والفرنسية أخذتها من اللاتينية وهذه الأخيرة جاءت بها من الإغريقية (اليونانية القديمة) Hairoê ومعناها يختار أو يقرر[٤].

---

(1) راجع باقي الحوار، ص١١٢.

(2) راجع أيضاً ص١٢٩.

(3) انظر: معجم المورد لمنير البعلبي، بيروت ٢٠٠٥، ص٤٢٣.

(4) A Modern Dictionary of the English language., P266.

وإخناتون اعترف أكثر من مرة أنه انشق وخرج عن ملة الآباء والأجداد، عن عبادة آمون إلى عبادة آتون، وغير اسمه إلى (أخ – آتون) فربط اسمه باسمه، أو بمعنى آخر صبأ عن دين آمون إلى عبادة الإله الواحد، وهذا ما نجده شديد الوضوح في شتى جوانب المسرحية.

أما أن عبادة آمون عادت مرة أخرى بعد وفاة الرجل، وعاد للكهنة لنفوذهم، وعلى رأسهم كهنة آمون، فهذا قول غير صحيح، أو على الأقل مبالغ فيه، صحيح أن موت أخناتون قد يؤثر إيجاباً على الكهنة المتسلطين، وسلباً على المؤمنين الموحدين، ولكن ليس بهذه الصورة التي صورتها هاتيك الفضائيات، أو أعداء هذا الملك.

٢- خراب أخيتاتون: بعد وفاة بانيها، فقد ذكر أن هذا ليس عيب بانيها، إنما العيب عند مهمليها، ولا نرى أنه بمجرد وفاة الرجل خربت الحاضرة الجديد، وعاد الكهنة إلى سابق عدهم، واندثر دين التوحيد، كل هذا غير مقبول، إن مات نصير دين التوحيد، فقد مات يوسف ويعقوب وذرياتهم، تماماً كما مات نصير رسول الله الأكبر، عمه أبو طالب، وموت السيدة خديجة، كان هذا عام الحزن، ولكن دين الله ما انهار، ولا رسوله قد أيس ويئس؟ اللهم لا.

والواقع أن هاتيك البرامج المتلفزة كانت تظهر عداء شديد الوضوح لأخناتون، وشماتة وسعادة بموت الرجل، وعودة الكهنة إلى المسرح وانهيار دين التوحيد وخراب مدينة الأفق، والأهم من هذا كله تجاهل دور يوسف النبي في

مصر، وحضور يعقوب وذريته إلى مصر، فضلاً عن دور أخناتون في مناصرة نبي زمانه، كما جاء في سورة يوسف[1].

(وقال الملك ائتوني به) أي بيوسف (أستخلصه لنفسي، فلما كلمه قال: إنك اليوم لدينا مكين أمين، قال: اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم...).

والواقع بعد الاستماع المركز لتيك البرامج المتلفزة هو عداء واضح لدين التوحيد والركون إلى أعدائه والهجوم المرير على ناصر هذا الدين (أخناتون) وتجاهل دور النبوات، وتجاهل ما قال القرآن الكريم وما قصه في سورة يوسف، مع أن هذا الكتاب هو الكتاب السماوي الوحيد الذي نزل بنفس اللغة التي جاء بها، وأنا هنا أستشهد بمستشرق أمريكي (يهودي) هو هيوم حوراني الذي يتأمل (اللغة العربية، كلم الله التي سبقت رسالات بلغت للناس على نحو أو آخر بالعبرية في العهد القديم أو اليونانية في العهد الجديد، لكن القرآن الذي نزل عربياً، ليس تاريخاً أو سيرة، مثل الإنجيل، بل هو وحي منزل، ولذا فالعربية أكثر لغات وشيجة مع السماء... لهذا أرى كيف قصر المترجمون الإنجليز عن مجاراة معاني القرآن، من آياته ما يمكن اعتباره استكمالاً لتشريعات اللاوين، لكن لله در القرآن، إنه يأخذك عبر سورة البقرة في تكرار وئيد، ثم إذا به يروعك بوحي يتفجر بسرعة البرق، يفاجئك، ويزلزل كيانك بمعدل ثلاثة آلاف قدم في الثانية الواحدة[2].

---

(1) ٥٤، ٥٥ يوسف.

(2) روبرت كابلان: الحملة الأمريكية مستعربون وسفراء ورحالة، ترجمة محمد الخولي، القاهرة ١٩٩٦، ص٤٤٢ وقبلها.

والآن عندي بضع ملاحظ، على رأسها الملاحيظ اللغوية، قبلها أقدم مزيد معلومات حول بعض شخصيات المسرحيتين[١]، مثل:

١- الملكة نفرتيتي: والتي يعني اسمها (الجميلة أتت) وهي زوجة الملك أمنحتب الرابع (إخناتون) من الأسرة الثامنة عشرة الشهيرة، وحماة توت عنخ آمون، وكانت تعد من أقوى نساء مصر القديمة، ولدت ١٣٧١ قبل الميلاد، توفيت ١٣٣١ ق.م.

٢- أخناتون: حكم مصر سبعة عشر عاماً (ت١٣٣٦ ق.م) ودفن بالمقبرة الملكية لأخناتون.

٣- السيدة تي: في يوم الأربعاء ٢٠١٠/٢/١٧م أعلن الدكتور حواس الأمين العام الأسبق للمجلس الأعلى للآثار أن تحاليل الحمض النووي للسيدة تي قد تكون قدمت الدليل في العثور على مومياء (فرعون)[٢] التوحيد إخناتون الذي كان يشكل لغزاً كبيراً في تاريخ الأسرة الثامنة عشرة (١٥٥٠ – ١٣٠٧ ق.م).

وأضاف حواس: بعد أكثر من ١٢٠ عاماً من البحث عن المصير المجهول لمومياء الملك أمنحتب الرابع المعروف باسم أخناتون، مؤسس أول ديانة توحيدية في مصر، تتوافر أدلة كثيرة تشير إلى أنه تم العثور على مومياء هذا الملك

---

(1) مع اعتراضنا على وسم إخناتون بفرعون، كما سلف.

(2) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

وأكد حواس أنه تم العثور على الملكة تي التي توقع علماء في وقت سابق أنها زوجة أمنحتب الثالث وأم أخناتون في مقبرة أمنحتب الثالث، وأشار إلى أن الملكة تي كانت من أقوى الملكات التي عرفتهم مصر القديمة.

والآن بقيت لي بضع ملاحظ، هن:

١- اللغة في (أخناتون ونفرتيتي):

أ – استخدم باكثير ما سماه (النظم المرسل المنطلق) آخذاً ببحر المتدارك: (أصلح البحور كلها وأكثرها مرونة وطواعية لهذا الجديد من الشعر... فأكثر منه في هذه المسرحية)(1).

البيت الواحد هنا يتألف – غالباً – من ست تفعيلات، قد ينقص ولا يزيد عنها! إلا في النادر، كما أن البيت ليس وحدة كما هو الحال في الشعر العربي المألوف، وإنما الوحدة هي الجملة تامة المعنى، الذي قد يستغرق أكثر من بيت، وهذا معنى المنطلق... أما معنى المرسل هو المرسل من القافية، أي لا التزام فيه بقافية واحدة.

وإن جاء شعرٌ عموديٌ على لسان بعض شخصيات المسرحية، وإن على سبيل الغناء، مثل قول نفرتيتي وهي تمسح على رأس إخناتون وظهره وهي تغني:

نم يا بني الحبيب   نم فالصباح قريب

نم فالهواء جميل   نم فالنسيم عليل

نم نم فهذا النعاس   خلال عينيك جاس

مسترقاً في التماس   مضجعه في الحواس

---

(1) انظر ص١٣ وقبله.

وهو من المجتث، تفعيلتين فقط (مستفعلن فاعلاتين) ولكن الأبيات كما ترى مزدوجة، وأول من فعل هذا بشار وأبو العتاهية، فمن قول الأخير :

حسبك مما تبتغيه القوت   ما أكثر القوت لمن يموت

الفقر فيما جاوز الكفافا   من اتقى الله رجا وخافا

هي المقادير فلمني أو فذر   إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر

وهكذا، لكن هذا النوع مهما طال لا يسمى قصيدة[1].

وعندي مثال آخر من الشعر في المسرحية، لكن من البحر المتدارك، تفاعيله (فاعلن فاعلن):

الكاهن يرتل على نغمات الموسيقى:

سبحوا اسم آتون   مجدوا ذكره

أيها الصالحون   رددوا شكره

ربنا المعبود   الحي الدائم

بسناه الموجود   كله هائم

في هذا النموذج الأخير القافية تتغير كل بيتين، وفي النموذج الأول القافية كذلك إلا في بعض الأبيات[2].

ب- اللغة في المسرحيتين قوية و(تراثية) ذات كليمات متميزة، وجمل من القرآن والأمثال:

---

(1) ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، تأليف السيد أحمد الهاشمي، تحقيق حسني عبد الجليل، القاهرة ٢٠١٠، ص١٥١.

(2) النموذج الأول من المسرحية، ص٨٦، والثاني ص٥٨.

- فمن الكليمات المتميزة: (سقيا لزمان الفراعنة السابقين. وفي جفنيها – نفرتيتي – نعاس، وفي شعرها احليلاك... اذهب رحب بالكاهن ريث أجيئكما...).
- وفي الاقتباس من القرآن الكريم: (ربنا هب لنا من لدنك غلاماً... إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم...).
- ومن الأمثال: (... واستنسر فيها كل بغاث[١]... القول الفصل هنا للظبَى والحراب!).

حـ_ برغم قوة اللغة، سيما في (أخناتون ونفرتيتي) فقد وقعت أخطاء لغوية (إملائية) وطباعية، مثل:

- (إبغ) وهذا خطأ، فالألف للوصل، أي بلا همزة تحت، ولا فوق، والصح: (ابغ مجنوناً غيري)[٢].
- (سأفاجيء زوجي الآن) والصح (سأفاجئ) فالهمزة على طرف الياء، لأنها سبقت بكسرة[٣].

وبرغم هذا فإنا نحمد للرجل أنه شكل الكليمات، ودل على الإعراب كثيراً، مثل:

- (بُرَحاءُ العذاب)[٤] بضم الباء وفتح الراء ، وضم الهمزة.
- (... الليل المُقْمر)[١] بضم الميم وسكون القاف.

---

(1) ص١٠٥.

(2) ص٢٠.

(3) ص٧٠.

(4) ص٣٥.

هذا في مسرحية: (أخناتون ونفرتيتي) أما في (الفرعون الموعون) فقد جاءت نثرية، لا شعر فيها، كما هو الواضح لأول وهلة من قراءتها، ولكنها لغة قوية تشي باقتدار المؤلف وتمكنه من التراث العربي والإسلامي.

٢- ولي على المسرحيتين أيضاً ملاحظ أُخر، هن:

أ - مبالغات عديدة: ظهرت في المسرحيتين، منها في: (إخناتون ونفرتيتي)[٢] حيث الخزن مميت ودافع إلى اليأس والقنوط، حتى قالت الأم تي:

رفقاً يا بني بنفسك، حتام هذا الخزن العميق!!

رفقاً بشبابك هذا الغض وجسمك هذا الرقيق

لا تجعل للأفكار عليك سبيلاً

وتناس الماضي واصبر على ما نالك صبراً جميلاً

هذه سنة الدنيا لا نولد فيها لنبقى

ولا نحيا فيها إلا لنموت

إن ماتت (تادو) فقد ماتت حتشبسوت

ب- أفكار غير معقولة: ماتت تادو، وعندما حزن عليها الأمير[٣] حزناً بالغاً دسوا له فتاة أخرى على أنها تادو، ثم تقبل الأمير الفكرة وناداها (متقدماً إليها): تادو روحي.

وترد الفتاة المدسوسة، فاتحة ذراعيها تستقبله: زوجي أميري.

هذا أمر في قياس الحياة بديع غريب، لا معقول البتة.

---

(1) ص٧٠.

(2) ص٣٠.

(3) ابن (أمنوفيس) أو (أمنحتب الرابع) وأخيراً أخناتون.

حـ_ قبلات وأحضان: في الطلعة والنزلة، وكأننا أمام فيلم قديم هابط، ليس فيه إلا تعري/تعر، وليس عرياً، إنما قبلات وأحضان وقبلات في قبلات في قبلات:

هذا حوار بين إخناتون ونفرتيتي:

إخناتون: ماذا تحلمين؟

نفرتيتي: أن أخناتون يقبلني في فمي.

إخناتون: ثم ماذا؟

نفرتيتي: فعاقبته.

إخناتون: بم عاقبته؟

نفرتيتي: قبلت فمه.

إخناتون: كيف قبلته؟

نفرتيتي: (تنهض فتقبله) هكذا.

إخناتون: هكذا؟ زيديني إذن من عقابك يا روحي، ما أحلى هذا العقاب!

باقي الملاحظ، وهي: (نقل العاصمة من طيبة إلى أخيتاتون وشخصية أخناتون الضعيفة التي لا يوثق فيها) فقد تم الرد عليها قبلاً.

والآن الآن حان وحان الحديث عن النتائج وما لدينا من مقترحات ومقترحات، ثم خرايط وصور لبعض البلدان والمواقع الأثرية التي جاء ذكرها في البحث، كما يلي:

أولاً– أهم النتائج: يمكن تلخيص أهم النتائج فيما يلي:

١– لفظة (السرد) أصيلة في العربية، إذ وقعت في القرآن وإن مرة واحدة[1]، وفي مصادرالحديث النبوي وقعت في كلام بعض الصحابة، في القرآن جاءت

---

(1) ١١ سبأ.

بمعنى إحكام صنعة الدروع، كلام الصحابي حمزة بن عمرو بمعنى توالي الصوم، وفي كلام عائشة زوجه – صلى الله عليه وسلم – بمعنى طريقة الكلام وسرعته، تأنياً أو حدراً – سرعة – وفي معاجم العربية ما سبق من معان إضافة إلى: (السرد بمعنى الثقب – سرد الحديث جودة السياق والسوق له – تتابع الدور في النظام – سرد القرآن ، تابع قراءته في حدر – سرد الحديث أتى به ولاءً – تسرد الماشي تابع خطاه – المِسْرَد هو اللسان).

٢- المصطلح Narratology يمكن أن نترجمه إلى (علم السرد أو السرديات – أو علم السرديات). هذا المصطلح أنجلة للمصطلح الفرنسي Narratolgie، وأول من استخدمه هو تودورف في دراسة له عام ١٩٦٩م.

في حين نرى أن Narration أو حتى Narrative تستخدم بالمعنى العام للسرد، أي: (سلسلة الأحداث التي تشكل العمل الأدبي، أو عملية رواية قصة أو شكل ونوع السرد في القصة).

أما علم السرد فهو فرع من فروع المعرفة إلى النقد الأدبي ينتمي، هذا الفرع الذي يتعامل مع تركيب السرد ووظيفته وموضوعاته ومصطلحاته ورموزه.

٣- انبعثت الدراسات السردية الحديثة من المنجز النقدي المتميز للشكلانيين الروس عندما حاولوا أن يقدموا النقد بوصفه علماً قائماً بذاته في الأدب، وموضوعاً للبحث فيه، كما يعني هذا العلم بالخصائص النوعية للموضوعات الأدبية التي تميزها عن كل مادة.

على أن أهم إنجاز للشكلانيين الروس في الميدان السردي التفريق بين المصطلحين:

- المتن الحكائي Fable أو Fabula

- المبنى الحكائي Sujet وأصلها في الروسي Сюжет.

المتن هو أصل الحكاية، في شكلها الخام، والمبنى هو الصياغة الأدبية التي يصنعها الكاتب أو الأديب، مثل أيام طه حسين ففيها حكايات هي في أصلها الخام متن، وفي صياغتها الأدبية التي قدمها الرجل ونشرها هي مبنى وهكذا.

ومثل واقعة اغتيال اللورد موين[1] في القاهرة – ١٩٤٤ – وبكل تفاصيلها، الحقيقية متن، أما الفيلم المصري (جريمة في الحي الهادي) فهذي الوقائع التي قدمها للمشاهد تمثل المبنى، الذي يختلف عن المتن، لأن المبنى في الفيلم يعبر عن وجهة نظر من قدموه.

٤- وبما أننا نتحدث عن مسرحيات باكثير، فقد قدمنا كليمة عن الرجل منذ ولد في سورابايا الأندونيسية عام ١٩١٠ ثم العودة إلى الوطن حضرموت، ثم استقر به المقام في مصر إلى أن توفي بالقاهرة ١٩٦٩، ودفن بها.

٥- أخناتون ليس رسولاً، ولا هو فرعون، كما جاء في مسرحيات باكثير، وكذا ملوك مصر القدماء، ليسوا فراعنة، ونحن – المصريين – لسنا فراعنة لقد حققت المسألة فاتضح لي بما لا يدع للشك مجالاً بأن (فرعون) في العربية تعني فرعون موسى وهارون الذي ذكر في القرآن ٧٤ مرة، وكل عات مستبد هو فرعون، ولا أتصور أن أخناتون كان من هذا النوع، ولا ملوك مصر القديمة كانوا عتاة مستكبرين، كما جاء في مسرحيات باكثير.

كما أن أخناتون لم يك رسولاً من عند الإله الواحد، كما ذكر باكثير في: (إخناتون ونفرتيتي) ولا يمكن أن يكون ذلك.

---

(1) وزير المستعمرات البريطانية الأسبق.

لفظة فرعون وردت في القرآن مفردة منكرة، لم تثن ولم تجمع، كما أنها ممنوعة من الصرف مثل (إبليس) لأنه لاسمي لهما، لكن من تخلق بأخلاقهما سمى باسميهما، وهنا ينونان، كما في الحديث: (إن لكل أمة فرعونا...) وكما في سيبويه الأول صاحب الكتاب لا تنون[1]، وإنما تنون إذا قصدت مشابهاً، ضليعاً في العربية.

٦- تجاهل مسرحيتي باكثير لحضور يوسف إلى مصر، وما كان من شانه فيها، وكل تلك التفاصيل التي جاءت في سورة يوسف، ولعل باكثير كان غير متأكد من أن أخناتون هو من آمن بيوسف، مع أن قراءة المسرحيتين تشي حتماً بإيمان الرجل وتوحيده وهو لا يكون إلا اتباعاً لرسول عصره.

كما جاءت قصة يوسف وكثير من تفاصيلها في مصادر إسلامية عديدة، ولو كان باكثير قرأ بعضها مثل قصص الأنبياء لابن كثير لاغترف منها تفاصيل مثيرة كانت أثرت المسرحيتين.

٧- جاء في مبني مسرحية (أخناتون ونفرتيتي) أن أحداثها وقعت في طيبة وأخيتاتون، أما (الفرعون الموعود) فكانت المناظر في لبنان ومنف عاصمة مصر، وقد حاولت التعريف بتيك المواضع.

٨- ذكرت الدراسة الأسباب المعقولة والمقبولة لعداء أخناتون - وأبيه - من قبله للكهنة، ونفينا ما وصم به الرجل من الضعف والسذاجة، وهو ما جاء في مسرحية (أخناتون ونفرتيتي) وما اتهم به الملك في برامج وثائقية متلفزة من عودة نفوذ الكهنة وخراب أخيتاتون من بعده.

---

(1) وهي مبنية على الكسر، وإن كانت في بعض الآراء معربة، دون صرف.

٩- بما أن إخناتون وصم بأنه (مهرطق أو هرطقي) فقد عرفنا أن الكليمة ترجمة للكلمة الفرنسية Heresie ومؤنجلاتها Heresy، Heretic أو: Heretical والأولى معناها الهرطقة، والثانية والثالثة بمعنى (مهرطق - هرطوقي) اللفيظة الفرنسية هي من أصل لاتيني Haireõ، ثم تفرنست إلى Hérésie هرطقة، أما Heretique فمعناها المهرطق.

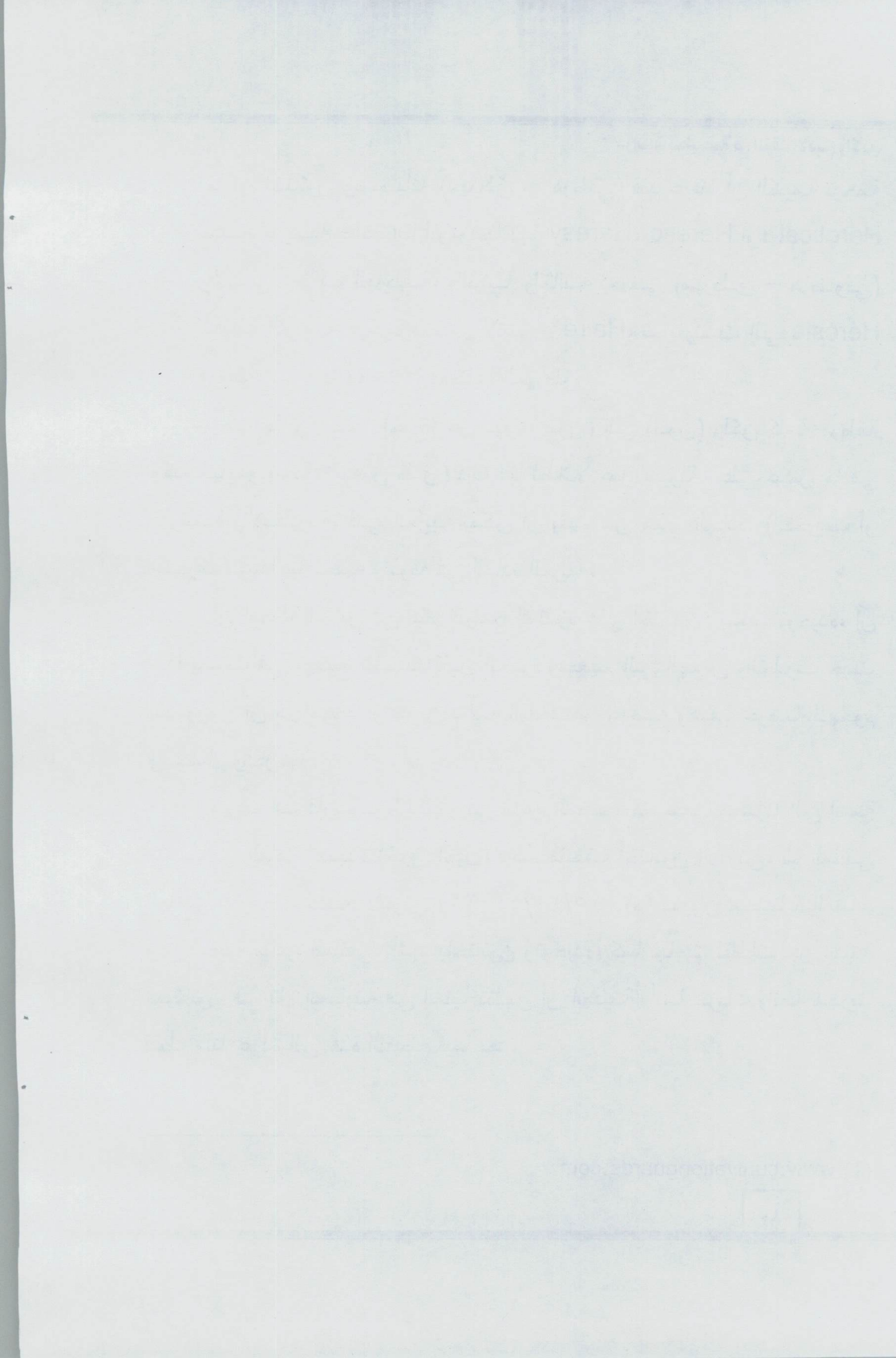
نعم أخناتون صبأ (خرج) عن دين (آمون) إلى (آتون) ولكن كلمة هرطقة وكذا مهرطق، ومادة (هـ ر ط ق) فإنه لها لظلالاً غير مقبولة، على عكس ما في الفرنسية والإنجليزية، ففي العربية يمكن أن يفهم من هذي المادة: (التخريف أو المخرف) وهذا ما نحسه ونذوقه في المادة العربية.

إن الحملة المريرة في تيك البرامج المتلفزة على أخناتون بسبب توحيده، إن هذا يصب في تهييج الشباب قليل الخبرة ودفعهم إلى الهوس والتطرف حيث يتصورون أن كل موحد أو مؤمن بالإله الواحد هو عرضة وهدف غرضةٌ للهجوم والتحامل والكراهية.

وبرغم هذا فإن ضوءا يظهر في النفق المظلم، هو سعي مصرنا إلى إقامة متحف في المنيا الجديدة (شرق النيل) باسم متحف أخناتون الأتوني، ثم الملتقى العلمي الأول للمتحف الأتوني (٢٢-٤٤/١١/٢٠١٥م) بديوان محافظة المنيا. وفي تغطية متلفزة للملتقي، أشيد بأخناتون وتوحيده، كما جاءت لقطات من مدينة أخيتاتون في تل العمارنة في المنيا تظهر أن المدينة[1] ما خربت وإنما هجرت فقط، ولنا عودة إلى هذه النقيطة فيما بعد.

---

(1) www.cuulyationguards.com



جامعة دمياط

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

الأستاذ الدكتور

أحمد مصطفى أبو الخير

الخبير الدولي في اللغة العربية

اغتيال عمر بن الخطاب

دراسة في المبنى الحكائي للملحمة الإسلامية الكبرى لباكثير

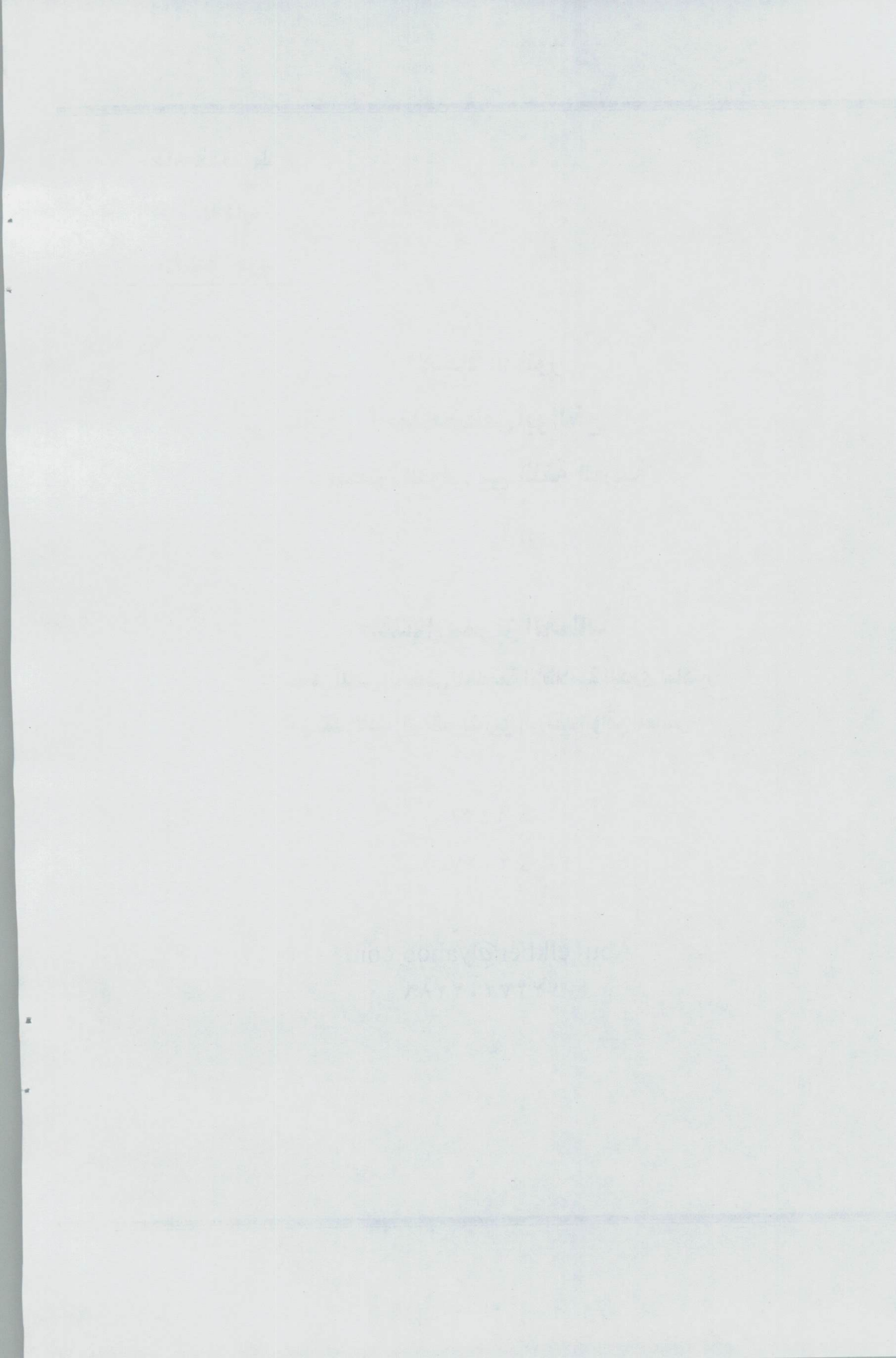
من نقد الأدب إلى نقد التاريخ إلى نقد الواقع المعاصر

١٤٣٨ هـ

٢٠١٧ م

Abu_elkher@yahoo.com

٠١٢٢٧٢٠٢٢٨٦



منذ كنا طلاباً في كلية دار العلوم-١٩٦٦- سمعنا من أستاذنا الدكتور محمد حلمي – رحمه الله – حديثه عن المغيرة بن شعبه-ت ٥٠هـ- على أنه شخصية غامضة، بحاجة إلى الدرس والمحص والبحث، كذا ذكر عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين ومن عشرات السنوات، وعليه فقد انتهزت فرصة مواتية فألفت كتاباً حول المغيرة- عام ٢٠١٠م- جلي دوره مذ قد جاء إلى المقوقس في الإسكندرية إلى أن مات بالبصرة، وجاء الكتاب ضمن سلسلة رجال عرفوا من أين تؤكل الكتف[١].

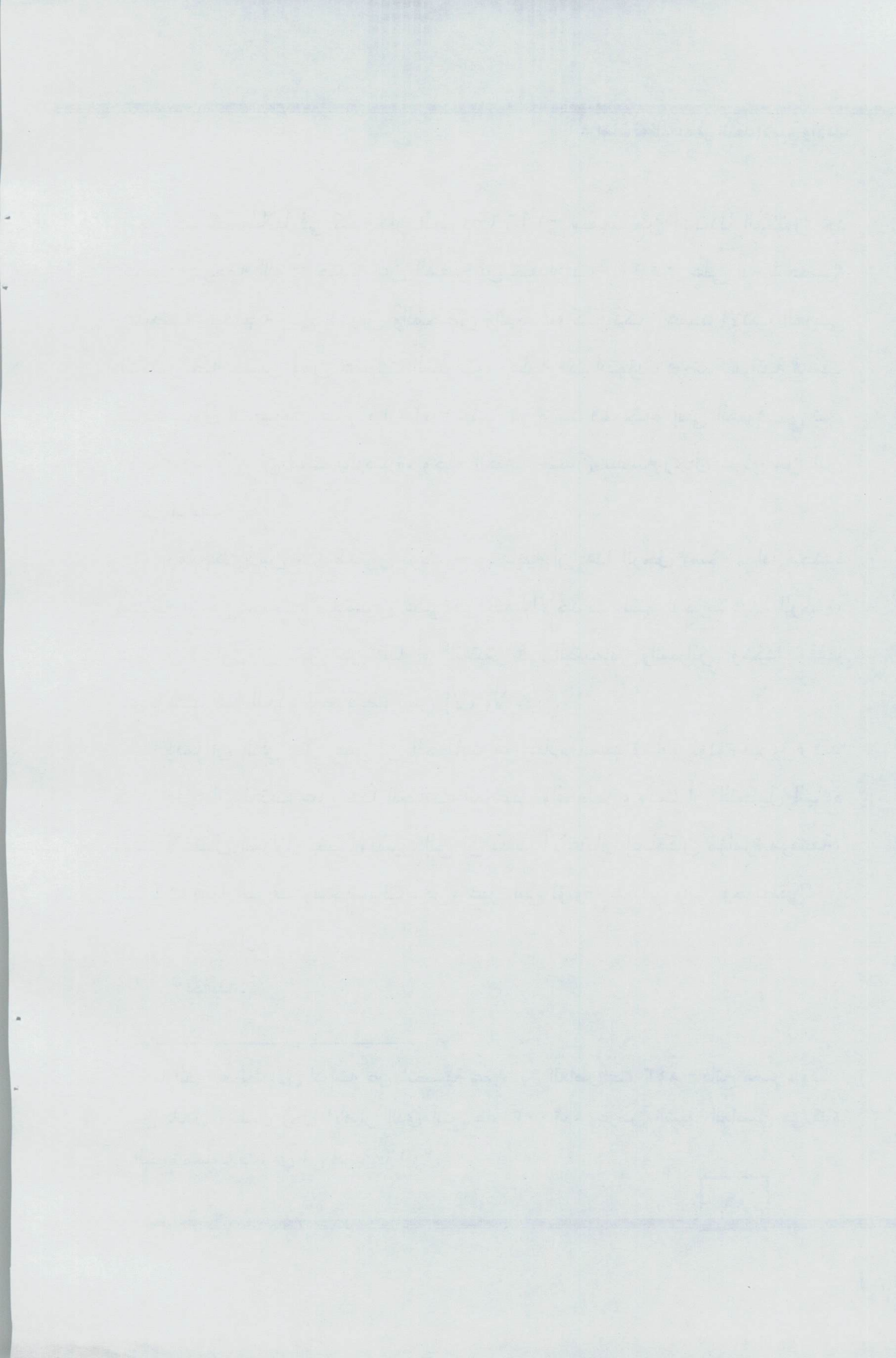
ومقصدي من هذا العنوان بوضوح وشفافية أن هذا الرجل رسم أهدافاً محددة لحياته أو في حياته، معتمدين على الوقائع والأحداث التي انخرط فيها الرجل، دون أن نحاول أن نشق عن قلبه أو التفتيش في الضمائر والسرائر، وهكذا توقف عملنا عند هذا الحد، فقط فقط، ليس إلا، ولا غير.

وبما أن الذي قتل عمر بن الخطاب هو غلام المغيرة، أبو لؤلؤة فيروز، فقد كان عليَّ أن أكتب عن هذا الحادث المرعب والخطير، وبما أن التحليل الباده لهذا الاغتيال المزلزل يشي ويشير إلى أن ذياك الاغتيال إنما كان مؤامرة موسعة، اشتركت فيها أطراف وشخصيات أخر، غير أبي لؤلؤة، هم في رأيي وخريطتي:

- الهرمزان.
- جفينة.

---

[١] كما أنني أخطط الآن لدراسة عن شخصية عمرو بن العاص-ت ٤٣هـ- فاتح مصر، وذلك من خلال مسلسل رجل الأقدار الذي أنتج عام ٢٠٠٣م، وعرض الشهر الماضي في قناة الحياة مسلسلات، أي في فبراير ٢٠١٦.



-أبو لؤلؤة.

- المغيرة. -كعب الأحبار- الأحمق المطاع.

فأما أبو لؤلؤة فهو من اعتدى بخنجره على عمر، وأما الهرمزان فقد كان من القواد الكبار في الجيش الفارسي، والذي أسر، وجاء إلى المدينة وأقام بها، برغم قرار عمر بعدم إقامة الأعلاج في المدينة عاصمة الخلافة، ولكنه أسلم- أو تظاهر بالإسلام- وسمي عرفطة، وأقام في حاضرة عمر.

أما جفينة فقد كان:

- زوج مرضعة أولاد سعد بن أبي وقاص في الحيرة.

- سعد هو من سعى لدى عمر ليقيم في المدينة استثناء من قرار عمر بعدم إقامة الأعلاج في الحاضرة المنورة.

- وكان المبرر أن جفينة يعلم أولاد المسلمين القراءة.

- وذلك نتيجة الصلح الذي أبرمه سعد مع نصارى الحيرة التي كانت تقع غرب نهر الفرات، وإلى الشرق منها، أو الضفة الشرقية للنهر حيث تقع أرض السواد في جنوب العراق.

أما أبو لؤلؤة فإن مقترح إقامة اللعين في المدينة هو مولاه المغيرة بن شعبة عندما كان والياً من قبل عمر على الكوفة من عام ٢١هـ إلى مقتل ابن الخطاب ٢٣هـ تحت مبررات أن أبا لؤلؤة:

- صنع، يتقن العديد من الحرف والصنايع.

- هو حداد نقاش نجار.

- يصنع الرحى.

حتى إنه قال لعمر مرة مفتخراً: (سيصنع رحى لعمر تدور بالريح) أي خفيفة جداً، يكفيها الريح لتدور وتعمل.

وقدمت في الكتاب معطيات كثيرة وأدلة على وضع المغيرة موضع الشك في مقتل عمر، منها ما سبق من استجلاب أبي لؤلؤة وإقناع عمر بأن يقيم غلامه في عقر دار الخلافة.

واذكر هنا فقط مسعى المغيرة وإلحاحه على رؤية عمر فور طعنه حيث رشا حاجب عمر بخمسة دراهم حتى يدخل على الخليفة برغم الحظر الذي فرض على الناس، بالتشديد على عدم تكأكؤ الناس على دار ابن الخطاب للاطمئنان على أميرهم، فقد قال المغيرة للحاجب: (إن الناس خلف المغيرة يزحمونه، وأنا أخاف أن أراه مقتولاً!!) فما كان من عمر برغم جراحه المميتة إلا أن قال لحاجبه: (أدخله)... إلى آخر ما قلت في كتابي عن المغيرة.

دارت الأيام منذ تأليف الكتاب- عام ٢٠١٠م- إلى أن كتبت عن مسرحيات علي أحمد باكثير في مسرحيته (الفرعون الموعود- اخناتون ونفرتيتي) فاطلعت على مؤلفات الرجل، ومنها هذه الملحمة الإسلامية التي لمحت من موضوعاتها حديث الهرمزان، والذي كان طرفاً من أطراف القضية، وللمفاجأة وجدت باكثير في الجزء الثاني من الملحمة يصرح بوضوح مفصلاً مقتل عمر على أنه مؤامرة كبرى، بل إن هرقل ملك الروم كان طرفاً من أطراف هذه المؤامرة الكبرى.

لقد كنت سعيداً غاية السعادة والارتياح أنني وصلت وحدي إلى هذه النتيجة، أي أن مقتل الخليفة لم يك حادثاً فريداً منفصلاً متسرعاً متهوراً قام به أبو لؤلؤة لأن عمر لم ينصفه عندما شكا إليه سيده المغيرة لكثرة ما فرض عليه من مال

يدفعه لمولاه، إني ما أتصور أن هذا مبرر كاف للقتل، بل إن وراء الأكمة ما وراء ها.

صحيح أن هذا الفيروز كان رجلاً متعصباً غاية التعصب ضد العرب كارهاً لهم، ليس هو وحده، بل هو وشركاؤه الذين سوف نتحدث عنهم الآن.

لقد اتضح لي أني لست وحدي من قال بأن طعنات هذا الموثور لعمر لم تك حادثاً فردياً، بل إن باكثير سبقني إلى هذا القول، وهذا من عجيب الأعاجيب، فإنني لم أسمع بأحد من الدارسين أو المتحدثين في وسائل الإعلام من ذكر هذا عن باكثير، أو نقل عنه أو غيره من هذا شيئاً. ترى في أدبياتنا نقاطاً تخفي علينا أو تخفي عنا- بضم التاء- إنا لا نسمع عن مقتل عمر إلا أن هذا الفيروز قتله بهذي الطعنات القاتلات، أو وصف هذا القائل المتوحش بأنه مجوسي، وحصر القضية برمتها في هذا الوسم أو الوصم أو الوصف.

وكأن تراثنا- يا صاح- فيه نقاط ميتة، لا نراها، أو هناك قوة أو قوى هي قادرة على أن تخفي عنا تيك النقاط.

ولقد تلوت هذي الشكاية إلى زميلنا في القسم- الدكتور محروس القللي- متسائلاً عن السبب في هذا التعمية فذكر لي أن السبب هو عدم دخول هذي النقاط المعماة في قاعات الدرس والكتب الدراسية أو المدرسية التعليمية.

نعود -والعود أحمد- إلى باكثير في ملحمته الكبرى نقبس عنه الفِكَر الآتيات:

أولاً- محاولة فيروز ليست الأولى في الطريق إلى اغتيال عمر، إنما فكر أطراف المؤامرة الجبناء في شخصية عربية تقوم بهذه المهمة وهو عينة بن حصن، أحد المؤلفة قلوبهم، جاء ذكره في بيت عباس بن مرداس:

أتجعل نهبي ونهب العبيد كنهب عينيه والأقرع

إن هذا العباس يعترض على نصيبه من الغنائم الذي رآه شبيهاً بنصيب عينية، والأقرع بن حابس، وكلا الأخيرين من المؤلفة قلوبهم، وقد عالج هذا الاعتراض سيد الخلق- صلى الله عليه وآله- فأمر سيد العرب: (يا علي، خذه فاقطع لسانه) ويرتاع الرجل ويرتعد قائلاً: (أو قاطع أنت لساني يا أبا الحسن) ويرد أبو الحسن: (إنني لممض فيك ما أمر) ويمضي ابن عم النبي بالرجل إلى إبل الصدقة قائلاً: (خذ ما تشاء) فقطع لسانه، أسكته وأرضاه.

وهذا حوار في بيت جفينة في المدينة بين أطراف المؤامرة.

جفينة: تذكروا يا قوم أن الأحنف بن قيس يقرع اليوم أبواب خراسان ولم تنجزوا مهمتكم.

كعب الأحبار: مع أنكم شرعتم في التدبير قبل معركة نهاوند بأمد طويل.

أبو لؤلؤة: نهاوند، واحسرتاه على نهاوند، والله ما أضاعها إلا هذا الملك من ملوك التاج الجالس بينكم (يقصد الهرمزان)

الهرمزان: ما عندك غير هذا القول، تردده يا فيروز.

أبو لؤلؤة: ولن أكف عن ترديد هذا، لولا ضياع نهاوند[١] ما ضاعت فارس.

أبو لؤلؤة: لو أتيح لي أن أصاحب عمر في الحج لرأيت ماذا كنت أفعل.

---

[١] كانت تقع نهاوند في الشمال الشرقي من المدائن- عاصمة كسرى- وإلى الجنوب الشرقي من مدينة حلوان التي تقع الآن في العراق على نهر دجلة، وهي غير حلوان المصرية التي تقع جنوب القاهرة.

إذ يرى أن مصاحبة الهرمزان لعمر في الحج كانت فرصة مواتية لقتل عمر، لكن الهرمزان ضيعها، هذا الهرمزان الذي يتهم أبا لؤلؤة بضياع فرص كثيرة متهماً صاحبه بأنه ينخلع قلبه كلما واجه عمر أو منه دنا.

وفي النهاية يقتنع المتآمرون برأي جفينة الذي قال:

- أرى أن تسند المهمة إلى رجل من العرب، موتور من عمر- يقصد عينية- انتزع منه عمراً أرضاً كانت له، ولم يعوضه عنها شيئاً.

وبعد نقاش وأخذ ورد اقتنعوا باقتراح جفينة بأن يقوم عينيه بقتل عمر، لكن المحاولة ما نجحت، بل فشلت، بل بدأ عينيه بن حصن يتعاطف مع عمر ويصارحه مناصحاً: (اطرد العجم جميعاً يا أمير المؤمنين من المدينة) حتى إنه وصل غاية الصراحة حين قال: (فاحذرهم- يا أمير المؤمنين- فعسى أن يقتلك رجل منهم) بل حدد أداة القتل- الخنجر المسموم- إلا أن عمر أعلن في وجه الرجل: (ويحك يا عينيه، ألم تجئ اليوم لتغتالني فعصمني الله منك؟).

هذا عينيه بن حصن الذي وسمه محمد -عليه وآله الصلوات- بالأحمق المطاع، وهذا ما ذكره به عمر وعيره، كما جاء في الملحمة:

يدخل عينيه بن حصن على عمر دون أن يسلم، يقول عمر:

- ويلك! ألا تسلم أولاً عند دخولك، مازلت يا عينيه جافياً سيئ الأدب، كما كنت.

- عينيه- بل مازلتم تتجاهلون أنني سيد قومي.

عمر- أجل أنت الأحمق المطاع.

عينيه- أينا أسوأ أدباً؟ أتشتمني يا عمر وأنا في بيتك؟.

عمر – ويلك!! ذاك رسول الله هو الذي سماك الأحمق المطاع، ألم يبلغك ذلك؟

عينيه– ذلك لأني اقتحمت بيته بغير استئذان، وأنا لم أقتحم اليوم بيتك، إنما قالها بعدما انصرفت.

عينيه– إنما ذلك من حيائه.

عمر – بل من حسن أدبه[1].

نعم ما كان هذا إلا من حيائه– صلى الله عليه وآله– وحسن أدبه، وهذا أيضاً ما كان في المبنى الحكائي الذي بناه باكثير في الملحمة، أما المتن الحكائي لما كان بين مصطفانا وبين عينيه فكان كالآتي:

إن هذا العينية يدخل على نبينا ومعه زوجه السيدة عائشة.

فقال محمد: فأين الاستئذان؟

عينيه: والله– يا رسول الله– ما استأذنت على أحد من مضر منذ عقلت.

ولا يكتفي بهذا بل يردف: مَنْ هذه الحميراء إلى جانبك يا رسول الله؟ ويرد الرسول: إنها عائشة أم المؤمنين.

أدب جم منك يا رسول الله، لكن عينيه لا يكتفي بما فعل وقال، إنما يزيد طلباً كان مسموحاً به في الجاهلية، حرمه الله في الإسلام ومن عجب وتعجب أن سيد العرب والعجم، سيد الأولين والآخرين ما زاد أن قال: إن الله حرم هذا. فقط يا محمد؟ فقط يا كاتب السطور [2].

---

(1) ص ٩٧٣.

(2) www.sobee3.com .

السيدة عائشة تتسائل: من هذا يا رسول الله؟ يرد النبي الكريم: هذا أحمق مطاع، وأنه على ما ترين لسيد قومه. وإن كان الرجل بهذا الحمق- كما وصفه سيد الخلق- فمن أين جاءته الرياسة والإطاعة؟

يحكى أن والد عينيه أمر بنيه العشرة عندما طعن واشتد عليه ألم الجراح حتى يتخلص من آلامه المبرحة، فأبوا جميعاً إلا عينية الذي استجاب طاعة لأبيه الذي تراجع عن طلبه وادعى أنه كان يختبر أبناءه ليرى أيهم يطيع أباه في حياته، ثم بعد مماته، وخلص الأب إلى أن عينية هو من سمع وأطاع، فكانت مكافأته (أنت سيد ولدي من بعدي، ولك رياستي) ثم جمع الأب قومه فأعلمهم بهذا التكليف فقام عينية بالرياسة التي نالها بعد أبيه (حصن بن حذيفة الفزاري)[1].

كان هذا الأحمق مع الأحزاب يوم الخندق، وحاول رسول الله استرضاءه ليرجع عن الأحزاب، ولكن الأنصار رفضوا رافعين شعار: فليجهدوا علينا.

إن رجلاً مثل الذي وصفه سيد الخلق لهو جدير بالتفكير والإقدام على قتل عمر، لكن لعله جبن وهاب، ولم يستح، بل لعل الجبن والمهابة منعاه من الإقدام على تيك الجريمة الرهيبة.

ولا يكتفى عينية بعد فشل محاولته بما بدر منه، بل يستدير لتحذير عمر من الأعلاج في المدينة، يقول عينية لعمر:

عندي لك نصيحة، اطرد العجم جميعاً يا أمير المؤمنين من المدينة.

عمر- ويحك ليس لنا ذلك- يا عينية- بعد ما صلوا إلى قبلتنا، وتكلموا بلساننا، ورضوا بعهدنا وزمتنا.

---

(1) الملحمة، ص٩٧٩.

عينية – إنهم قوم لا عهد لهم ولا ذمة

عمر – رويدك، لا تجعلني أسئ الظن بك مرة أخرى

عينية – فاحذرهم إذاً على نفسك- يا أمير المؤمنين- فعسى أن يقتلك رجل منهم بخنجر مسموم في هذا الموضع (الذي أصيب به عمر) ،

ثم يقترح الرجل على ابن الخطاب:

- (اتخذ لك حرساً يحموك من كيدهم) وكان جواب عمر:

(لسوف يعصمني الله منهم، كما عصمني منك).

على أي الأحوال فإن تحذيرات عينية ليست الوحيدة، بل كانت تحذيرات أخر، وهذا ما نجده في:

ثانياً- حرب نفسية وتحذيرات كعب الأحبار: في رأيي أن هذا الحوار الذي نسوقه الآن يشي بأن كعب الأحبار كان على علم ويقين بتفاصيل المؤامرة ، هذا هو الحوار:

كعب: والذي نفسي بيده لا ينسلخ دو الحجة حتى يأتي أجلك .

ابن الأرقم: هذا الشهر الذي نحن فيه.

كعب: نعم.

عمر: ما بقى منه يا كعب غير بضعة أيام.

كعب: أجل، اعهد يا أمير المؤمنين، فإنك ميت في ثلاثة أيام[1].

كلام صريح صراح عن أن عمر سيموت بعد ثلاثة أيام، وفي شهر ذي الحجة- كان بحاجة ماسة ضرورية للبحث والمحص والتمحيص والتدقيق، إذ من عجب أن عمر طعن فجر الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة، أي في ٢٦ من

---

[1] الملحمة، ص١٠٠١.

ذياك الشهر، ذو الحجة عام ٢٣، وإن كان دفن يوم الأحد الذي تلاه، هلال المحرم- أو المحرم- عام ٢٤ هـ[١].

وهذا ما يعني أن كعباً كان على علم تام بالمؤامرة، بدليل أنه هرب بعد ذلك إلى الشام[٢]، عجبي.

عمر نفسه أحس بما أحسسنا به فقال لكعب:

- لعلك يا عدو الله قد اطلعت على شيء مما يدبر هؤلاء الأعاجم لي من كيد، فأبى لك شيطانك اللعين إلا أن تجعله سراً من أسرار التوراة التي تكذب بها على الناس، ويردف عمر:

- لا ريب عندي أنك تعلم شيئاً مما يدبرون.

كعب- معاذ الله يا أمير المؤمنين!! لو اطلعت على شيء من ذلك لبلغتك إياه لتأخذ حذرك، لو وجدت في التوراة أن ستلقي منيتك قتلاً أو اغتيالاً لأنبأتك به، ولكن الأمر أمر توقع يا أمير المؤمنين أن يقتلك العرب، لا العجم، ولكن كعباً يستمر مستفزاً عمر:

يا أمير المؤمنين، أولا تعلم أن الناس سئموا حكمك، واستطالوا عهدك، وكرهوا عدلك وصرامتك؟ أولا تذكر- يا أمير المؤمنين- يوم أرسلوا حفصة أم المؤمنين إليك لتلين شيئاً من معيشتك، فقد كثر المال وكثر الخير؟ وهم إنما نظروا لأنفسهم في ذلك لترتع أنت فيرتعوا مثلك؟

---

(١) المغيرة بن شعبة للمؤلف، القاهرة ٢٠١٠، ص٩٥ ،

(٢) السابق، ص٩٤.

بل يستمر في استفزازه: يا أمير المؤمنين، إنـي لك ناصح أمين، إن كنت تتوقع سوءاً من أحد، فمن هؤلاء، ولا سيما بعدما سمعوا أنك في العام القابل سوف تسوي بين الناس في العطاء وتجعلهم رجلاً واحداً.

عمر – ويلك ممن سمعت ذلك؟

كعب– سمعته من كثير، قد انتشر ذلك في الناس يا أمير المؤمنين.

عمر – ما أخبثك وأخبث شيطانك، إنما تريد أن تصرفني عن العلوج لأتهم المسلمين.

وينتهي كعب إلى هذه النتيجة: إنـي لا أريد أن تـأمن هؤلاء العلوج من الأعاجم، ولكنـي أرى أنهم أجبن من ذلك، فإن قام أحدهم بقتلك فلابد أن يكون مدفوعاً إلى هذا من أحد من كبراء العرب الذين ينفسون االخلافة ويرون أنفسهم أحق بالخلافة منك.

مناورات وحرب نفسية ومعلومات شديدة الخطورة، كان ينبغي التحقيق فيها والتحقق منها، ونتيجة مرعبة:

(إن قام أحد من العلوج بقتل عمر

فلابد أن يكون مدفوعاً من العرب..)

أنا ما أشك في هذا، ولم يكتف كعب بكل ما سبق، أنهى الحوار بتهديد واضح لعمر عندما طرده: (يا أمير المؤمنين: لتندمن على طردي من عندك!!).

ثالثاً– دور العرب في المؤامرة، لقد صمم كعب عن أن العرب سيقدمون على هذي المؤامرة، وإن فعلها الأعاجم فهم فقط، أدوات مجرد أدوات فقط، ربما يكون هذا صحيحاً، لكن لا توجد رواية تؤيد ما قاله ابن اليهودية، وإن كان من الممكن الوارد أن تكون أطراف كانت على علم بالمؤامرة أو أيدتها أم اشتركت

فيها، وبرغم هذا كله، فإننا يمكن أن نبحث في اتجاهين ، الأول من ذا الذي أقنع عمر باستثناء (الهرمزان-جفينة - أبولؤلؤة) من قرار عمر بعدم إقامة العلوج في حاضرة الخلافة؟.

فأما الهرمزان فإنه أسلم - أو قل- تظاهر بالإسلام، فما كان من عمر إلا أن تركه، بل صحبه في رحلة الحج.

أما جفينة فقد توسط له سعد بن أبي وقاص، كيف ولم؟

لقد كان هذا الجفينة ظئراً لسعد بن أبي وقاص، زوج مرضعة أبنائه ، أقدمه إلى المدينة يعد الصلح الذي كان بين سعد وبين أهل الحيرة[١].

وجاء إلى المدينة ليعلم أبناء المسلمين الكتابة، ولذا غضب سعد غضباً شديداً عندما قتل على يد عبيد الله بن عمر ، بل أمسك بناصيته قائلاً له: (قتلت جاري، وأخفرتني في ذمتي) فقد كان ابن أبي وقاص هو من سعى لدى عمر ليقيم هذا النصراني في المدينة استثناء من قرار عمر بعدم إقامة من بلغ من السبي، وكانت الحجة تعليم أطفال المسلمين الكتابة[٢].

ولكن لا يوجد ما يشي من بعيد أو قريب أية رواية تفيد بعلم سعد بن أبي وقاص بما كان ينتويه جفينه، هذا ما أراه الآن بل إن بعض الصحابة كانوا لا يجدون بأساً في إقامة الأعلاج في المدينة، وذاك بنية حسنة، دون التفكير في قتل عمر أو في إيذائه، وإن كانوا يختلفون معه في رأي أو مشورة.

---

[١] راجع كتابنا عن المغيرة بن شعبة، ص ١٠٧، جاء الهرمزان إلى المدينة ١٧هـ.

[٢] تقع أنقاض المدينة القديمة (الحيرة) على مسافة ٧ك إلى الجنوب الشرقي من مدينتي الكوفة والنجف الأشرف، وإن كانت مباني المدينتين تزحف نحو أطلال (الحيرة) القديمة.

قال ابن عباس: (كنت فيمن احتمل عمر حتى أدخلناه داره أفاق إفاقة، فقال: من قتلني؟ أبو لؤلؤة غلام المغيرة) وأردف موجهاً كلامه إلى عبد الله بن عباس: هذا عمل أصحابك، كنت أريد أن لا يدخلها- المدينة- علج من السبى، فغلبتموني إلى أن غلبت على عقلي.

وفي رواية أن ابن عباس قال: غلام المغيرة، فقال عمر: الصَّنِع- قاتله اللهِ- لقد أمرت به معروفاً، ويبدو أن عمر كلم المغيرة في صالح غلامه.

ثم استمر ابن الخطاب: (الحمد لله الذي لم يجعل قتلي بيد رجل يدعي الإسلام) ثم ينطلق معاتباً عبد الله: (لقد كنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة) فقد كان العباس يمتلك رقيقاً من هؤلاء الكفار من غير العرب[١].

ويبدو مما سبق أن بعض الصحابة- رضي الله عنهم- كانوا لا يرون بأساً أو مشكلة في وجود الأعلاج في مدينتهم المنورة- العباس وابنه وسعد مثلاً - وهؤلاء الأعلاج يقدمون خدمات ومنافع إلى المسلمين، جفينة العبادي مثلاً يعلم الكتابة، أبو اللؤلؤة - سبع صنايع في يديه، والغدر غير ظاهر عليه، إلا لقلة قليلة من الناس، ولكن؟ آه من ولكن، ولكنني أضع أمام القارئ هذا الحوار في بيت عمر وهو مطعون[٢].

المغيرة: هذا الشقي اللعين لم يجنها وحده يا أمير المؤمنين.

عمر: أكنت أنت شريكه؟

المغيرة: معاذ الله يا أمير المؤمنين، وددت والله لو أصابني من دونك.

---

[١] انظر كتابنا عن المغيرة، ص١٠١.

[٢] الملحمة الإسلامية، ص١٠١٨.

عمر: ما كان ليعتدي علي لولا أن ظلمتَه.

المغيرة: يا أمير المؤمنين ذاك ما أردت بيانه لك، ما كان العلج يشكو ظلماً مني، وما كانت الشكوى إلا تعله، إذن لكان أحرى أن يقتلني، أنا الذي ظلمته، فقد كان قتلي عليه أيسر، إنما كان حاقداً عليك لأمر آخر، وعلى اتفاق وتواطؤ مع علوج آخرين.

تلخص هذه المقولة التي صرح بها المغيرة عدة أشياء:

١- كان لفيروز شركاء آخرون من العلوج.

٢- ما كان العلج يشكو ظلماً من سيده، بل كانت الشكاية تعلة فقط.

٣- القاتل اللعين كان حانقاً على عمر لأمر آخر.

والسؤال المهم هل عرف المغيرة هذي المعطيات والمعلومات الآن فقط؟ بالطبع لا، كلا وألف كلا، فما قاله هذا الثقفي لا يمكن أن يكون وليد اللحظة وابن وقته، إنما عرف قبلاً، وما صرح به إلا لأن ابن الخطاب على فراش الموت، ونترك القارئ يفكر ويمعن النظر في كل ما سبق.

فإن كان أحد من العرب قد علم أو اشترك في هذا الاغتيال المروع فهو المغيرة بن شعبه، والدليل ما يلي:

أ- هذا التصريح السابق الذي قاله الرجل لعمر.

ب- كان مغيرة الترجمان يوم الهرمزان في الحوار بين عمر وبين هذا الهرمزان، فقد كان ابن شعبه يفقه شيئاً من الفارسية ومن ثم كان المسلمون على الجبهة الفارسية يكلفونه بالتفاوض مع قادة الفرس، ولذا فإنه من الوارد أن المغيرة كان على صلة بالفرس في المدينة.

جـ- أن المغيرة هو من استقدم أبا لؤلؤة إلى المدينة استثناء من قرار عمر بعدم إقامة الأعلاج في عاصمة الخلافة[1] وسوف نزيد هذا الأمر إيضاحاً عند الحديث عن غلام المغيرة، أبي لؤلؤة.

لكن تبدو لي استرواحة من موضوع الاغتيال إلى صفة رئيسة من الصفات العمرية، تيك الصفة التي أعتبرها مفتاح شخصية عمر، ألا وهي أنه صاحب التأثير الحاسم في كل الأحداث، بدءاً من وفاته- ﷺ- بل وقبل وفاته، ففي رزيئة يوم الخميس روى الإمام البخاري في صحيح صحيحه، في كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته: عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال:

يوم الخميس، وما يوم الخميس؟ اشتد على الرسول وجعه، فقال:

ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ماﺇهجر ؟ استفهموه، فذهبوا يردون عليه، فقال:

دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه وأوصاهم بثلاث، قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة، أو قال: فنسيتها. انتهى الاقتباس عن البخاري...

ويطهر أن الراوي عن ابن عباس لم ينس الثالثة، بل رغب عن ذكرها لشيء في نفسه، فما هذي الثالثة؟ وما رأي القارئ؟ فكر جدياً في الأمر...

أما القائل: (ما شأنه؟ أهجر ؟) فهو عمر بن الخطاب، وهنا ومن هنا فرض الرجل رأيه وخريطته على الناس.

وهذي رواية أخرى عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: لما حضر رسول الله(حضرته الوفاة ودنا موته) وفي البيت رجال، فقال النبي: هلموا أكتب

---

[1] راجع كتابنا عن المغيرة، ص١١٦.

لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال بعضهم (وما يراه إلا عمر): إن رسول الله قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف، قال رسول الله: قوموا.

فكان عبد الله يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم[1]. انتهى ما قبس عن البخاري.

مرة أخرى ما هي الثالثة؟ لقد أراد المصطفى أن يوصيهم وصيته الأخيرة وعلى فراش الموت، ومن ثم كان وصية الإنسان قبل وفاته سنة رسول الله، وكانت لهذا حتماً مقضياً على كل مسلم، ولكن القوم حالوا -في رأيي- عامدين متعمدين أن يحولوا بين نبيهم وبين ما يوصى به مكتوباً.

بيد أنه لما رأى ذياك اللغط والخلاف أوصاهم شفوياً بثلاث، لكن هذى الثالثة تنوسيتم، وما أراها إلا التوصية بآل البيت، ففي حديث: إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي، أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليا الحوض.

ومن يدري لعل الثالثة كان قرار الرسول ودعاؤه: (اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه) قال زيد بن أرقم فكنت ممن كتم هذا الحديث، فذهب بصري، وكان علي دعا على من كتم ذياك الحديث:

وفي رواية أخري عن زيد بن أرقم: (خرجنا مع رسول الله، حتى انتهينا إلى غدير خم... فحمد الله وأثنى عليه، وقال: يا أيها الناس إنه لم يبعث نبي قط إلا عاش نصف ما عاش الذي كان قبله، وإني أوشك أن أدعي فأجيب، وإني تارك فيكم ما لن تضلوا بعده ، كتاب الله، ثم قام وأخذ بيد علي، فقال: يا أيها الناس:

---

[1] صحيح البخاري، القاهرة ١٩٧٤، ٧/ ٩٥ وقبلها.

من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه[1].

وقد يجادل أحد فيما سبق، وما كان من شأن الناس مع أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب، في حياة ابن عمه -ﷺ- وبعد وفاته حتى قتل الرجل مظلوماً، وحتى مأساة كربلاء في عام ٦١هـ التي يعتبرها بعض المتفيهقين حدثاً عادياً، ما يصح الالتفات إليه أو العناية به.

فما رأى هؤلاء المتفيهقين في وصيته -ﷺ- التي جاءت في القرآن الكريم: (قل: لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) في سورة الشورى، فهل رأت قرابة الرسول مودة منذ توفى -ﷺ- وإلى يوم الناس هذا؟.

رابعاً على أية حال نترك المسألة لعلاجها في مكان آخر لنشير إلى ملامح الشخصية العمرية: بل مفتاحها المهم، فإنه مجرد أن أسلم سيد الخلق الروح لباريه في نصف نهار يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام ١١هـ حتى سارع عمر وأبو بكر عندما علما باجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعده إلى ذياك الاجتماع الأنصاري الذي انتهى بمقترح عمري مفاجئ للجميع: (ابسط يدك يا أبا بكر لأبايعك) أي بخلافة رسول - ﷺ- ولذا فإن أدق وصف لهذا البيعة وصف عمر لها بأنها كانت (فلتة) أي جيئت دون إعداد مسبق وترتيب مقصود، يردف عمر: (ولكن الله وقى شرها).

ولم يلبث أبو بكر حتى لحق بمحمد ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة عام ١٣هـ، وفي صبيحة ذات الثلاثاء كان عمر خليفة لأبي بكر بوصية من الخليفة الأول[1].

---

[1] المعجم الكبير للطبراني، الموصل ١٩٨٤، ١٧٢/٥ وقبلها.

وعندما فجع الناس بطعن عمر عين ستة من الرجال (علي بن أبي طالب – عثمان بن عفان– سعد بن أبي وقاص – عبد الرحمن بن عوف – طلحة بن عبيد الله – الزبير بن العوام) ليختاروا من بينهم خليفة له، مضيفاً إليهم ابنه عبد الله كمراقب، يشترك في المناقشات والاختيار، لكن لاحظ له من الخلافة بعده.

وكان مما أوصى به عمر كي تصل اللجنة السباعية التي عينها من اختيار واحد من ستتهم خلال ثلاثة أيام وإلا ضربت أعناقهم جميعاً، هذا ما جاء في الملحمة[٢]:

عمر: يا أبا طلحة، لقد كنت سيف رسول الله، ثم سيف أبي بكر، ثم سيفي، فجزاك الله عن الإسلام خيراً، وهذا يوم من أيامك قد ساقه الله من حيث لا تتوقع، فكن بالعهد بك واستعن بالله، وتوكل عليه.

أبو طلحة: يا أمير المؤمنين، مرني أطعك بطاعة الله ورسوله.

عمر: إذا أنا مت – يا أبا طلحة– فكن في خمسين من قومك من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى، فإنهم – فيما أحسب – سيجتمعون في بيت أحدهم، فقم على ذلك الباب بأصحابك، فلا تترك أحداً يدخل عليهم، ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهم، فإن استقاموا فذاك، وإلا فادخلوا واضربوا أعناقهم، وليصل بالناس صهيب مولى بني جدعان.

انتهى ما قبس من الملحمة

قرار عمري واضح العمرية، لا يكون إلا من عمر بن الخطاب، يتفق تماماً مع مفتاح الشخصية العمرية.

---

[١] انظر كتابنا عن المغيرة، ص ٥٤ وقبلها.

[٢] ٢/١٠٢٥.

خامساً- تحذير عمر من الطامعين في الخلافة: من الطلقاء وأبنائهم: جاء في الملحمة: كان عمر على وعي بمن يطمع في الخلافة..... وقد نص على بعض منهم، موصياً أهل الشورى الستة بما يلي:

(إياكم أن تختلفوا، فإنكم أن اختلفتم جاءكم معاوية من الشام، وعبد الله بن أبي ربيعة من اليمن، فلا يريان لكم فضلاً لسابقتكم، وإن هذا الأمر لا يصلح للطلقاء ولا لأبناء (الطلقاء).

فأما معاوية بن أبي سفيان فهو من الشهرة بحيث لا نحتاج حرفاً، ولا حريفاً في التعريف به، هو طليق وابن طليق، وابن هند بنت عتبه التي نعتت بآكله الأكباد، فقد أرشت العبد الحبشي حتى قتل عم الرسول – حمزة – في معركة أحد، ثم لاكت كبده ومضغتها بين أسنانها.

أما ابنها معاوية فكان إذا أقبل قال بعض الناس هذا ملك العرب، فتقول الأم: (عدمته إن لم يك ملك العرب والعجم)[١].

ولكن من حق مَسَائل أن يسَّاءل: (أنت يا عمر من عين معاوية ليخلف يزيد بن أبي سفيان رحمه الله) إذ يحكي التاريخ:

(لما توفي يزيد عام ١٩هـ أسند لمعاوية ما كان ليزيد أخيه، فلما مات هذا الأخير دخل أبو سفيان على عمر بن الخطاب الذي قال معزيا أبا سفيان: (أحسن الله عزاءك في يزيد) فبادر الأب قائلاً: (من وليت مكانه؟) قال عمر: (أخوه معاوية) فرد أبو سفيان على الفور: (وصلتك رحم يا أمير المؤمنين).

---

[١] قال معاوية: ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله –صلى الله عليه وآله– (يا معاوية إن ملكت فأحسن) أخرجه الطبراني في الكبير.

على أي الأحوال كان يزيد بن سفيان يسمى يزيد الخير، كان أخا لمعاوية من أبيه فقط، أمه كانت من بني كنانة، وليس هند بنت عتبة أم معاوية[١]، أسلم يزيد الخير عام الفتح، وشهد معركة حنين مع رسول الله، الذي أعطاه من غنائم المعركة، ثم سيره أبو بكر إلى الشام، وخرج يشيعه راحلاً[٢].

هذا غيض من فيض عن معاوية ، فماذا عن الآخر، أي: (عبد الله بن أبي ربيعة) هو من أرسل مع عمرو بن العاص إلى النجاشي في طلب أصحاب رسول الله الذين هاجروا إلى الحبشة.

عبد الله بن أبي ربيعة لجأ مع الحارث بن هشام إلى أم هانئ بنت أبي طالب، فقد أراد أخوها علي قتلهما فمنعت أخاها علياً منهما وأتت النبي فأخبرته بذلك، فقال أجرنا من أجرت.

ولاه رسول الله الجند في اليمن، وبقى والياً عليها حتى اغتيل عمر، فأي رحم بين بني أمية وبين ابن الخطاب يا كاتب السطور؟ في تاريخ الخلفاء للسيوطي[٣]: (أم عمر بن الخطاب حنتمة بنت هشام بن المغيرة، فكان أبو جهل خاله) ولذا يقول معاوية رحم الله أبا بكر، لم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر- أو قال ابن حنتمة - فأرادته الدنيا ولم يردها، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابت منه، وأما نحن فتمرغنا فيها- ثم كأنه ندم - فقال: والله، إنه لملك أتانا الله إياه[٤].

---

(١) وقال معاوية أيضاً عن حسبه: (إذا لم يك المخزومي ذا بأو وأبهة لم يشبه قومه) تابع تاج العروس مادة (أ ب هـ).

(٢) انظر كتابنا عن المغيرة، ص٢٤٢.

(٣) القاهرة بدون تاريخ، ص١٣١، حنتمة معناها الحنظلة.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٦٧.

لكن – يا أخا العرب – إن أبا بكر مكث في الخلافة فوق العامين فقط، ولم يتح له أن يريد الدنيا أو تريده، إذ إنه ما لبث إلا قليلاً حتى لحق بمحمد – صلى الله عليه وآله – فكان من حسن حظه.

لكني تعجبت من جرأة معاوية على عمر، إذ ربما هذه هي المرة الوحيدة التي قرأت فيها من يسمي أم عمر أو باسمها يصرح؟ لكن عندما علمت الرحم بين الرجلين بين ابن الخطاب وبين معاوية، أو بين عمر وبين بني أمية فهمت السبب في هذا التجرؤ، كما فهمت قول أبي سفيان لعمر عندما ولى معاوية مكان أخيه يزيد: (وصلتك رحم يا أمير المؤمنين).

وكنت أود أن أستطرد إلى حديثي:

- (اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين).
- من أراد أن تثكله أمه... فليلقني وراء هذا الوادي.

فاتضح لي ما يلي:

١- اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين... قال العجلوني في كشف الخفاء[١]:

وأما ما ورد عن الألسنة من قولهم: (اللهم أيد... – أو اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين) فلا أعلم له أصلاً، ونقل عن السيوطي أنه قال: (وقد اشتهر الآن على الألسنة بلفظ(بأحب العمرين) ولا أصل له من طرق الحديث بعد الفحص البالغ... انتهى.

وفي الترمذي بإسناد ضعيف جداً: اللهم أعز الإسلام بأبي جهل ابن هشام[٢] أو بعمر.... فمن غير المنطقي أن يتمنى محمد – ﷺ – إسلام رجل كناه هو (أبا

---

[١] ٢١١/١.

[٢] راجع موقع ملتقى أهل الحديث.

جهل) بل جرم من كناه أبا الحكم، وإن كان الرسول شديد الحرص والإشفاق على إخراج هؤلاء الناس من النيران.

٢- من أراد أن تثكله أمه أو ييتم ولده أو ترمل زوجة فليلقني وراء هذا الوادي... هذه القصة ضعيفة معلولة، وهي مخالفة لرواية ابن إسحاق من هجرة عمر مع عياش ابن أبي ربيعة متخفيين، فهذا الأثر: (من أراد...)[١]. ضعيف جداً.

نعود إلى عبد الله بن ربيعة فنشير إلى أن عثمان أقره على ما كان عليه، فلما حُصر عثمان جاء مهرولا من اليمن لينصره، فسقط عن دابتة قرب مكة، فمات من ساعته عام ٣٥هـ، ويبدو أن العجلة والسرعة في نجدة عثمان قد أودت به[٢].

ولكن الحق يقال أن الرجل ما فعل شيئاً يشوبه حتى مات شهيداً بسقوطه عن راحلته قبل أن يصل إلى مكة لنجدة ابن عفان.

ولكن هل مال عمر إلى واحد من هؤلاء الستة الذين اختارهم للشورى؟ من نافلة القول أنه جعل ابنه عبد الله مجرد مراقب يحضر المناقشات ولاحظ له في خلافة أبيه.

ومن نافلة القول أيضاً استبعاد علي بن أبي طالب من خلافته، بدليل أن عمر أوصى عندما طعن أن يصلى بالناس صهيب مولى بني جدعان في مهلة الأيام الثلاثة للشورى، ولم يوص لابن أبي طالب، وقد يقال إن علياً كان في لجنة الشورى فهل يتركها ليؤم الناس في الصلاة؟.

---

(١) السابق.

(٢) راجع: أسد الغابة... لابن الأثير، القاهرة ٢٠٠٧م، ٣/١٧٧.

وأقول: ما كان لأحد في المدينة وعلى الرأس منهم لجنة الشورى أن يتخلف عن صلاة الجماعة إماماً أو مأموماً.

بل إن علياً عندما تقدم للصلاة على عمر منعه الزبير بن العوام، ففي طبقات ابن سعد[1]: (فلما مات عمر ووضع ليصلى عليه أقبل علي وعثمان أيهما يصلي عليه، فقال عبد الرحمن بن عوف: إن هذا الحرص على الإمارة، لقد علمتما ما هذا إليكما، وقد أمر به غيركما، تقدم يا صهيب فصل عليه) فتقدم صهيب للصلاة عليه.

ونعود مرة أخرى إلى رأي عمر فيمن يكون المرشح بعده، جاء في الملحمة[2] قول عمر على فراش الموت وفي حضور سعد بن أبي وقاص، ومع التحذير من طمع الطلقاء وأبنائهم في الخلافة: انظروا فإن أصابت سعداً فذاك، وإلا فأيكم استخلف فليستعن به، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة.

وعلى كل الأحوال فقد كان الاتجاه إلى إبعاد عليٍّ عن مسند الخلافة، للأسباب الآتية:

١- إن عمر بن الخطاب فاجأ الناس بفلته- وقى الله شرها- بأن قال لأبي بكر ابسط يدك لأبايعك، أي بالخلافة، ثم أوصى أبو بكر لعمر، أي بالخلافة من بعده، وكان لعمر أن يفعل مع علي، كما فعل أبو بكر معه، لكنه عدل عن هذا، أي أن يعهد بالخلافة لعلي، كما فعل معه أبو بكر.

---

(١) ٣/ ٣٢١ وقبله، القاهرة بدون تاريخ.

(٢) ص ٢٠١٩.

٢- عندما طعن عمر أوصى أن يؤم الناس في الصلاة بعده صهيب مولى بني جدعان، ولم يوص إلى علي، قال عمر وهو على فراش الموت: (إن حدث بي حدث فليصل بالناس صهيب... ثلاث ليال...)[١].

٣- وقد يحتج محتج أو يرد مجادل بأن سيد الخلق – صلى الله عليه وآله- قد عهد لأبي بكر أن يصلي بالناس مكانه في مرض موته، إلا أن محمداً كان يعلم بثاقب بصر أن علياً – باعتبار من آل بيته- سوف يصبح أكبر آل البيت بعد موت ابن عمه، ولذا لابد لابد سيكون مسئولاً مسئولاً عن شئونه كلها، سواء في مرضه، أو عند وفاته من الغسل والكفّن والدفن، والتجهيز بكل شكل ونوع، ولذا ما أراد لشيء أن يشغل علياً عما سبق، فما رأى القارئ الكريم؟.

٤- إن عمر نفسه قد نص على من يخلفه من بعده، وأعلن عن رأيه في هذا الشأن، فقال وهو على فراش الموت وفي حضور سعد بن أبي وقاص: (انظروا إن أصابت سعدا فذاك، وإلا فأيكم استخلف فليستعن به) أي في ولاية الكرفة، وبالفعل أرجعه الخليفة عثمان وعزل والي الكوفة المغيرة بن شعبة.

٥- وعندما حضرت جنازة عمر للصلاة عليها أقبل علي وعثمان للصلاة عليه، وعندها اعترض عبد الرحمن بن عوف قائلاً: (إن هذا الحرص على الإمارة، لقد علمتما ما هذا إليكما، وقد أُمر به غيركما، تقدم يا صهيب فصل عليه) فتقدم صهيب كما أمر.

---

[١] عبد الله بن عمر الدميجي، الإمامة العظمي عند أهل السنة والجماعة، الرياض الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، ص٢٠٦.

وهنا نذكر موقفاً طريفاً مما يمكن أن يذكر هنا أو يقال: كان عمر بن الخطاب يخطب على المنبر فقام إليه الحسين فقال: (انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك) فقال عمر: (لم يكن لأبي منبر) وأجلسني -عمر- معه، فلما نزل انطلق بي إلى منزله فقال: (من علمك هذا؟) قال الحسين: والله ما علمني أحد فقال عمر: لو جعلت تغشانا، فذهب الحسين يوماً إلى عمر فوجده (مختليا بمعاوية) وابن عمر بالباب فرجع ابن عمر.

ولكن أبا الحسين عندما سمع قال: ما أمره بهذا أحد، أما لأوجعنك، فقال عمر: (لا توجع ابن أخي فقد صدق).

٦- كان عمر صهراً لعلي، أم كلثوم بنت علي تزوجها عمر - وإن كان جدال وحوار-حول هذا الزواج إلا أن عمر لم يراع هذه المصاهرة بينه وبين الإمام علي، بل إنه لم يراع مصاهرة صهره من محمد - صلى الله عليه وآله- كما لم يراع قرابة الرجل من ابن عمه -محمد بن عبد الله- فإذا بعلي لا يقدم للصلاة عندما طعن عمر، ولم يرشحه عمر لخلافته، كما رشحه أبو بكر، أو كما بادر أهل السقيفة والناس جميعاً على مبايعة أبي بكر، بل إن علياً منع من الصلاة على صهره المتوفى، فقد كان أقرب إليه من صهيب الذي أمر بالصلاة على عمر بدل صهره ابن أبي طالب.

بل إن سيدي عمر بن الخطاب على فراش الموت تمني -كما في الطبري- ما يلي:

١- لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً استخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: إنه أمين هذه الأمة.

٢- ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته، فإن سألني ربي؟ قلت: سمعت نبيك يقول: إن سالماً شديد الحب لله[١]. وأنت يا سيدي لماذا لم تستخلف علياً؟ فإن سوئلت قلت: سمعت رسول الله يقول:

- (من كنت مولاه، فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه).
- أنا مدينة العلم وعلي بابها.

لن تحار جوابا يا سيدي إن سألك سيد الخلق لماذا استخلفت ابن عمه وصهره، بل صهرك أنت.

أوصى عمر الخليفة بعده بسعد بن أبي وقاص، ويضيف ابن سعد: (فولاه عثمان الكوفة ثم عزله وولى الوليد بن عقبة بن معيط) [٢].

الوليد الذي جاء من صلب عقبة بن أبي معيط الذي كان من أفعاله وإيذائه لسيد الخلق قصب السبق في هذا الأذى: ولذا فإنه عندما أسر في بدر أمر محمد بقتله دون غيره من أسرى قريش، وعندما أمر بقتله قال:

عقبة: فمن للصبية؟

محمد: النار

وقتل عقبة لعداوته الشديدة لله ورسوله، حتى قبل أن يصل الرسول للمدينة المنورة[٣] عائداً من غزوة بدر الظافرة المظفرة عام ٢هـ، قتل عقبة كافراً معانداً قد خرج لحرب الله ورسوله، ولكن الله أخزاه، فقتل-كما سبق- بأمر من سيد الخلق.

---

(١) تاريخ الطبري ٥٨٠/٢، بيروت ١٤٠٧هـ.

(٢) نفس النص الذي نقلناه عن باكثير بحرفه ونصه وجدناه في طبقات ابن سعد، ٣٢٦/٢.

(٣) سيرة ابن هشام، القاهرة ١٩٥٥، ص٦٤٤.

فمن هو الوليد بن عقبة؟ أسلم يوم الفتح بمكة هو وأخوه خالد بن عقبة، يقول ابن الأثير[1]: ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن أن قوله -عز وجل- (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) ٦ الحجرات، هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة، فإن رسول الله بعثه إلى بني المصطلق لجمع الصدقات والزكاوات، فعاد فأخبر عنهم أنهم ارتدوا ومنعوا الصدقة، وذلك أنهم لما خرجوا إليه يتلقونه – يستقبلونه فهابهم وخاف منهم وانصرف عنهم فبعث إليهم رسول الله خالد بن الوليد فأكدوا أنهم متمسكون بالإسلام، فنزلت: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا...) الآية.

وإلى هنا نعود مرة أخرى لاغتيال عمر، ونترك الوليد هنيهة لنقول: لقد انتهت لجنة الشورى العمرية إلى اختيار عثمان خليفة، وهنا استجاب الرجل إلى تولية سعد بن أبي وقاص على الكوفة إنفاذا لوصية من سبقه، فماذا وكيف كان ذلك يا ترى؟ ومن كان على العراق عند نزول فاجعة مقتل ابن الخطاب؟ كان على البصرة جنوب العراق أبو موسى الأشعري، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة ، وكان عمر عازماً على إقالته وتولية سعد مكانه، فلما طعن أوصى من بعده بهذا الأمر.

وبالفعل كلف سعد بتولي الكوفة بدل المغيرة، ولكن الأخير عرف بوسائله الخاصة بعزله عن كوفته، وعندها استدعى عثمان سعداً على وجه السرعة سائله: (هل حدثت أحداً بما كان بيننا؟) كلا، يؤكد ابن وقاص بأنه لم يخبر أحداً البتة بما كان بينه وبين عثمان.

---

[1] أسد الغابة... ٥/٢٣٦.

وهنا استدعى عثمان المغيرة وعلى وجه السرعة ليمثل أمام الخليفة الذي قال لعامله السابق على الكوفة مهدداً: (لتخبرني من أخبرك أو لأسيلن دمك) أي من أخبره بإقالته وإقامة سعد مكانه، وعلى الفور أجاب المغيرة دون وجل أو تردد: (بحران) حاجب الخليفة.

استدعى بحران على عجل فضرب ٦٠ سوطاً وحلق رأسه، وطافوا به في السوق، ولكن القلوب الرحيمة للصحب الكرام تدخلوا لإطلاق سراح الحاجب، ثم أعتقه عثمان[١].

عزل المغيرة وولى سعد، كما أوصى الخليفة، ولكن عثمان ما لبث أن عزل الصحابي الجليل ابن أبي وقاص وجاء بالوليد بن عقبة سالف الذكر الذي نال على صدره على مر التاريخ وصم (فاسق) في القرآن الكريم.

وذهب الوليد ليتسلم الولاية من سعد بن أبي وقاص الذي قال للوالي الجديد القادم إليه:

- والله، ما أدري: أكست -بتاء المخاطب- بعدنا أم حمقنا من بعدك؟.

الوليد: لا تجزعن - أبا إسحاق- فإنما هو الملك، يتغداه قوم، ويتعشاه آخرون[٢].

سعد: أراكم ستجعلونها ملكاً.

وهكذا كانت هذي الفئة ترى، هو ملك وملك في ملك، لا دين، ولا رسالة، ولا خلافة على منهاج النبوة، وهكذا كان الأمر في النهاية.

---

[١] راجع كتابنا عن المغيرة، ص١٣٢، ١٢٢.

[٢] أسد الغابة... ٢٣٧/٥.

وقبل أن نحكي طرفاً من مسيرة والي عثمان الجديد -والذي كان أخا عثمان من أمه- نفسر للقارئ عبارة الوالي المعزول:

والله ما أدري: أكست[1] بعدنا أم حمقنا بعدك؟!

لا ندري هل أصبحت - يا وليد- أوكس، أي: (خسيساً حقيرا) أو هل أنت هكذا (أوكس) أم ترى سبقتنا بعقلك وحكمتك، فنحن حمقى بعدك، أي اتخذنا الطريق الخاطئ في التعامل مع الأشياء، ولكن ابن عقبة بن معيط، صاحب التاريخ في معاداة نبيه أو نبي زمانه هذا الأب، أما ابنه وليد فقد كان شديد الصراحة، حين أعلن أن هذا هو الملك، يتغداه قوم ويتعشاه آخرون، إنما هو حكم، وقد حكمت يا سعد فترة، وجاء دور الآخر (الوليد) ليتعشاه، كما تغداه سعد، الذي سبق هذا الوليد، الذي جاء من بعد السعد بن أبي وقاص ، لكل في الحكم نصيب ووقت.

والآن جاء الوقت والآن لحكاية طرف من سيرة الوليد في الكوفة؛

١-عندما كان الوليد بن عقبة والياً على الكوفة اشتد النزاع بينه وبين عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ولكن الناس مالوا إلى الصحابي الجليل ابن مسعود؟ يا إلهي!! كيف جمع عثمان بين الرجلين، وبينهما بعد المشرقين والمغربين والمشربين.

قال ابن مسعود: (كنت غلاماً يافعاً في غنم لعقبة بن أبي معيط أرعاها) فلعل من صلة بين ابن عقبة وبين راعي ماشيه أبيه أو عامل أبيه، لكن ما صلة ما بين عثمان والوليد؟ هما أخوان من الأم، هذه الأم هي: (أروى بنت كرير) أم

---

[1] راجع مادة (و ك س) في المعجم الوسيط.

الوليد والتي كانت زوجاً لعقبة بن أبي معيط، وكانت قرشية (عبشمية) من بني عبد شمس.

الوليد أسلم يوم الفتح، وقد ناهز الحلم (عام ٨هـ) رأى الرسول، عندما كان طفلاً صغيراً.

ولكن بعد هذا كله ما نتيجة الخلاف الذي شجر بين الوليد وبين ابن مسعود؟ الوليد كان حاكم الكوفة، وابن مسعود كان القائم على بيت مال الكوفة الذي اقترض منه الوليد وماطل في الوفاء.

لقد كانت النتيجة انتصار الوليد وحزبه – سيما المستشار المقرب لعثمان، ابن العم مروان بن الحكم– فقد بعث الخليفة عثمان في استدعاء عبد الله من الكوفة إلى المدينة وعلى عجل.

ولكن الناس انحازوا إلى ابن مسعود قائلين:– (أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه) لكن الصحابي الجليل رد بأنه (عثمان له حق الطاعة، وأنه ستكون أمور وفتنه فلا أحب أن أكون أول من فتحها) فرد الناس وخرج إليه[١].

وقد صدق حدس ابن مسعود وكانت فتنة أطاحت في النهاية بالخليفة عثمان، هذه الفتنة كانت مقدمة طبيعة لما حدث من ولاة ومقربي الخليفة، ومنهم الوليد بن عقبة.

٢– صلى الوليد بن عقبة بأهل الكوفة صلاة الصبح ٤ ركعات، ثم التفت إليهم، فقال: هل أزيدكم؟ فقال عبد الله بن مسعود: مازلنا معك في زيادة منذ اليوم!.

---

[١] راجع أسد الغابة ٢٩٤/٣.

٣- عن حصين المنذر الرقاشي: شهدت عثمان عندما أتى بالوليد فشهد على الوليد شاهدان، الأول شهد بأنه رأى الوليد يشرب الخمر، وشهد الآخر أنه رآه يتقيؤها، فقال عثمان: لم يتقيأها حتى شربها، ثم قال لعلي: أقم عليه الحد... وفي النهاية أقام عليه الحد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فجلده ٤٠ جلدة، ثم عزله عثمان عن ولاية الكوفة، وأعاد إليها ابن وقاص ثانية.

قال ابن الأثير: شهد الوليد صفين مع معاوية.... وكان يحرض معاوية بكتبه وشعره أقام بالرقة حتى توفي بها[١].

والآن بعد هذه الاستطرادة في خلافة عثمان نعود مرة أخرى إلى فاجعة اغتيال عمر، لنقول:

سادساً - إحساس عمر بالفاجعة: لم يك طعن عمر فجأة مفاجئة، كما يتصور بعض المتصورين، بل سبقته محاولة أخرى، من قبل الأحمق المطاع، بل سبقته حوارات وحوارات، مثل:

١- الحوار مع الهرمزان:

- عمر: أتدري يا هرمزان، ماذا جال بظني إذا انقطعت عني؟

... لعلك سمعت خطبتي في الجمعة الماضية، فأشفقت أن تكون الديك الأحمر الذي نقرني نقرتين، في منامي.

- الهرمزان: يا ليتني كنت الديك الأحمر، إذن لتركتك.

- عمر: كلا يا هرمزان.... هيهات هيهات، لقد نقرني وما تركني، وما أراه إلا لحضور أجلي[٢].

---

(١) السابق، ٢٣٧/٥.

(٢) الملحمة، ص٩٩٨.

٢- الحوار مع أبي لؤلؤة:

-عمر: بلغني أنك تقول: لو أشاء لصنعت رحى، تطحن بالريح (أي تعمل بالهواء فقط، دون مجهود يذكر) ولأجزل لك الأجر.

- أبو اللؤلؤة: لا أريد منك عليها أجراً، لأصنعن لك رحى، يتحدث بها أهل المشرق والمغرب (ثم يخرج أبو اللؤلؤة من المجلس).

ويفهم عمر الرسالة تماماً، ليقول لجليسه، أي:

-عمر: ماذا ترى فيما سمعت، يا بن الأرقم؟.

- ابن الأرقم: أجل يا أمير المؤمنين، فلولا اتخذت حرساً ليحموك من الأذى والاغتيال[١].

اقتراح وجيه - يا بن الأرقم - ولكن عمر لم يأخذ به، برغم أنه سمع ذياك المقترح من أكثر من مقترح ناجح.

٣- ويحكي عبد الله بن الزبير[٢]: جئت من السوق، وعمر يتوكأ علي، فمر بنا أبو اللؤلؤة، فنظر إلى عمر نظرة، ظننت أنه لولا مكاني (وجودي إلى جانب عمر) لبطش به (أي بعمر) فجئت إلى المسجد الفجر، فإني بين النائم واليقظانة، لقد كانت الفاجعة في اغتيال الخليفة، نعم، كانت فاجعة بكل المقاييس، وإن لم تك مفاجئة، على الأقل بالنسبة لعمر، وهذا رأيي، وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين.

---

(١) السابق، ص٩٩٧.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/٢٧٠.

وفي هذا السياق أيضاً نشير إلى أن هذا الفيروز كان شديد الحنق على العرب، إذا مر على السبى من غير العرب مسح على رءوسهم، والدموع في عينيه قائلاً: لقد أكلت العرب كبداي[1].

وفي ملحمة باكثير يقول[2] أبو لؤلؤة لكعب الأحبار في بيت جفينة يقول فيروز: واكبداه، لقد أكل عمر كبدي.

هذا طرف من الحوار في نفس المكان، بيت جفينة، ويبدو الجو جو مؤامرة وتآمر:

- الهرمزان: كان ابني القمباذان يصلي معنا في المسجد، فلما انسللت خارجاً لمحني وتبعني، فاضطررت أن أماشيه حتى أوصلته إلى البيت، فلما وضع ثيابه انتحلت له ولأمه عذراً فخرجت.
- كعب: لا أكتم أني أشعر برهبة خفية.
- الهرمزان: مم يا كعب؟
- من اجتماعنا بالليل، فإنه مريب.
- أبو لؤلؤة: لقد جئنا فرادى، ولم يرنا أحد.
- كعب: هذا المصباح يجب إطفاؤه.
- أبو لؤلؤة: ونقعد في الظلمة.
- كعب: ذاك خير من أن يطرقنا عمر فيجدنا هكذا مجتمعين.
- أبو لؤلؤة: عمر؟

---

(1) راجع كتابنا عن المغيرة، ص٩٥.

(2) ص ٩٩١.

- كعب: ألا تعلم أنه يعس بالليل، فإذا رأى سراجاً موقوداً، قرع الباب على أصحابه.

- أبو لؤلؤة: وما يدعوه إلى ذلك؟

- كعب: إنه نهى عن السروج (المصابيح) في الليل خشية الحريق (وهذا من هديه -ﷺ- قبل النوم يغطي الطعام والماء، ويطفأ السراج والنار).

- جفينة: لشد ما يتعب هذا الرجل نفسه!

- الهرمزان: في سبيل رعيته.

- أبو لؤلؤة: والنار المقدسة، لأريحنه وشيكاً من هذا التعب.

- كعب: أطفئ السراج يا جفينة.

- أبو لؤلؤة: كلا، لا يطفئه غيري! (يطفي أبو لؤلؤة السراج، فيسود الظلام هنيهة، وإذا شعاع من القمر يسقط من الكوة في الحجرة، فيضيئها، فيرتاع أبو لؤلؤة!)

- كعب: لا ترع - يا أبا لؤلؤة - هذا نور القمر[١]!.

أرأيت - أيها القارئ الكريم - جو التآمر واضح فاضح، كما يراه الباده الواهل.

بقى في الجعبة بعض التفاصيل عن الأركان الرئيسة في جريمة الاغتيال، وهم أبو لؤلؤة وجفينة والهرمزان، وأنهم جاءوا إلى المدينة قصداً لقتل عمر، ليس إلا، وهناك بعض التفصيل والتفاصيل:

---

[١] السابق، ص٩٤٣ وقبلها.

١- رفض أبي لؤلؤة المكاتبة: ونيل حريته والبقاء - أو الإبقاء - على علاقته بمولاه المغيرة، وهو ما يظهر في الحوار التالي بحضور عمر ومشاركته، ففي حوار في بيت عمر، يقترح على فيروز والمغيرة المكاتبة:

-عمر: كاتبه يا مغيرة.

-كلا، يا أمير المؤمنين...

-والأعجب من هذا رفض العبد نفسه الحرية بالمكاتبة، نفس الإجابة تلقاها عمر من:

-فيروز: كلا يا أمير المؤمنين... جئتك لتنصفني، فإذا أنت تلهيني عنه بأمر آخر[1]!

لقد جاء الفيروز شاكياً مولاه، في كثرة ما يفرض عليه سيده، والعبد يماري بأنه لا يستطيع دفع ما يفرض عليه، وأرى أن الغادر كان يريد أن يقترب من عمر، يتحدث إليه وينظر ملياً إليه، حتى إذا ما غدر به لم يخطئه، وما يتوه عنه، ولعل سيده كان على علم بما يدبر لعمر.

٢- غرض مجيئه قتل عمر فقط:

-الهرمزان: خبرني يا فيروز، وأصدقني، أما زلت أنت على نيتك؟

-فيروز: يا ضيعة فارس، تسألني هذا السؤال، وأنت الذي حرضتني على أن أكون عبداً فأباع لأمير العرب في البصرة حتى أتمكن من تنفيذ هذه النية.

-الهرمزان: ما يدريني - يا فيروز - لعلك تغيرت.

-فيروز: أنا أتغير، أنا ابن بوران بنت كسرى، ابن رستم بطل الأبطال أتغير؟ بل أنت الذي تغيرت إذ أسلمت.

---

[1] الملحمة، ص٩٩٦ وقبله.

-الهرمزان: علينا أن نلزم الحيطة والحذر.

ويبدو أن المؤامرة دخلت في ساحة الجد، وربما فاحت رائحتها، هنا أو هناك، ومن ثم رأى الهرمزان الحيطة والحذر، ولنا عود إلى ذياك الحديث الذي أسر به الرجل إلى رفيق مؤامرته، أبي لؤلؤة.

٣- جفينة عميل للقيصر: يأتي رجل من الروم: اسمه (وسق)[١] إلى عمر بعد طعنه يبكي، ويقول أي:

- وسق: (يبكي) سامحني يا أمير المؤمنين!.

- عمر: لا جناح عليك، إنما أردت أن أراك لأشهدك أنني أعتقتك، فأنت حر لوجه الله تعالى.

- وسق: لقد خنتك يا أمير المؤمنين!؟ لم أبلغك ما فعل جفينة العبادي؟.

- عمر: وماذا فعل؟.

- وسق: استدرجني ذات يوم إلى بيته فسقاني الخمر، ثم صرت أتردد عليه كلما حن قلبي إلى الشراب، فلما استوثق مني عرض علي أن أغتالك - يا أمير المؤمنين - ووعد أن يؤويني عنده حتى أتمكن من الهرب إلى أرض الروم، فيقدمني إلى قيصر ليكافئني ويقلدني منصباً كبيراً عنده.

- عمر: ولكنك رفضت؟

---

[١] كان هذا الرجل (وسق) غلاماً لعمر، ثم أعتقه وكان عمر نصح أبا لؤلؤة بمكاتبة سيده المغيرة لينال حريته مثل وسق هذا، ولكن العبد أبى - كما سلف - لغدر في حبيئة نفسه.

كان علي – يا أمير المؤمنين – أن أخبرك أنه يعمل جاسوساً لملك الروم عليك.

– عمر: ما أعلمه أنه صاحب كُتاب، يعلم أولاد المسلمين الكتابة والقراءة.

– وسق: ليكون ستاراً يخفي به حقيقة أمره.

– عمر: ومن أجل هذا – يا وسق– هربت منا اليوم.

– وسق: أجل، لو كنت أخبرتك فربما اتقيت هذا الذي أصابك، فإني لمحت هذا الكلب أبا لؤلؤة عنده[1] (عند جفينة).

٤– الهرمزان رأس المؤامرة: سلف نقلنا عن ملحمة باكثير أن الهرمزان هو الذي حرض أبا لؤلؤة على أن يكون عبداً لأمير من العرب في البصرة حتى يتمكن من اغتيال عمر، وها نحن أولاء نستكمل الحوار بين الفيروز وبين الهرمزان في بيت الأخير:

–الهرمزان: عليك يا فيروز أن تلزم الحيطة والحذر.

–فيروز: هات ما عندك؟

–الهرمزان: (يتلفت حوله كأنما يخشى أن يسمعه أحد) إني ما استسلمت هنالك (في فارس) ونزلت على حكم هذا الرجل (عمر) إلا لأقوم أنا بعمل الرحى بنفسي لما استبطأتك – يا فيروز– ولم أسمع شيئاً عن رحاك.

–فيروز (فرحاً) أحقا – يا هرمزان – استسلمت من أجل ذلك؟

الهرمزان: نعم، وأسلمت أيضاً من أجل ذلك.

فيروز: (يقبل رأس الهرمزان ويديه بإخلاص) الآن اطمأنت نفسي[2].

---

[1] الملحمة، ص١٠٢٧.

[2] ص ٧٧٤.

نعود إلى الوراء قليلاً في تاريخ الهرمزان، حيث قلعة تستر[1] التي اعتصم بها الهرمزان مع رجاله.

هذا حوار جرى بينه وبين السيدة (شيرين) أميرة فارسية أسلمت وتزوجت بأحد قواد الجيوش العربية (المعني بن حارثة) شقيق المثنى بن الحارثة وكان هذا الهرمزان قد تهجم على السيدة المذكورة، يراودها عن نفسها، بعدها استسلم للقوات العربية واستأسر:

شيرين: (مستنكرة استسلامه غير المبرر) إنيَ والله – لا أرضى لك هذا الذل والهوان، أوليس الموت أكرم لك من ذلك.

- الهرمزان: لو عرفت غايتي – يا شيرين – لما قلت هذا القول.
- شيرين: أية غاية؟ هذا جبن منك وأنانية.
- الهرمزان: سوف تعلمين ذات يوم أن هذا ليس بجبن ولا أنانية.
- شيرين: أبعد ما كبدت أهل تستر ما كبدتهم تنزل على الأمان لنفسك، دون أن تشترط لهم أي حق؟
- الهرمزان: سوف تعلمين غداً أن تسليمي هذا إنما هو من أجل تستر، وأهل فارس أجمع.
- شيرين: دعني من ترهاتك وأوهامك، لتكون غداً أسوأ مثل لقادة فارس حيث تباع وتشترى في أسواق المدينة.

---

[1] كانت تستر تقع إلى الشرق من المدائن، عاصمة بلاد فارس، هذي الحاضرة التي سقطت بأيدي المسلمين، ثم اتجهت القوات العربية نحو الشرق، أي تستر التي تحصن بها الهرمزان بقواته.

- الهرمزان: لأنتقمن هناك لأهل فارس أجمع، ولأموتن بعدها قرير العين.

- الهرمزان: لأقتلن الرجل الذي قتل فارس... لأقتلن عمر[1]! إذن الهدف الهدف – يا هرمزان – المدينة، وذلك لقتل عمر بن الخطاب.

والآن وصل الهرمزان إلى هدفه – حاضرة الخلافة – فكان هذا الحوار، في مسجد الرسول الأكرم[2]:

-عمر: (يتأمل الهرمزان) أعوذ بالله من النار، وأستعين بالله، أهذا الذي طغى وتكبر، وبغى وتجبر، وعاهد فغدر، واستأمن ففجر، مرة بعد مرة، وكرة بعد كرة... خذوه إلى بيت الضيافة ليطعم ويستريح، ثم ائتوني به من الغد (يسر الهرمزان حديثاً إلى المغيرة بن شعبة، فلقد كان المغيرة المترجم بين الهرمزان وبين عمر والصحابة الذين حضروا لرؤية هذا الأسير الكبير).

- المغيرة: يا أمير المؤمنين إنه يرجو وقد نزل على حكمك ثقة بعدلك ورحمتك أن يعرف الآن ماذا أنت فاعل به؟.

- عمر: ليس الآن حتى تخلعوا عنه هذه الحلية، و تكسوه مثل غيره من عباد الله.

- المغيرة: (بعد أن يتسار مرة أخرى مع الهرمزان حيث كان المغيرة يعرف الفارسية) إنه يود – يا أمير المؤمنين – لو تحكم عليه وهو في زيه لكي يريك أنه مطيع لك.

على أيه حال فإن ذياك الحوار انتهى بقول:

---

[1] الملحمة، ص ٧٥٨.

[2] لاحظ الهرمزان جاء إلى المدينة عام ١٧هـ.

- المغيرة: إني ماض الساعة إلى أهلي.

- عمر : لكل منا أهل، يا بن شعبة، ولست خيراً مني ولا من غيري.

- المغيرة: (يتمتم) قطع الله لساني، ليت لساني ما نطق.

وعندما وقعت جريمة الاغتيال كاد الهرمزان يذهب إلى عمر بعد طعنه ليعترف له بأنه تواطؤ مع فيروز على قتل ابن الخطاب، لكن ابنه وزوجه، ثم كعباً منعوه في اللحظة الأخيرة منعوه من الذهاب إلى الرجل المطعون مخوفين إياه من أن يقضي هذا على عمر الذي سوف يصدم في صديقه فيدركه الموت، هذا اعتراف من:

- الهرمزان: أواه، لا أنسى أبداً كلماته لي كأنما أسمعها الساعة - والله يا هرمزان- إني لأحبك، وإني لأرجو أن يغفر الله لي بإسلامك ما لا أرجوه بأي عمل آخر، وأرجو أن يأتي وشيكاً أهلك وعيالك فيعيشوا معك في المدينة، فيطمئن بهم بالك ويستقر حالك (ينخرط في البكاء)[1].

الهرمزان هو الذي دبر اغتيال عمر من عهد بعيد، مذ كان في قلعة (تستر) فما نزل على أمان عمر إلا ليقدم عليه بالمدينة فيخدعه بإظهار الإسلام إلى أن تسنح له الفرصة فيغتاله. أي أنه ما آمن. بل عاش كافراً، ومات كافراً[2].

وبرغم هذا كله إنه ما أقدم على قتل عمر، وإن فكر فيه ودبر تواطأ حتى أقدم أبو لؤلؤة على طعن عمر الطعنات القاتلات، فما هي الأسباب يا ترى؟

---

(1) ص ٢٠١٤ من الملحمة.

(2) السابق، ص١٠٤٢.

في رأيي أن السبب في تردد الهرمزان هو انخراط الرجل في المسلمين، سيما مع عمر، فيما أنه أعلن إسلامه فكان عليه أن يتردد على المسلمين، وأن يتواصل معهم، في الصلاة والمسجد، حتى في الحج، هذا التواصل وفي داخله الاختلاط بالناس، وأنهم أحسنوا إليه خاصة عمر، إذا اعتبروه مسلماً مثلهم ما جعله يتصور مدى بشاعة الجريمة، بل إن اقترابه من الخليفة جعله يهابه أكثر، كل هذي العوامل جعلت الكراهية في قلبه تتآكل، والهدف الذي رصده قبل مجيئه إلى المدينة يهتز أمام ناظريه.

كل هذا على العكس من فيروز الذي بقى على مجوسيته فلم ينخرط مع المسلمين، ولم يقترب منهم، بل انكفأ على نفسه وانعزل، برغم أنه عاش في حاضرة الخلافة، ومن ثم نمت في قلبه الكراهية والضغينة حتى قادته هذي الضغائن المتنامية في نفسه الخبيثة إلى قتل عمر.

فإن المرء كلما انعزل عن غيره، سيما قراباته ورحمه ومن حوله ازداد لهم كرهاً ومقتاً، وكذا الأسرة التي ينعزل أفرادها عن بعض تنمو الكراهية ويتعاظم المقت في قلوبها، ولذا أفهم الآن لماذا يشدد الإسلام تشديداً، ويوكد توكيداً على صلة الرحم والقرابة، خاصة الأبناء مع الأمهات والآباء.

إن القطيعة والعزلة عن غيرنا يوغر القلب عليهم ويملؤه بالكره والمقت، هكذا عاش أبو لؤلؤة منعزلاً منزوياً عن مجتمعه الطاهر المطهر ما ملأ قلبه بما ملأ، على عكس الهرمزان، هذا حوار من الملحمة ننقله هنا، هذا الحوار دار بين جفينة والهرمزان وكعب وأبي لؤلؤة، وفي بيت الأول بالمدينة:

- جفينة: تذكروا – يا قوم – أن الأحنف بن قيس يقرع اليوم أبواب خراسان، ولما تنجزوا مهمتكم بعد.

- كعب: مع أنكم قد شرعتم في التدبير قبل معركة نهاوند[1] بأمد طويل.

- أبو لؤلؤة: نهاوند! واحسرتاه على نهاوند! والله ما أضاعها إلا هذا الملك الجالس بينكم (يشير إلى الهرمزان).

- الهرمزان: ما عندك غير هذا القول تردده يا فيروز!.

- أبو لؤلؤة: و لن أكف عن ترديده أبداً، لولا ضياع نهاوند ما ضاعت فارس.

- أبو لؤلؤة: لو أتيح لي أن أصاحب عمر في الحج لرأيت ماذا كنت أفعل؟.

- الهرمزان: وما علمك أنت بالحج، وما يعرو الناس من خشوع؟.

- أبو لؤلؤة: لو صدق منك العزم لكان خشوع عمر في الحج أكبر عون لك فيما أردت.

- الهرمزان: خشوع عمر في الحج، إنك لتهابه، وهو يمشي في السوق، بين قوم مشغولين بالشراء والبيع، فكيف لو رأيته وقد كساه جلال الحج جلالاً ومهابه.

- أبو لؤلؤة: تنصل ما شئت، قد أضعت الفرصة وكفى.

- الهرمزان: هبني أضعتها - يا فيروز - فكم أضعت أنت من فرص قبل ذلك، وبعد ذلك؟.

- أبو لؤلؤة: أنت الذي جعلتني أتراخى في هذا الأمر، لولا مجيئك إلينا في المدينة، واعتراضك إياي في مهمتي لأنجزتها من زمن بعيد.

---

[1] جاء أبو لؤلؤة من سبى نهاوند.

- الهرمزان: بل ينخلع قلبك يا فيروز، كلما واجهته، أو منه دنوت.

- ولكن كعب الأحبار تمكن من إيقاف التلاسن[١] بين الهرمزان وبين أبي لؤلؤة لكي يتمكن الحضور المتحاورون من سماع اقتراح جفينة المفيد ترشيح أحد العرب لقتل عمر، وهو الأحمق المطاع، عينيه بن حصن الغزاري، وهي - أو هو - ما أفلح في مهمته.

وفي إطار ما سبق قلنا عن شخصية الهرمزان، صحوة ضميره التي دفعته إلى أن يهتم بعيد طعن الخليفة - بأن يعترف لعمر بتواطئه مع الغادر أبي لؤلؤة في تآمره، لولا أن منعه زوجه وابنه وكعب مقنعين إياه بأن خبر هذا التواطؤ ربما يصيب عمر بصدمة تقضي عليه، كما سلف قبلاً.

ويذكر ابن سعد[٢] في طبقاته بأن الهرمزان - أو عرفطة - اسمه العربي المسلم بأن الرجل شوهد يحج مع عمر ٢٢هـ، وعليه حَبَرَة - ثوب موشي مخطط- ويبدو أن عرفطة هذا كان ذا جسم رياضي، إذ حين رآه أنس بن مالك لم يتمالك إلا أن قال: ما رأيت أحداً أخمص بطناً، ولا أبعد ما بين المنكبين من الهرمزان.

على أية حال فإن عمر قد قتلته الطعنات الغادرات فجر الأربعاء ٢٦ ذو الحجة ٢٣هـ، لكنه دفن الأحد فاتح المحرم ٢٤هـ، ثم بويع عثمان بالخلافة بعد ٣ ليال/ ليالي، أي في الرابع من المحرم من ذات السنة ٢٤هـ.

---

[١] راجع الملحمة، ص ٩٦٨ وقبلها، وكعب الأحبار هو كعب بن ماتع (ت ٣٤هـ) وسيرته ستأتي مفصلة فيما بعد.

[٢] ٥/١٠٤.

وكانت أول قضية وضعت أمام الخليفة الجديد هي محاكمة عبيد الله بن عمر الذي قتل الهرمزان وجفينة وابنة أبي لؤلؤة.

وطرحت القضية برمتها على الناس في محضر الخليفة، وانقسم الحضور في محضر عثمان إلى قسمين، واحد مع العفو عن القاتل، وآخر مع القصاص منه، ولكن عبارة قيلت في المجلس علي أن أقف أمامها أولاً قبل الخوض في مصير عبيد الله بن عمر، وهي قولة عبد الرحمن بن عوف: (كان عمر يرى أن كعباً كان من المتواطئين مع أبي لؤلؤة).

إذن وضعت حقيقة المتآمرين المتواطئين أمام عمر بن الخطاب، سيما بعد طعنه، أو على الأقل بان له طرفاً مهماً من هذي الحقيقة، كان المنطق والبداهة من غير (فراهه ولا فكاكة أو فتاكة) أن تشكل لجنة تحقيق في كل ما جرى قبل محاكمة عبيد الله، ومن ناحية أخرى كان على القوم أن يحققوا مع ابن عمر هذا لا على القتل المتعجل لأطراف المؤامرة، بل على تدمير الأدلة على هذه الجريمة الشنعاء، ولكن هذا ما حدث، وبقى الأمر إلى الآن معمي على الناس، وما سمعت وما قرأت أن أحداً غير باكثير نظر إلى أن المسألة فيها أطراف أخر متآمرة غير أبي لؤلؤة، والاعتراف بالحق فضيلة.

فمن هو الخليفة الجديد؟ عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، القرشي الأموي، راجع أسد الغابة ٣/٤٤٤، دعا عثمان بن عفان ناساً من أصحاب النبي الأكرم – ﷺ – فيهم عمار بن ياسر، فقال: إني سائلكم، وإنني أرجو أن تصدقوني – نشدتكم بالله – أتعلمون أن رسول الله كان يؤثر قريشاً على سائر الناس، ويؤثر بني هاشم على سائر قريش، فسكت القوم... فقال عثمان: لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا عن آخرهم) رحمة الله عليك يا ابن عفان

وما الضير في هذا؟ لكن المشكلة – سيدي – أن نقرب من طردهم رسول الله ولعنهم، أو أصدر فيهم حكماً وهذا ما وجدناه فيمن ولاهم عثمان رضي الله عنه. وقربهم وجعلهم حاشيته.

لكن ما قصة هذا النزاع بين أبناء القبيلة الواحدة (قريش) ما حكاية التنازع بين بني هاشم وبين بني أمية؟.

يلخص حكيم بني أمية وأبي حكمهم وقائدهم في معركة بدر، عندما انتحى الأخنس بن شريق زعيم بني زهرة، انتحى بأبي جهل ليلة المعركة يسأله: أترى محمد يكذب؟ ويعترف هذا الصنديد: (كيف يكذب على الله وقد كنا نسميه الصادق الأمين؟ لا إنه ما كذب قط) ويشرح عمرو بن هشام القضية: (تنازعنا نحن وبني هاشم الشرف، أطعموا فأطعمنا حملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى لنا مثل هذه، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه).

عندما علم الأخنس زعيم بني زهرة جلية الأمر من عمرو بن هشام رجع بمن معه من قومه ؛ كانوا مائة نجوا مع زعيمهم. بهذا الموقف النبيل الشريف الصحيح، لقد تمكن هذا الرجل من النجاة بنفسه وبمائة قومه من عار الدنيا وشنارها ونيران الآخرة فبقى هذا الموقف ناصعاً مشرقاً على مر التاريخ.

نعود مرة أخرى وأخرى فنقول ونقول: كان على هذي اللجنة أن تنظر في اغتيال الخليفة قبل اختيار الخليفة للخليفة، بل كان ذياك الاغتيال قمنا جديرا بلجنة تكشف عن أبعاد الجريمة، فإن هذا ربما منع المتآمرين من قتل عثمان بن عفان، وربما أيضاً لم تسهل قتل على بن أبي طالب، ولكن هذا لم يحدث، وإلى الآن.

وبرغم ما سطرت وكتبت حول الجريمة فإن الأمر مفتوح لمن يدلى بدلوه، ويكتب – وبما يريد – عن اغتيال عمر، رضي الله عنه.

نعود مرة أخرى إلى محاكمة عبيد الله العلنية، إذا انقسم الجمع أمام عثمان إلى من يطالب بالقصاص لأنه برغم المصاب الجلل لأبي عبيد الله والعبيد إلا أنه ليس اختصاصه، إنما اختصاص الحكم والقضاء، وليس ابن المقتول، وعلى رأس هذا الفريق أمير المؤمنين – علي – الوصي ابن عم النبي، أما الفريق الآخر فكان على رأسه عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، فقد كانت الجريمة قبل أن يلي عثمان الخلافة والحكم، كما أنه لا يليق أن يقتل عمر بالأمس، ثم يقتل ابنه اليوم، أي بعد أيام قليلة من مقتل الأب.

وبطبيعة الحال فإن هذا وافق هوى في نفس الخليفة الجديد، وميوله وتوجهاته، ورضي بهذا الحكم، بل دفع دية جفينة، كما تنازل المغيرة بن شعبة عن دية ابنة أبي لؤلؤة قائلاً (أنا ولي ابنة أبي لؤلؤة، قد قبلت الدية، وأبرأت منها آل عمر)[1].

هكذا كان المغيرة، ولا يكون منه غير هذا.

وقد يساءل مساءل: يا أخابني يعرب، هل تعتمد في قضية في حجم اغتيال الخليفة الثاني على أديب كاتب، ليس مؤرخاً، ليس عالماً نحريراً، ولا خبيراً بصيراً في التاريخ؟ وأقول لهذا المسائل المتسائل ما يلي:

١- ثقة في دين الرجل – باكثير – وعلمه وثقافته وخبرته، وفي أمانته، وسعة اطلاعه على التراث.

---

[1] الملحمة ١٠٣٩ وقبلها.

٢- إمعان النظر في كل كليمة وجميلة، وعرضها على المنطق العام، وعلى طبيعة الشخصية.

٣- إن عندي خلفية جيدة عن تاريخ الراشدين والدولة الأموية، خاصة في بدء نشأتها، وقد اكتسبت هذه الخلفية من دراستي، سيما في الأزهر ودار العلوم وقراءاتي المستمرة منذ نهاية المرحلة الإعدادية، والمرحلة الثانوية استمراراً حتى الآن، بالليل قبل النهار.

٤- ثم عرض ما أقرؤه أو أسمعه من مسلسلات تاريخية عن هذه الفترة على المراجع والمصادر التاريخية في مكتبي أو غيرها، أو الشبكة الدولية، ففي كتابات باكثير - مثلاً- راجعت كثيراً من الأحداث والحوارات والأفكار على تيك المصادر التاريخية، فوجدنا كثيراً من العبارات التي قرأتها في ملحمة باكثير وجدتها بنفس الكليمات والجميلات في المصادر التاريخية المهمة، مثل طبقات ابن سعد، وابن الأثير في أسد الغابة وتاريخ الخلفاء للسيوطي وصحاح الأحاديث المختلفة.

ومع هذا فإن لأرجو أن يراجع كل ما كتبت، وأن يراجعني من يشاء فيما أراد وشاء، شرط أن يكون شعاره: نحن مع الدليل، نميل معه حيث يميل، وقوله تعالى: (قل هاتوا برهانكم)[1].

وقد رجوت بعض زملائي المقربين مراجعة ما سطرت من سطور قبل كتابتها على الحاسوب، ولعلهما يوفيان بما به وعداني، فلهما الشكران والامتنان، ولله الحمد والمنة.

والآن نلخص ما منه حصلنا بعد هذه الدراسة عن اغتيال عمر:

---

[1] سورة البقرة، آية ١١١.

١- إن مقتل عمر حادث جلل، جريمة اغتيال رهيبة، اشتركت فيها عناصر كان يجب أن تحاكم، أو أن تحظى بلجنة تحقيق تجلي جوانيها وتحل أو تحلحل جوانب غوامضها ومخفياتها.

بل لماذا لا تقوم بحوث أخرى تحقق وتدقق وتبحث وتمحص في هذا الاغتيال.

إن كثيراً من العابثين بالمسلمين وتاريخ المسلمين ودمائهم ما يزالون يرون أن هذا من المحظورات (التابو) الذي لا يمس من بعيد من قريب أو من بعيد، بحجة أنه ليس بالإمكان أبدع مما كان، أو أن هذه الشخصية أو تلك لا يصلح الاقتراب منها، المساس به محظور، رافعين راية: لا مساس، لا مساس.

٢- إننا لا نستقي معلوماتنا من كاتب أو أديب، بل نجعل الأدب مدخلاً لدراسة تاريخنا.

٣- إن في مصرنا كثيراً الآثار المهمة التي درست أو تهمل، أو تجد تعمداً في إهمالها والتعتيم عليها، مثل: أين البيت الذي عاش فيه باكثير في مصر، وأين مقبرته، بل سمعت -كما سلف- أن مالك بن الحارث الأشتر التميمي، الصحابي البطل الذي كان من أنصار الإمام علي، هذا الصحابي مدفون في مصر، في شمال القاهرة، وكما علمت مؤخراً أن ضريحه موجود بين الخانكة وبين القلج، على مشارف الأولى، وعلمت أن أحد المصريين لا يزوره، بل لا يعرفه إلا من عصم ربي.

وقد سألت أحد الدعاه الذي عاش عمره في هذه المنطقة عن ضريح الإمام الأشتر، فقال إنه لا يعرفه، وإن كان يعرف أن بعض الأضرحة موجودة في منطقة الخانكة، أما ضريح مالك فهو ما سمع به.

عرفت أن الضريح يأتي لزيارته كثير من السياح والشباب غير المصري، وأن طائفة البهرة في الهند مهتمة بهذا الضريح!! ويقال إن طائفة البهرة منتمية إلى الشيعة الاسماعيلية، ولماذا لا نهتم - نحن المصريين - يمثل هذه الآثار المهمة.

إن مثل هذا ربما يشفي السياحة في مصرنا من أمراضها المزمنة، أم أن السياحة في بلدنا هي مزامير يتغنى بها قوم، وتحت منظور متوهم، يرى السياحة ترفيهاً وخروجاً عن كل القيم، في حين يرى قوم في السياحة محظوراً محرماً، لا يجب منه الاقتراب أو التصوير.

وأذكر أننا كنا في عام - ١٩٧٥- في دورة عن علم الصوتيات في معهد الدراسات الصوتية بالإسكندرية، وجاء أحد الأساتذة من معهد علم اللغة الاجتماعي في فرنسا، لقد جاء إلى مصرنا وفي نفسه أن يزور مسجد السلطان حسن في القاهرة، وإذا بكثير منا - نحن المصريين- لا نعرف هذا الأثر، وأنا منهم برغم أنني عشت في القاهرة ٤ سنوات الجامعة، وزرت القاهرة عدد شعرات الرأس السوداء في شبابي، ولكن ما سمعت بهذا الأثر فضلاً عن زيارته.

٤- إننا لا نوافق على مبدأ: لم يعد للخلف اللاحق شيئاً يمكن أن يضيفه إلى ما قال وسطر السلف السابق، هذا غير صحيح، باب الاجتهاد والتحقيق المفتوح أمام كل الباحثين، دون خوف ولا وجل، وإلا فإن هذه الأمة سوف تبقى كما هي، دون أن تخرج من دوامة المشكلات والمطامع والتآمر، ولعل الله يمن علينا ويمنحنا فرجاً ومخرجاً فيما نحن فيه، وأن تجلى الغيامات والسرابات من تاريخ الأمة وأن تكشف الغمة والحماية عن كل من تلاعب بتاريخ الأمة وذمها، بل ومستقبلها.

كعب بن ماتع وإسرائيل ولفنسون

في

هوامش على اغتيال عمر

كلما قلبت النظر في التاريخ بانت لنا أشياء كانت خافية، أو كانت مختفية تماماً، وأحياناً أحس أنها تخفى عمداً وقصداً عنا - نحن المسلمين- وكلما بانت لنا أشياء وروايات ومعلومات غيرنا خريطتنا ووجهة نظرنا في المواقف والأحداث والشخصيات مستمسكين دوماً بقوله تعالى في سورة يوسف: (وما شهدنا إلا بما علمنا، وما كنا للغيب حافظين) كما أننا دوماً مع الدليل نميل معه حيث يميل.

وعليه فإنني كلما قلبت موضوع مقتل عمر تبين لي بما لا يدع مجالاً للشك أو الريب أنها مؤامرة، فيها عديد من الأطراف، منها كعب الأحبار وعينيه بن حصن والهرمزان... إلخ.

وبما أنني في مكتبتي أمتلك رسالة دكتوراه ألمانية مترجمة إلى العربية ومراجع أخرى للمستشرق إسرائيل بن زئيف (ت ١٩٨٠م) فقد عدت إلى تيك المصادر والمراجع التي جعلتني أستطرد حتى تمتد خريطتي إلى قصة كعب بن مائع، ثم أبرز من كتب عنه، بل به بدأت، أي بابن زئيف، فإن بعض الناس يتصور أنه مصري، مع أنه كان وليد المشروع الصهيوني مائة في المائة، وبكل توكيد، هذا المشروع إن هو إلا حلقة خطيرة من مشاريع تدمير العرب، ألم تر إلى قول الله تعالى: (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها)[1].

ما كان هذا المشروع إنشاء وطن قومي لليهود في قلب الوطن العربي، ولا كان: (أعطى من لا يملك وطناً لمن لا يستحق) كما قال الزعيم طيب الذكر والعطر (جمال عبد الناصرت١٩٧٠م) وإنما أهم مشاريع تدمير وطن العرب من الداخل.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٦٤.

لقد كانت فلسطين مفتوحة دوماً لليهود منذ الفتح الإسلامي وخاصة بيت المقدس[1]، بدليل الهجرات المتتابعة من جانب اليهود فرادى وعائلات وجماعات ومنها هجرة عائلة بن زئيف، كما سيأتي.

ولم يك المشروع يهودياً فقط ، بل كان مشروعاً عالمياً استكبارياً استخدمت إمكانيات دول وامبراطوريات كبرى، البريطانية والفرنسية سابقاً، ثم الأمريكية حالياً.

هذه الدول المستكبرة لا تسمح لإسرائيل بالسلام مع العرب مطلقاً، ولا ترضى لها بالتراجع عن تدمير العرب، و إلا ألقت بإسرائيل إلى البحر.

ولكن الأجواء تغيرت والأمور تحولت، صار العرب أغنياء بعد فقر، وتعلموا بعد جهل حتى أصبح لمصر وحدها مليون عالم وخبير دولي، وأصبحت اللغة العربية لغة رسمية في الأمم المتحدة ومؤسساتها منذ ١٩٧٤م.

ظهر الزعيم جمال عبد الناصر بقيمته وقامته الوطنية الفارعة الذي خطط لإقامة جيش وطني قوي، وإعلاء شأن العمال والفلاحين والمساواة التامة بين المواطنين في التعليم والتوظيف... إلخ.

ووصل الزعيم قمة نجاحه في الوحدة بين مصر وسوريا ١٩٥٨م حيث إن سوريا كانت ستضيع وتبتلع فسار إلى الوحدة معها.

وإذا كان هناك من يعيب عبد الناصر في ذلك فإن الإمام علي يقول: (ليس من طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأصابه) لقد طلب الرجل الحق فأصاب منه كثيراً، وإن أخطأ في نظر بعض البادهين فإنه لا يُسوى بمن طلب الباطل ، يتحراه ويلهث للحاق به.

---

[1] فتحت بيت المقدس ١٦هـ.

ومن ناحية أخرى جاءت معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩ قد قادت إسرائيل إلى تآكل مبررات العدوان على مصر على الأقل في الظاهر وكذا هدوء الجبهة الشمالية مع سوريا وفي لبنان ومع غزة.

وفي كل الأحوال فإن اليد الإسرائيلية لم تعد مطلقة في العدوان وتدمير العرب، تدمير الحجر والشجر والبشر بالشكل الذي يرضي المعتدي، والفضائيات الحاضرة التي تنقل الحدث بالصوت وصورته في التو واللحظة، هذه هي الأخرى قد جعلت العدوان محدود اليد في عدوانه.

ومن ثم كان اختراع غول جديد يدمر العرب، فكانت الحرب على العراق ٢٠٠٣م، ثم مسلسل تدمير العراق الذي يستمر إلى الآن، ناهيك عن غزو أفغانستان ٢٠٠١م، ثم انتقل المسلسل إلى سوريا، ثم ليبيا واليمن، مع شرر هنا وهناك في مصر أو الجزائر.

كل هذه المسلسلات هي مؤامرة كبرى على العرب (والبشر والحجر والشجر) وفي النهاية تدمير الدول الوطنية التي ظهرت في مصر واليمن والجزائر، أو كما يقولون في وسائل الإعلام (سيكس بيكو جديدة) تقسيم المقسم وتجزيء المجزأ ثم فوضى (خرابة) من قبل ومن بعد، أي للعرب.

إن الغرب ما قصر مطلقاً في حربه علينا، الحروب الصليبية كانت مشروع تدمير، ولم تك حرب جيوش، فعندما لجأ سبعون ألفاً من العرب إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس لم يعصمهم هذا من القتل والذبح، كما أن لجوء بعض اللبنانيين إلى مبنى الأمم المتحدة في (قانة) ما عصمهم من القتل في المرتين، مذبحة قانة الأولى والثانية.

وما حدث في (صابرة وشاتيلة) عام ١٩٨٢ ما كان قتالاً بين جيش وجيش أو بين جحش وجحش ، وإنما قتل المدنيين العزل جزء من مسلسل سحق الحجر والشجر والمدر والبشر، وليكن بعد ذلك ما يكون.

حرب أمريكا على أفغانستان عام ٢٠٠١ جزء من هذا المسلسل، حرب العراق وإيران ١٩٧٩-١٩٨٨ كان أيضاً مشروعاً استعمارياً استكبارياً تدميرياً كبيراً، ولم يك فقط حرب جيوش في جيوش، وهكذا فإن المشروع الصهيوني في فلسطين ليس مشروعاً يهودياً فقط، بل مشروع قادته بريطانيا العظمى سابقاً ثم أمريكا والغرب الآن، كل هذا من أجل تدمير العرب والمسلمين.

على أي الأحوال فقد كان ما سبق مقدمة ضرورية للحديث عن كعب الأحبار ثم عن الكاتب الذي كتب عنه وهو المستشرق الإسرائيلي بن رئيف، من أين جاءت أسرته إلى بيت المقدس ثم حياته ما بين القدس ومصر وألمانيا ثم العودة إلى القدس مرة أخرى ثم الوفاة ١٩٨٠م.

أولاً- المستشرق إسرائيل ولفنسون (١٨٩٩-١٩٨٠) :

من أين جاء الرجل، ومن أي رجا من أرجاء العالم جاءت عائلته، أقصد أمه وأباه، من في صغره آوياه وربياه؟ يحكى أن الصهاينة يقسمون الاستيطان إلى نوعين:

١- الاستيطان القديم، أي الجالية اليهودية في فلسطين قبل ظهور الحركة الصهيونية.

٢- الاستيطان الجديد، الجالية اليهودية في فلسطين بعد ظهور الحركة الصهيونية، أي بعد ١٨٨٠م[١].

وعليه فقد كانت الطرق مفتوحة أمام اليهود وغيرهم للهجرة إلى فلسطين وبيت المقدس خاصة، وعليه فقد جاءت أسرة ولفنسون إلى القدس عام ١٨٠٩م، من روسيا البيضاء التي تقع شمال أكرانيا.

بل يقال إن ٥٠٠ أسرة يهودية من الإشكناز تحركت من ليتواتيا ومن روسيا البيضاء هذه إلى فلسطين في رحلة خطرة حتى فلسطين عام ١٨٠٨م، وهكذا كانت الطرق كلها مفتوحة باتجاه فلسطين.

لكن وصف هذي الأسر الخمسمائة بالإشكناز، فما معني هذه الكليمة؟

لقد كانت تطلق على ألمانيا، ثم أطلقت (إشكنازيم) على اليهود الألمان بشكل خاص، ثم اتسعت دلالتها فأطلقت على يهود أوربة بشكل عام، ويتميز هؤلاء الإشكناز عن (السفرديم) بمحافظتهم على لغتهم (البيدش) التي تطورت عن الألمانية بدخول كلمات عبرية.

(الإشكنازيم) أو اليهود الغربيون هم أساس وأس الحركة الصهيونية، بل ظلوا إلى أوائل الخمسينات يشكلون الغالبية العظمى من اليهود في فلسطين، بل هم يشغلون جل المراكز السياسية والاقتصادية والإدارية في الكيان الصهيوني.

أما (السفارديم) فهم على عكس من سبقهم (الإشكنازيم) هؤلاء السفارديم أو اليهود الشرقيون هم أصلاً يهود الأندلس وحوض البحر المتوسط، ولكن المصطلح يطلق الآن على كل اليهود الشرقيين، فلغتهم العبرية متأثرة بالعربية لأنهم عاشوا

---

[١] راجع العربية بين اليهود والعبرية بين العرب في فلسطين المحتلة، تأليف نفتالي كنبرج ورفائيل تلمون، ترجمة د. أحمد أبو الخير - د. أحمد زيد، القاهرة ٢٠٠٢، ص٣٦.

بين العرب، فكانت العربية لغة تخاطبهم، ولكن مصطلح (يهودي) كان يعني لدى الحركة الصهيونية (اليهودي الإشكنازي) الغربي الأوربي[1].

وكان بعض عقلاء اليهود الشرقيين لا يرون في قيام دولة إسرائيل مصلحة لليهود، حيث إن اليهودي تاجر دولي منذ القديم، إذ يأتي بتجارته – مثلاً مثلاً- من المغرب العربي حتى اليمن، يترك تجارته في أي بلد مع التجار اليهود، ثم يعود إليهم مرة أخرى أو مندوبه لتحصيل عروض هذي التجارة، ومن ثم رأى هؤلاء العقلاء أن الدولة الإسرائيلية وإيجاد بؤرة للصراع بين اليهود والعرب سوف يعيق تدفق التجارات اليهودية من بلد إلى آخر، إلا أن اليهود الغربيين غلبوهم على أمرهم، وقامت الدولة ١٩٤٨.

وهذا ما يوكد مرة ثانية وثالثة ورابعة أن إنشاء هذه الدويلة في قلب الوطن العربي هو مشروع غربي يهدف إلى تدمير العرب ومحاولة القضاء عليهم قضاء ميرما.

بل يحكى أن عبد الملك بن مروان الذي عمر المسجد الأقصى وقبة الصخرة سنة ٧١هـ- ٦٩٠م أمر بإحضار عشر أسر من اليهود لتقوم بأعمال الحراسة والتنظيف، وكان له من الخدم اليهود الذين لا تؤخذ منهم جزية عشرة رجال، وتوالدوا فصاروا عشرين لكنس المسجد وما حوله، كما كان له من الخدم اليهود جماعة يصنعون الزجاج والقناديل والأقداح والثريات وغير ذلك، لا تؤخذ

---

[1] يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠م، عرفة عبده، القاهرة ٢٠٠٠م، راجع ص ٤١٧، ٤٣٠.

منهم جزية، وكذا من يقومون بخدمة القناديل، وجرى هذا عليهم وعلى أولادهم أبداً ما تناسلوا... انتهى[١].

نعود إلى إسرائيل ولفنسون لنذكر أنه ولد في القدس، حي (مئه شعريم) عام ١٨٩٩م- قبل انبلاج القرن العشرين بعام أو أقل – من عائلة يهودية متدينة محافظة قدمت – كما سلف – من روسيا البيضاء، وهي عائلة أشكنازيةِ من اليهود الغربيين[٢].

حتى في هذا الوقت المبكر، قبيل شروق شمس القرن العشرين، وقبل قيام الدولة اليهودية بنصف قرن كان هناك حي يهودي، وبمسمى عبري، في القدس العربية، هو(مئه شعريم) ما يدل على انفتاح العرب وانفتاح مدنهم ، وعلى رأسها القدس الشريف أمام جميع الشعوب بما فيها اليهود، وغير اليهود.

ولمزيد من المعلومات نقلنا من موقع المعرفة (مئه شتريم) أي...... بالعبرية معناها الحرفي (مائة باب) أو (مائة بوابة) أو: (مائة ضعف) وبالإنجليزية Mea she,arim وبالعبرية מאה שערים أحد الأحياء اليهودية القديمة في القدس، بناه المستوطنون الأوائل في الاستيطان القديم، هذا الحي يقع الآن في الجانب الإسرائيلي من الخط الأخضر، وتطالب به السلطة الفلسطينية.

وهذا الاسم مأخوذ من نص توراتي كان يقرأ في الأسبوع الذي تم فيه إنشاء الحي، هذا النص: (إسحاق بذر الحبوب في تلك الأرض وفي ذياك العام حصد مائة ضعف فالرب قد باركه) سفر التكوين، مع أنه أثر أن الحي كان له مائة باب.

---

[١] إسرائيل ولفنسون ص١٦٤.

[٢] ص٢١.

هذا الحي الذي تأسس في عام ١٨٧٤ كخامس مستوطنة خارج أسوار البلدة القديمة، بنتها جمعية إنشاءات مؤلفة من مائة سهم، ولعل هذا ما أسهم في تسميتها بالمائة شعريم[١].

تأمل يا أخا بني يعرب كيف تمكن اليهود من بناء خمس مستوطنات يهودية خارج أسوار البلدة القديمة (القدس) في هذا الوقت المبكر ١٨٧٤م، أين كان العرب بأصواتهم وجعجعاتهم، أين الزعماء أين المجتمع المدني، أين أين؟ لا تعجب سيدي كان العرب على خط مستقيم، أحد طرفيه الخيانة، وفي الطرف المقابل الخيابة الشديدة والغفلة والانغماس في المصالح الشخصية والدنيوية الوضيعة، ومن ثم غفل العرب عن المشروع الصهيوني والذي بدأ باكراً جداً جداً، ليس في التخطيط والتنظير، ولكن في الفعل والتنفيذ.

بل كل هذا الاستيطان كان في الاستيطان القديم old yishun قبل المشروع الصهيوني، أو قبل الاستيطان الجديد new yishun وبسنوات عديدات.

من الحي الاستيطاني إلى التعليم العربي: والوسط العربي، دخل الطفل إسرائيل ولفنسون بداية في الكتاب وفي المدارس الدينية اليهودية، ثم انتقل من مدرسة الأمل إلى دار المعلمين، حيث توسع في دراسة المواد الأدبية والعلمية، وكان لدراسته هذه الأثر الحاسم في شخصيته، وفي النهاية تخرج في دار المعلمين ١٩١٦، ثم مارس التعليم في إحدى المدارس اليهودية الأهلية في يافا.

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م عاد إلى مقاعد الدراسة في دار المتعلمين التي يديرها د. خليل طوطح، والأستاذ سامح الخالدي من بعده، حيث أتقن في هذي الدار لغتنا العربية.

---

[١] راجع موقع (المعرفة). www.marefa.org

تتلمذ على يد الشاعر الكبير معروف الرصافي، والأديب إسعاف النشاشيبي، وقد ربطته بهذا الأخير صداقة دامت حتى وفاة ذياك الصديق، عام ١٩٤٨م، بل كان من زملائه في دار المعلمين هذه المفتي الحاج أمين الحسيني، والسيد محمد نمر الهواري قاضي المحكمة المركزية في الناصرة.

هذي بعض علاقات إسرائيل مع العرب، أعلق على ما سبق، مشيراً إلى طرف من سيرة هؤلاء العرب ممن سبق ذكرهم، إلا أنني أتساءل مع القارئ هل كان لدى اليهود كتاتيب تعلم العبرية، كما لدى العرب، أو كما كان لدى العرب؟ نعم كان لديهم مدارس دينية تعلم الأطفال اليهود مبادئ القراءة والحساب، أي بالعبرية، وأتصور أن الطفل إسرائيل ذهب لكتاب يهودي، أو مدرسة دينية، وليس إلى كتاب عربي يتعلم فيه مبادئ القراءة العربية ويحفظ سوراً من القرآن الكريم، والآن مع ترجمة بعض من ذكرناهم:

١- الشاعر العراقي معروف الرصافي: (١٨٧٧-١٩٤٥م) ذهب إلى القدس مدرساً للأدب العربي عام ١٩٢٠، وعاد إلى بغداد في العام التالي ١٩٢١ ولعله في هذا العام تتلمذ على يديه الطالب إسرائيل ولفنسون في دار المعلمين المقدسية.

الشاعر العراقي الكبير الذي شارك في احتفال وضع حجر الأساس للجامعة العبرية في القدس ١٩٢٥م، وألقى قصيدة مطولة جداً، مما جاء فيها:

خطاب يهودا قد دعانا إلى الفكر ... وذكرنا ما نحن فيه على ذكـــر

لدى محفل بالقدس بالقوم حـافل ... تبوأه هربرت صاموئيل في الصدر

فيا ليلة كانت وقد جل قـدرها ... وتكون على علاتها ليلة القــدر

هربرت صاموئيل أول مندوب سام بريطاني في فلسطين وشرق الأردن (١٩٢٠-١٩٢٥) ثم كان رئيساً للجامعة العبرية في القدس، بعد أن ترك عمله السابق.

وفي حفل الافتتاح دعا هربرت الفلسطينيين إلى الانسجام مع المشروع الصهيوني في فلسطين، أما (يهودا بولا) الأديب اليهودي فقد ألقى هو الآخر خطاباً في ذياك الاحتفال ركز فيه على العلاقة الأخوية بين العرب وبين اليهود.

هل حضر الرصافي وحده؟ كان معه مسئولون عرب وأدباء ومثقفون منهم مفتي القدس ومطراتها الأكبر اللذين شاركا في وضع حجر الأساس للجامعة العبرية، فقط؟ كلا، طه حسين أرسل برقية تهنئة، فقط؟ كلا، لكنا سنرجئ الحديث عن الحضور إلى حين الكلام عن افتتاح الجامعة العبرية في بيت المقدس، إلا أننا أثبتنا قصيدة الرصافي في ثنايا هذا الكلام.

٢- محمد إسعاف النشاشيبي: الأديب الكبير وخطيب فلسطين، ولد في بيت المقدس عام ١٨٨٥م، نسبت العائلة إلى صناعة النشاب التي كانت تمتهنها، تعلم في القدس وبيروت (الأبية الشامخة) وسم بأنه أديب العربية وخطيب فلسطين، بسبب دفاعه عن العربية وعن قضايا فلسطين بالخطابة.

توفى محمد النشاشيبي بالقاهرة ١٩٤٨، وقد جاء للاستشفاء في مصر، فكانت منيته، عن ثلاثة وستين عاماً.

ونترك ترجمة باقي الشخصيات التي وردت مكتفين بهذين الرجلين، مرجئين ترجمة باقي الشخصيات إلى تتمة الحديث عن أصدقاء إسرائيل في العرب أو مع العرب، مهرولين الآن حادرين إلى ابن ولفنسون لنتحدث عن:

إقامته في مصر: قلب العروبة النابض، وكان هذا عام ١٩٢٢م لا شك أن إرسال إسرائيل ولفنسون كان من الناحية الصهيونية ضربة لازب، هدف تحقق في شباك شباك العرب، كيف كان ذلك؟ قل لي بالله عليك

١- إن الحرب مع العرب بدأت منذ القرن التاسع عشر، وعند قيام الدولة وهو ما كان مقرراً قبلاً، وبالتوكيد واليقين ولذا فإن إعداد متخصص ضليع في العربية خبير بالتاريخ سيما تاريخ العرب واليهود، كل هذا كان ضرورة للكيان الصهيوني، لأن الحرب لا تكون بالسنان والسلاح فقط، إنما من عرف لغة قوم أمن شرهم ومكرهم.

٢- إن الصهاينة بحاجة إلى رجل كهذا يقيم في القاهرة قلب العالم العربي النابض وأكبر دولة من دول العرب وأهمها، بل أن يقيم هذه الإقامة المطولة التي امتدت قريب عشرين عاماً، هذا ليس تخطيط اليهود فقط، ولا مكر اليهود فقط، إنما هو تخطيط دول عتيقة مثل بريطانيا وأجهزة استخبارات قوية.

إن فلسطين لم ينتزع شعبها ولم يدمر ويشرد بهؤلاء المتطوعين المحاربين من اليهود فقط، بل بهذه الدول الاستكبارية واستخباراتها وأجهزتها وإمكانياتها.

تماماً تماماً كما يحدث الآن في سورية والعراق وليبيا، بل ومصر والجزائر وتونس وغيرها من أقطار العرب، المشكلة ليست في بضعة ألوف من المقاتلين المحليين أو الأجانب، وإنما المؤامرة حاكتها دول الاستكبار، سيما في الغرب، لتمير البلاد وخرابها، بحيث لا يبقى فيها حجر على حجر، وبشر على بشر، تدمير هذي الأوطان والدول والحكومات، ثم هم مستفيدون من هذا الخراب في:

- انخفاض سعر النفط، بعد أن كان فوق المائة دولار، أصبح تحت الخمسين، وهو لا يفتأ يتناقض.

- انهيار الشعوب، منهم من يقتل أو يصاب، أو يفقد ممتلكاته، ليبقى في وطنه لا حول له ولا قوة، وإذا هاجر من بلده فإن قبلته الغرب الذي انهارت فيه الكثافة السكانية حتى وصلت إلى نسب مخيفة، ومِن ثم فالغرب سعيد سعيد في هذي المآسي العربية.

- تعطيل مسيرة النهضة العربية لعشرات السنين.

- وفي إعادة تعمير هذي البلدان سيكون الغرب الرابح.

٣- إن هذا الرجل سوف يكون في عرين الأسد، في الجامعة، وبين الناس ليعرف دبة النملة في المجتمع المصري، ولذا فإن الصهاينة كانوا على يقين من قيام الدولة وفي الوقت المحدد.

٤- إنني لم أك منزعجاً لهذا التخطيط وإقامة إسرائيل في مصرنا، إنما كان انزعاجي وهلعي من العلاقات الواسعة مع العرب، أو قل هذه الشبكة اللامحدودة من انفتاح العرب على اسرائيل بن ولفنسون وهذي الأبواب التي فتحت أمامه ودون تحفظ من أحد من العرب وهذا أعجب العجايب، أو غريبة الغرائب.

أي أن خيابة العرب وخيانتهم قدمت للصهيونية خدمات جليلة، سواء عن حسن نية، أو عن قصد وسبق نية.

إن الناس كانت تعجب كيف استطاع المحاربون الأجانب التهام الأرض العراقية بهذي السرعة وبهذي الصورة، ثم قيل إن أحد الجيوش العربية أو

المحسوبة على العرب قد قدم بحوثاً عن الجيش العراقي الشقيق ما مكن الغزاة من التقدم في الأرض العراقية بهذه الصورة.

بل في بعض الدول المجاورة للشام والعراق غرف عمليات على درجة عالية مهنياً احترافياً لتوجيه المحاربين في الأرض العربية المجاورة، هؤلاء المحاربون الذين يحظون بالرعاية الكاملة من بني العرب، وبعض الدول التي ينتسب شعبها إلى الإسلام.

الالتحاق بالجامعة: في عام ١٩٢٢م التحق الطالب اليهودي إسرائيل ولفنسون بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) الآن، أول طالب يهودي يدخل الجامعة المصرية، أو يدخل جامعة مصرية، ربما كان هذا حدثاً عادياً أو شبه عادي.

لكن غير العادي وغير المتوقع هو تبني طه حسين له وإعجابه الشديد به، ثم شبكة العلاقات والصداقات التي ربطته بعديد من المثقفين المصريين والعرب، وشخصيات بارزة ومهمة في العالم العربي.

تبني وإعجاب: يتضح للواهل الوهل العجل شدة إعجاب طه حسين بتلميذه إسرائيل، حتى حصل التلميذ الأنجب على الدكتوراه، أول دكتوراه بإشراف طه حسين، موضوعها:

تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام[١].

ثم نشرت الرسالة فيما بعد تحت ذات العنوان بتقديم طه حسين لجنة التأليف والترجمة والنشر (المصرية) التي أنشئت عام ١٩١٤، برياسة أحمد أمين صاحب كتب فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام، والذي كان صديقاً للمؤلف

---

[١] دستور العربية للمؤلف، الحلقة الخامسة، ص٧٥٠، القاهرة ٢٠١١م.

والذي سمى نفسه (أبو ذؤيب) على اسم الشاعر العربي المخضرم المشهور بقصيدته في رثاء أبنائه الخمسة، أسلم ولم ير الرسول – صل الله عليه وسلم– فقد جاء إليه عقيب وفاته واصفاً بكاء المسلمين على نبيهم بأنه أشبه بالحجيج أهلوا بالإحرام.

ونقتبس شيئاً –أو شيا– من مقدمة طه:

١- انتسب ولفنسون إلى الجامعة المصرية القديمة، واختلف إلى أساتذتها، يسمع دروسهم، ويعمل معهم، ويتداخل معهم ويتواصل حتى تهيأ له ما كان يحب ويصبو إليه من أهداف.

٢- كان يختلف إلى دروس أستاذه طه حسين ومحاضراته في التاريخ فكان الأستاذ يعجبه في تلميذه أبي ذؤيب ميل ظاهر إلى البحث وحرص شديد على الإجادة والإتقان ونشاط غريب موفور ونهم إلى القراءة والاطلاع.

٣- كان يرى فيه طه حسين عناية خاصة واضحة نحو كل ما يتصل باليهود في عصور السيطرة اليونانية والرومانية على العالم، فرأيت أن أوجه بحثه هذه الوجهة وأشجعه على المضي فيها.

٤- ولست أنسى محاضرات تمرينيه ألقاها إسرائيل في مثل هذي الموضوعات تركت في نفس أستاذه أحسن ما تترك أعمال التلميذ المجد في نفس أستاذه من الأثر.

٥- ثم أخذ يستعد لشهادة الدكتوراه، فلم يرقه من الموضوعات التي كانت تعرض في الجامعة أو تثار على كثرتها غير المبحث الذي يتصل دوماً باليهود، وهو تاريخ اليهود في بلاد العرب قبل الإسلام...

٦- وهو موضوع قيم وجليل الخطر، بعيد الأثر جداً في التاريخ الأدبي والسياسي والديني للأمة العربية ليس هذا فقط ، بل إن طه حسين يطري تلميذه أبا ذؤيب إطراء لا نظير له ولا مناظر ولا مثيل.

٧- الدكتور إسرائيل ولفنسون عالم شاب يسرني[١] أن أقدمه إلى جمهور المستنيرين من الذين يكْلَفون بالبحث في الأدب والتاريخ.

كما يرجى الرجوع إلى مقدمة د. لويس صليبا لكتاب كعب الأحبار لذات المؤلف، حيث تسبق الكتاب دراسة للأثر اليهودي في الحديث النبوي والتفسير للدكتور لويس... جبيل لبنان ٢٠١٠م.

٨- ولفنسون أقبل إلى مصر وله ثقافة متنوعة، أتقن من اللغات الأوروبية الحية أرقاها وأمسها بالبحث العلمي التاريخي، لاسيما ما يتصل بالمسائل الشرقية العربية، وأتقن من اللغات السامية أغناها بالآثار القيمة في الدين والأدب والعلم.

ولم تقف ثقافته عند إتقان هذي اللغات بل درس من آدابها حظاً موفوراً، فكان له توازن بين القديم السامي والجديد الأوروبي، هذا التوازن الذي أفاده في تناول المسائل التاريخية والأدبية الدقيقة إذ تهيأت لإسرائيل ولفنسُن مناهج البحث كما ألفها العلماء والأوروبيون في العصر الحديث.

---

[١] وردت كل هذي الإطراءات وغيرها في مقدمة طه حسين لكتاب تاريخ اليهود في البلاد العرب في الجاهلية، وصدر الإسلام، راجع طبعة القاهرة ١٩٢٧م، وطبعة لبنان لذات الكتاب، ففي هذه الطبعة دراسة لصراع اليهودية مع الإسلام من منظور يهودي للدكتور لويس صليبا، أستاذ الدراسات الإسلامية (جامعة باريس) جبيل لبنان عام ٢٠١٠م.

قارن هذا الاهتمام والإعجاب بما حدث لعباد الله المخلصين في بلادنا، هذا جمال حمدان الباحث العلامة (١٩٢٨ - ١٩٩٣) حصل على الدكتوراه من جامعة ريدنج البريطانية في فلسفة الجغرافيا عن موضوع سكان وسط الدلتا قديماً وحديثاً.

وهي لم تطبع إلى الآن، كما طبعت رسائل ولفنسون، سواء في مصرِ، أو في ألمانيا - كما سيأتي - بل إن الرجل صوبت إليه سهام الحقد والغيرة من بعض زملائه، فاضطر إلى الاستقالة ١٩٦٣ من جامعة القاهرة احتجاجاً على إحساسه بظلم إداري وقع عليه في الترقية[١].

مات بحريق غامض في منزله، إثر تسرب للغاز، وكل الدلائل تشير إلى أنه حريق اغتيال، إذ لم يك له محتضن دافئ في جامعته، مثل إسرائيل (أبي ذؤيب) كان المحتضن - بكسر التاء- ما يزال موجوداً في الجامعة، ولكن الأحضان الدافئة سبق إليها أبو ذؤيب.

وكثير من الزملاء في الجامعة ظلموا - في السابق- في ترقياتهم، وبعضهم مات كمداً وهمّاً على سبيل الحقيقة، لا المجاز، لكن لم يأبه بهم أحد ولم يلتفت لذكرهم أحد.

أما عندما لم يرق نصر حامد أبو زيد فقد قامت الدنيا ولم تعقد، هذا الزميل تقدم إلى الترقية في ٢ مايو ١٩٩٢ إلى درجة أستاذ في اللغة العربية، شكلت لجنة الترقية -آنذاك- لجنة ثلاثية من (د. عبد الصبور شاهين - د. محمود مكي - د. عوني عبد الرءوف) في ديسمبر ١٩٩٢ قررت اللجنة عدم ترقية الدكتور

---

[١] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

حامد، وإلى الآن، وكانت الحملة كلها ضد الدكتور عبد الصبور فقط، دون مساس بالعضوين الآخرين، وفي أحد المواقع يدعو بعض الناس الرئيس السيسي إلى إصدار بيان يعتذر فيه نيابة عن الشعب المصري والحكومة المصرية بسبب الإهانات التي تعرض لها نصر حامد أبو زيد.

ليس فقط حمدان الذي مات غيلة وغدراً في ظروف غامضة ولم تستطع الأمة حماية هؤلاء العلماء، أو أنها ما أرادت شيئاً من هذا، ونكتفي بواحد من هؤلاء فقط هو د. سعيد سيد بدير: (١٩٤٤ - ١٩٨٩م) تخرج في الكلية الفنية العسكرية وعين ضابطاً في القوات المسلحة المصرية، حتى وصل رتبة عقيد طيار، بعدها حصل على الدكتوراه من انجلترا عمل في أبحاث الأقمار الصناعية في جامعة ألمانية.

وفي ١٩٨٩/٧/١٣ وجدت جثته ملقاة من الطابق الرابع، ليلحق بقافلة العلماء المصريين والعرب، أمثال سميرة موسى ويحيى المشد وسمير نجيب وغيرهم غيرهم كثير[١].

نعود مرة أخرى بعد هذي الاستطرادات إلى (أبي ذؤيب) الذي شد الرحال إلى ألمانيا - وفي عام ١٩٢٩ شد إسرائيل رحاله إلى ألمانيا والنمسا، فانتسب إلى عدد من جامعتيهما مثل جامعة فيينا، وميونج وبرلين - كما قيل- لكنه حصل على الدكتوراه من جامعة فرانكفورت الألمانية عام ١٩٣٣ في موضوع كعب الأحبار، صدرت في كتاب، في ذات العام ١٩٣٣.

---

[١] راجع موقع الجيش العربي www.arabic-military.com

وهكذا كان التخطيط الجاد في السفر إلى ألمانيا والحصول منها على الدكتوراه التي نشرت في كتاب في ذياك العام، وهكذا أصبح أبو ذؤيب جاهزاً تماماً معداً في الاتجاه الصحيح للخطوة التالية، وهي: العمل في دار العلوم في ذات العام الذي حصل فيه على الدكتوراه من ألمانيا ١٩٣٣م، وعاد إلى مصر ليحاضر في الجامعة المصرية الوليدة، وقد سألنا عميد كلية دار العلوم الحالي أ.د علاء محمد رأفت فأفاد أنه كان يلقي بعض المحاضرات في دار العلوم، ولم يك مدرساً بها، موقع خطير كان جاهزاً معداً لإسرائيل فور عودته.

كلية دار العلوم كانت يومها في مبنى خاص بهاءمبنى خشبي قديم كانت تقع في ٤١ شارع المنيرة، الموازي لشارع القصر العيني، وبالقرب من ميدان التحرير (الإسماعيلية سابقاً) حيث الجامعة الأمريكية التي سوف أخصها بكليمة فيما بعد، وقد بقيت دار العلوم في ذياك المكان والذي تخرجتُ منه عام ١٩٧٠، ثم حصلت على الماجستير ١٩٧٧ في نفس المكان وبإشراف أستاذي الدكتور عبد الصبور شاهين – رحمه الله – ثم نُقلت عام ١٩٨٠ إلى مبناها في جامعة القاهرة، وناقشت الدكتوراه ١٩٨٣ بإشراف أستاذي في مبنى الكلية الجديد في حرم جامعة القاهرة.

المبنى القديم في المنيرة أزيل، وكانت مكانه حديقة باسم حديقة دار العلوم، التي كانت رئة للعلم، فأصبحت رئة خضراء وارفة لهذا الحي، حي المنيرة القصر العيني.

دار العلوم التي تخرج عدد من المشاهير والعلماء فيها، منهم وعلى سبيل المثال، المثال فقط:

- حسن البنا (ت١٩٤٩م) تخرج في عام ١٩٢٧م.
- سيد قطب (ت١٩٦٦م) التحق بدار العلوم ١٩٢٩م، وتخرج عام ١٩٣٣م.
- سيف الإسلام حسن البنا وهو كأبيه تخرج في ذات الدار، عام ١٩٥٧م.
- الشاعر المصري الأشهر علي الجارم (ت١٩٤٩) تخرج في الدار عام ١٩٠٨م.
- الأديب طاهر الطناحي، تخرج في دار العلوم عام ١٩٢٨م.
- الإمام السيد محمد ماضي أبو العزايم (ت١٩٣٧م) تخرج في أول دفعة درعمية، فقد أنشأ علي مبارك دار العلوم عام ١٨٧١م.

الجامعة الأمريكية بالقاهرة: على غير مبعدة من مبنى كلية دار العلوم في المنيرة كانت الجامعة في مبناها الأوسع الرحب المطل على ميدان التحرير، وإليك شيئاً من تاريخها، أو من تاريخ إنشائها:

إنشاء الجامعة الأمريكية: في القاهرة، يحكى أنه في عام ١٩٠٩م درس فريق عمل مكون من: (تشارلي روجر واطسون – د. صمئيل زويمر – د. سايلر – البروفيسور مكلانهن) أوضاع التعليم في مصر.

وفي ميدان التحرير مبنى وزارة الخارجية المصرية (القديم) ثم في الضفة الأخرى من النيل حي الزمالك، الحي الهادئ – أو الذي كان – وقتل فيه اللورد موين عام ١٩٤٤ الذي اختلف مع اليهود فأرسلوا من يقتله عياناً بياناً جهاراً نهاراً، وما لنا نذهب بعيداً عن المنيرة – قريباً أو عنه بعيداً – فهذا الحي جاردن سيتي

بما فيه من سفارات وفنادق وممّار مهمة لا يبعد عن دار العلوم القديمة غير بضع خطوات قليلات قصيرات، يفرق بينهما فقط شارع القصر العيني، نسبة إلى هذا المستشفى العتيق، مستشفى القصر العيني.

ومن ناحية أخرى فدار العلوم القديمة على غير مبعدة من مسجد السيدة زينب، وحيها، ثم بعيد كليوات قليلة يقع حي الحسين بن علي رضي عنهما، وبجواره وبالقرب منه العتبة والموسكي، وحارة اليهود القديمة.

أي أن الموقع القديم كان يقع في أحضان الأحياء الشعبية كثيفة السكان، الموسكي، الغورية، العتبة الخضراء... وكلها مناطق متقاربة مشيتها بالقدم في ستينات القرن الماضي، ففهمتها جيداً جداً لأني جُست فيها بقدمي، ولا تستطيع أن تفهم مدينة إلا بالمشي في أحيائها وشوارعها.

كما كانت دار العلوم آنذاك قريبة من ميدان لاظوغلي وشارع الوزارات، أي أن الموقع من جميع النواحي يصيب في الهدف وفي شِباك الشباك يا سادة يا كرام.

ومن عجب ومن طرف وطرافة طريفة أن المبنى انتهت صلاحيته وفاضت روحه في ذياك العام الذي مات فيه أبو ذؤيب، وهو عام ١٩٨٠، بعد أن تخرجت بعشرة أعوام، إذ نقلت دار العلوم إلى مبناها الجديد في حرم جامعة القاهرة بالجيزة، في ذياك العام، ثم أزيل المبنى الخشبي العتيق الذي خدم مريدي دار العلوم ثمانين عاماً منذ نقلت إليه ١٩٠٠ إلى أن نقلت عنه نهاية السبعينات من القرن العشرين.

وخرجت اللجنة بنتيجة مهمة هي الحاجة لإنشاء جامعة مسيحية كبيرة في مصر التي نهضت فكرية علمانية ولذا فإن وجود جامعة مسيحية أمر ضروري لتكون وسيلة لانتشار الإنجليزية ليس في مصر فقط، ولكن فيما جاورها أيضاً.

ولكن معارضة قوية من المسلمين أجلت افتتاح الجامعة، وفي النهاية تم اختيار الموقع الحالي في ميدان التحرير والذي كان قصراً للخديوي إسماعيل ثم منحه لأحمد خيري باشا (ناظر المعارف) عام ١٨٧٠م وهو مبنى كبير جداً ذو حجرات متعددة، وبعد موت خيري باشا اشتراه يوناني يدعى جانكليس الذي حوله إلى مصنع للسجائر، انظر من قصر الخيديو إلى مصنع سجائر!! ولما قبض على سعد زغلول ١٩١٩ انخفضت أسعار الأراضي والعقارات تم شراء القصر بشكل نهائي عام ١٩١٩م، وأصبح من عامها مقراً للجامعة الأمريكية بالقاهرة.

وكان من دوافع الأمريكان لإنشاء هذه الجامعة:

١) إدراك القوم أن القاهرة تمثل محوراً مهماً في العالم العربي والعالم الإسلامي.
٢) منافسة جامعة الأزهر في إعداد قيادات دينية ذات ثقافة أمريكية.
٣) استخدام الجامعة ألأمريكية كمركز لنشر الثقافة الأمريكية في مصر وما جاورها.
٤) القاهرة كانت مركز الصحافة العربية آنذاك، والكثافة السكانية القوية مقارنة بالدول العربية الأخرى[1].

---

[1] نشأت الجامعة الأمريكية أولاً في مقرها في التحرير، ثم امتدت إلى القاهرة الجديدة ليكون له مقر آخر، وهذا ما لم تفعله جامعة مصرية أخرى إلى الآن، راجع: www.mareha.org

وعندما نجحت الجهود في إرساء أقدام الجامعة الأمريكية في مصر خشيت بريطانيا من اتجاه الشباب المصري نحو ثقافة ربما لا تتفق مع الثقافة البريطانية عجل الاحتلال في إصدار مرسوم بإنشاء الجامعة المصرية الحكومية في ١٩٢٥/٣/١١م[١].

افتتاح الجامعة العبرية: في القدس، وقد جاء هذا الافتتاح في سِياقه ومنطقه، الجامعة في القاهرة، والجامعة المصرية في الجيزة، وكان من المنطق والبداهة أن يفكر المشروع الصهيوني والقيمون عليه بإنشاء جامعة خاصة بهم في بيت المقدس، فإن الدولة الصهيونية على وشك القيام، ومن ثم فلا بد من إنشاء مؤسساتها وفي وقت مبكر جداً.

هذا حق الأعداء وبداهة موقفهم، ولكن اللافت للنظر هو الوجود العربي الكثيف والمشاركة العربية الفعالة في حضور حفل الافتتاح، فهل كان العرب على موعد مع الخيابة، أو الخبانة، أم أن القوم مزجوا بينهم مزجاً موفقاً وعجيباً.

ذكرنا قبلاً ما كان من الشاعر العراقي الأشهر الرصافي قصيدته العصماء التي مدح فيها المندوب السامي (هربرت صموئيل) والخطيب اليهودي المفوه (يهودا بولا) قصيدة بحاجة إلى من يقرؤها بتمعن وتؤده.

المشاركة المصرية كانت لافتة، وكذا العربية: قرر بلفور بنفسه قبل حضور حفل الافتتاح التعريج على مصر قبل السفر إلى فلسطين التي ثارت بسبب افتتاح هذي الجامعة، ومن ثم اندلعت المظاهرات في مصر العروبة تهتف بسقوط بلفور صاحب الوعد المشئوم، وقبض على المتظاهرين في مصرنا، وأغلقت مجلة

---

[١] موقع المعرفة السابق.

الشورى التي كان يصدرها نشطاء فلسطينيون ومصريون في حين بقيت جريدة (إسرائيل) التي أدار تحريرها (ألبرت موصيري) لسان حال الحركة الصهيونية التي دأبت على مواجهة الصحافة الوطنية المصرية.

ومع هذا كله أرسلت الحكومة المصرية بأستاذ الجيل أحمد لطفي السيد، رئيس الجامعة المصرية آنذاك، أما الدكتور طه حسين الواله بتلميذه إسرائيل فقد اكتفى بإرسال برقية تهنئة بافتتاح الجامعة العبرية في جبل الزيتون المقدسي.

كما حضر حفل الافتتاح مفتي القدس آنذاك كامل الحسيني، وعندما مات عين الإنجليز أخاه الحاج أمين الحسيني مفتياً مكانه، كما حضر أيضاً المطران الأكبر في القدس – كما سلف- وسوف نخص الحاج أمين بكليمة عنه:

المفتي الحاج أمين الحسيني (١٨٩٥ – ١٩٧٤م) ولد في القدس لعائلة مقدسية، تعلم في جامعة الأزهر، كان بالإضافة إلى كرسيه المفتي العام للقدس كان رئيس المجلس الإسلامي الأعلى ورئيس اللجنة العربية العليا وأحد أبرز الشخصيات الفلسطينية في القرن العشرين، وبرغم هذا كان أخوه – والمفتي قبله- ممن حضر حفل افتتاح الجامعة العبرية في القدس.

كامل طاهر الحسيني: ولد ١٨٦٧ بالقدس، في ١٨٦٧/٢/٢٣م، تولى منصب الافتاء بعد وفاة أبيه طاهر الحسيني ١٩٠٨م، وبعد احتلال بريطانيا لفلسطين بعد الحرب العالمية الأولى عين كامل الحسيني الذي عرف بمواقفه المعتدلة رئيساً لمحكمة الاستئناف الشرعية ورئيساً للجنة الوقف العليا في فلسطين، برغم التعارض بين منصبي الافتاء والقضاء، بذا كان مسئولاً عن إدارة

الأوقاف في جميع أنحاء فلسطين، في عام ١٩١٩ منحه ملك بريطانيا جورج الخامس وسام القديس ميخائيل والقديس جرجس.

وكان على رأس حضور الاحتفال الكبير حاييم وإيزمان رئيس الوكالة اليهودية وأول رئيس لإسرائيل عام ١٩٤٨م، ولم يك هذا الاحتفال مهرجاناً يهودياً صهيونياً بريطانياً استعمارياً فقط، بل كان مهرجانا تطبيعياً مبكراً أسهم فيه المسئولون العرب والمثقفون العرب والأدباء العرب والشعراء، وقصائد العرب العصماء، كما رأينا في قصيدة الرصافي العراقي.

والشيء بالشيء يذكر فلا يعاب من أحد ولا ينكر، فهذا الدكتور طه حسين رأس تحرير مجلة (الكاتب) الصهيونية، وقد كتب فيها، أو في أحد أعدادها[١] مقالاً يصف فيه المهاجرين اليهود بأنهم كهول مطهدون، وأطفال صغار لم يبلغوا الحلم ونساء أيامي، لا أزواج لهن، هؤلاء التعساء كانوا يهبطون من السفن، ترتفع أصواتهم البائسة المتهالكة.

كانت هذه مشاهدات طه حسين في رحلته إلى بيت المقدس عام ١٩٤٤، عندما كان الرجل مديراً للجامعة المصرية بالإنابة، الدكتور حسين مؤنس الذي رافق طه حسين في الرحلة المقدسية، حيث كان الأول عميداً لكلية العلوم الذي يذكر أنه طلب منهم قنصل مصر العام في القدس – آنذاك – أن لا نخبر أحداً من العرب أننا اتصلنا بأحد من اليهود[٢].

---

[١] بتاريخ ١٩٤٦/٥/٣م.

[٢] راجع مقالة د. حسين مؤنس في مجلة أكتوبر المصرية، في ٢٨ أكتوبر ١٩٧٦م.

أي إن التطبيع مع العدو قديم قديم قبل إنشاء إسرائيل، وكان تجري محاولات إخفائه والتستر عليه، أما الآن فهو على عينك يا تاجر، فلله الحمد والمنة.

وندلف الآن إلى موضوع متصل متلئب مع ما سبق، وندخل إلى عالم إسرائيل ولفنسون لنتحدث عن:

شبكة العلاقات العربية مع إسرائيل ولفنسون: حظى الفتى بشبكة من العلاقات مع المثقفين العرب والمسئولين العرب، وعلى رأسهم طه حسين والملك عبد الله (ت ١٩٥١م) وغيرهما كثير وكثير وكثير:

١) الملك عبد الله: هو ابن الحسين بن علي، ولد في مكة المكرمة عام ١٨٨٢، واغتيل في ساحة المسجد الأقصى وقت صلاة الجمعة عام ١٩٥١، وحينها وقف تشرشل في مجلس العموم البريطاني يقول: كنت مسئولاً عن تعيينه أميراً على شرق الأردن، من ثم أردف: وفقد اليهود صديقاً كان بوسعه تسوية المصاعب، وفقدنا نحن – البريطانيين- رفيقاً وحليفاً مخلصاً.

تعرف إسرائيل ولفنسون على جلالة الملك عبد الله ملك الأردن المغدور الذي كلفه من دون الباحثين العرب قاطبة بتحليل مخطوط كشاجم (المصاير والمطارد) فنشر إسرائيل في مجلة المجمع العربي بدمشق دراسته تلك، بن زئيف حل ضيفاً على الملك المكي الميلاد في بلاطه الملكي مرات عديدات، إذ كان من المقربين إلى الملك الأردني.

فما (كشاجم) يا يرحمك الله؟ أولاً هي بضم الكاف، ثم ثانياً هي كليمة تتكون من الحروف:

(ك= كتابة، ش= الشعر ، أ= الإنشاء ، ج= الجدل أو الجمال، م= المنطق، لأن الرجل كان يجمع بين هذي الأشياء الخمسة).

أما الاسم الحقيقي فهو أبو الفتح، محمود بن الحسين، ولد في الرملة في فلسطين، وهو فارسي الأصل، كان أجداده من العراق (كشاجم) تنقل بين القدس ودمشق وحلب وبغداد (ت ٣٦٠هـ).

كان من شعراء سيف الدولة الحمداني، نِدا للمتنبي وأبي فراس، من النابغين في مجلس الأمير ، بل كان نديماً لوالده (عبد الله بن حمدان) وكان مثل المتنبي معجباً بآل حمدان فنظم فيهم شعره.

كشاجم بدأ حياته بالرملة – كما سبق- ثم ذهب إلى مصر يطلب فيها العلم، أما أسرته الفارسية الأصل فقد تولى عدد منهم مناصب إدارية مرموقة وهو ما سهل للشاعر الاتصال بالحمدانيين.

أحب الشاعر الحيوان حباً جماً وعرف خصائصه وصفاته فألف كتابه: (المصايد والمطارد) فالمصايد الحيوان الذي يصاد، أما المطارد فهي الحيوانات المطاردة التي تصاد.

ولكنه تعلم الطب أيضاً فزيد في (كشاجم) فصارت (طمشاجم) ولكن شهرة الأولى فاقت الثانية، ولم تجعل لها سبيلا للشهرة[١].

---

(1) www.habous.gov.ma

كتاب (المصايد والمطارد) لأبي الفتح حققه وعلق عليه د. محمد سعد طلس، طبعته دار اليقظة في بغداد، ط١، عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م، عدد الصفحات بالفهارس[١] ٤٠٠ صفحة.

الأستاذ سعيد الديوه يذكر أنه في ١٤ أغسطس ١٩٤٣ أطلعني أحد الأفاضل في بغداد على مقال للدكتور (الجليل) إسرائيل ولفنسون (أبي ذؤيب) نشره في مجلة المجتمع العلمي العربي بدمشق عن كتاب (المصايد والمطارد) وقد كتب الدكتور الجليل بأنه يود أن يتعرف على نسخة غير نسخته[٢].

أما محقق الكتاب محمد سعد طلس فهو سوري، لكنه اضطر إلى مغادرة وطنه إلى عراق العرب ١٩٤٩ حتى حقق الكتاب ونشره في بغداد الأبية العزيزة.

ولكن ترى – يا بن أخي- متى تعرف إسرائيل ولفنسون على الملك عبد الله؟ أتصور أن هذا تم في عام ١٩٤٠م، أو بعيدها، وبالتحديد قبيل عام ١٩٤٣م حيث نقلنا قبلا عن سعيد الديوه أنه في ١٩٤٣/٨/١٤ اطلع على مقال الدكتور (الجليل) إسرائيل ولفنسون في مجلة المجمع العلمي بدمشق...إلخ، معنى هذا أنه نشر المقال قبل أغسطس ١٩٤٣ بكل توكيد، وعليه فإن العلاقة بين إسرائيل وبين الملك الأردني دامت قرابة العشر سنوات، فقد كتبنا سلفاً أن الملك قتل ١٩٥١م.

هذا الديوه أيضاً كانت له مراسلات مع إسرائيل قال عنه: (عمل أبو ذؤيب في خدمة الشئون الثقافية لإمارة شرق الأردن، والتي كان على رأسها عبد الله بن الحسين، ويبدو أنه كان على صلة به، فقد كان الأمير مولعاً بالصيد وكل ما

---

[١] ملتقى أهل الحديث www.ahlalhdeeth.com

[2] www.waisouteb.org

يتعلق بتراثه، ومن خلال مطالعة بعض الرسائل التي أرسلها أبو ذؤيب إلى المرحوم (الديوه جي) والتي ظهرت صورتها في إحدى المقالات التي يشكره فيها على عثوره على نسخة من (المصايد والمطارد)لأبي الفتح (كشاجم) في مكتبة المدرسة الحسنية في الموصل يتأكد بأنه كانت هناك مراسلات قبلها حول الموضوع وأن الأمير عبد الله نفسه كان مهتماً متيماً.

إن هذي الرسالة الأخيرة بينت أن وجود رسائل قبلها عبر فيها أبو ذؤيب بكل وأدب عن الجهود التي يذلها المرحوم الديوه في إرسال بعض النصوص من مخطوط (المصايد والمكايد) إلى إسرائيل... هذا جانب من الروح العلمية التي يجب أن تسود بين الأوساط المثقفة بعيداً عن روح التعصب للمذهب والدين وأشياء أخرى!! تصور !!

هذا المقال لابن سعيد الديوه المسمى بسعد تحت عنوان (المراسلات بين سعيد الديوه جي وإسرائيل ولفنسون)[1] فهل عرفت يا أخابني يعرب لماذا ضاعت فلسطين بهذي السهولة، ولماذا تكللت جهود الأعداء بالنجاح والنجاح منقطع النظير والشبيه قليلا، ثم قل رأيك.

وإن بعض الشيء بالشيء يذكر فلا يعاب من أحد، ولا حتى ينكر، فإني ذكرت لبعض زملاء المهنة في الجامعة قصيدة الرصافي المطولة التي ألقاها في افتتاح الجامعة العبرية أمام حاييم وإيزمان وهربرت صموئيل واللورد بلفور وعتاة الصهاينة، فلم ير فيه كل هذا بأساً معللا بأن المصريين كانوا يصافحون المندوب

---

[1] www.sotakhr.com

السامي في الشوارع، أما أحد أتباع هذا الأستاذ فلم ير في حضور العرب لافتتاح الجامعة بأساً ولا إثماً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٢) اسحاق موسى الحسيني: (١٩٠٤ - ١٩٩٠م) تلميذ إسرائيل ولفنسون وله صورة معه ومعه لفيف من أساتذة جامعة القاهرة وأصدقاء إسرائيل والذي كان حريصاً على التقاط الصور مع محبيه والملتفين حوله، وهو ما أثبته - وكان عليه حريصاً- وخاصة في كتابه (كعب الأحبار) الذي طبع في القاهرة أولاً، كما سيأتي.

فمن هؤلاء الذين ظهروا في الصورة إلى جانب أبي ذؤيب إسحاق الحسيني، الذي يبدو من اسمه أنه من عائلة مقدسية هي عائلة الحسيني التي كان منها ثلاثة ممن تبوءوا منصبي الافتاء والقضاء، كما سلف.

إسحاق الحسيني أديب ومترجم ومعلم وأكاديمي فلسطيني مقدسي، كان عضواً بمجمع اللغة العربية في القاهرة ١٩٦٦م، والمجمع العراقي ١٩٧١، ومجمع البحوث الإسلامية في الأزهر ١٩٦٣، اشتهر بروايته:

(مذكرات دجاجة)

جاء إلى القاهرة عام ١٩٢٣ - أي بعد عام من حضور أستاذه أبو ذؤيب بسنة- حيث التحق بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، وتخرج فيها عام ١٩٢٥، لكنه عاد إلى القاهرة مرة ثانية، فحصل على ليسانس الآداب عام ١٩٢٩م من كلية الآداب بالجامعة الأمريكية في ميدان التحرير.

وفي عام ١٩٥٥م استقر بالقاهرة أستاذاً بالجامعة الأمريكية، وفي ١٩٧٣ عاد إلى القدس وعاش فيها إلى وفاته ١٩٩٠.

يذكر أن الرجل حصل على دبلوم مقارنة اللغات السامية ١٩٣٤، ولعل هذا كان بإشراف ومعاونة أستاذه أبي ذؤيب، ثم حصل على الدكتوراه بإشراف هاملتون جب، وفي موضوع (ابن قتيبة) من معهد الدراسات الشرقية جامعة لندن، وحين توفي (١٩٩٠م) أبنه مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٣) الشيخ مصطفى عبد الرازق: قدم لكتاب ولفنسون عن موسى بن ميمون مشيداً إشادة طه حسين بتلميذه (أبي ذؤيب) فقد نوه بدقة المنهجية مثنياً على المؤلف: (ولفنسون بذكائه ونشاطه واستكماله لأدوات الدرس العلمي هو أهل لأن يستوفي البحث في فلسفة القرون الوسطى اليهودية) فيكمل بذلك ما ينقص الآداب العربية في هذا الباب، وهو جدير بالتشجيع والثناء، هكذا إسرائيل جدير بالتشجيع والثناء عند بني بعرب، الشيخ مصطفى عبد الرازق (١٨٨٥ – ١٩٤٧) وهو الشيخ السادس والثلاثين للجامع الأزهر، ولم يبق في مشيخة الأزهر غير عام وشهر تقريباً حتى وفاته ١٩٤٧م، كما ترك عديداً من المؤلفات[١].

٤) أحمد أمين: صاحب فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام (١٨٨٦ – ١٩٥٤) أشرف على لجنة التأليف والترجمة والنشر منذ إنشائها ١٩١٤، وقد ساعد إسرائيل في نشر كتبه في تيك اللجنة، كما سيأتي عند الحديث عن مؤلفات أبي ذؤيب، وتم هذا بحكم الصداقة التي جمعت

---

[١] بوابة الحركات الإسلامية www.slamirt-movements.com

الرجلين، وكان ابن ذؤيب كلفا بإثبات تلكم الصداقات بالصور الشمسية، كتلك الصورة مع أحمد أمين وبعض أساتذة جامعة القاهرة، كما جاء في كتاب ولفنسون عن كعب الأحبار.

أحمد أمين تقلد عديداً من المناصب، منها عميد كلية الآداب ١٩٣٩م، وعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٥١ - ١٩٥٤ حتى وفاته[١].

٥) مجموعة ممن تتلمذ إسرائيل على أيديهم مثل الشاعر العراقي معروف الرصافي، والخطيب المفوه المقدسي محمد إسعاف النشاشيبي الذي ربطته بإسرائيل علاقات دامت حتى وفاة المقدسي ١٩٤٨ - كما سلف- ثم زملاء في دار المعلمين المقدسية منهم مفتي القدس الحاج أمين الحسيني، والسيد محمد عز الهواري قاضي المحكمة المركزية في الناصرة.

هذا ما ظهر لنا من علاقات إسرائيل بالعرب، ولعل هناك كثيرا من غيرهم، وهناك آخرون دونهم، لا نعلمهم، الله يعلمهم[٢]، وفي الخطاب في الصفحة التالية صورة لمراسلات بين أبي ذؤيب وأحد المثقفين العراقيين الفخور جداً جداً بما صنع.

وننتقل إلى جانب آخر من حياة إسرائيل ولفنسون، وهي:

نشاط أبي ذؤيب الصهيوني: لم يقتصر عمل أبي ذؤيب في مصر على الجانب الدراسي التعليمي، بل شارك في عديد من النشاطات السياسية والفكرية

---

[١] ويكبيديا، الموسوعة الحرة.

[٢] هذا اقتباس من آية الأنفال، وليس نفس الآية.

التي كان يقوم بها يهود مصر، لقد كانت الحركة في أوج نشاطها في مختلف أنحاء العالم، وكانت ذروة نتائج هذا النشاط وعد بلفور ١٩١٧م، واليهود في مصر ما كانوا بعيدين عن طموحات سائر اليهود في العالم وتوجهاتهم.

على العكس من ذلك تماماً فقد كان قرب مصر من فلسطين التي ازدادت فيها حركة الاستيطان اليهودي حافزا لمزيد من النشاط السياسي والفكري والديني وصولاً إلى تحقيق أهداف الصهيونية العالمية وعلى رأسها إقامة وطن لليهود في فلسطين، ودولة تكون لها المكانة العليا، ويكون لها ثقلها ومركزيتها في العالم العربي سيما في ذياك الوقت، بداية القرن العشرين.

كان ولفنسون واحداً من اليهود الناشطين البارزين في مصر، وتربطه بزعماء اليهود في مصر ووجهائهم صداقات وعلاقات مميزة، ففي ١٩٢٤ بعد وصول أبي ذؤيب بسنتين أنشأ اليهود المصريون جمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية المصرية برعاية الحاخام الأكبر في مصرنا (ناحوم حاييم) هذه الجمعية شكلت لجنة لجرد الكتب والمخطوطات اليهودية المصرية القديمة، ولجنة ثانية لنشر الكتب وثالثة للعلاقات الخارجية.

وكان الدكتور إسرائيل من أبرز أعضاء هذي الجمعية، وقد شارك أيضاً في تحرير جريدة (الشمس) الأسبوعية، تيك الجريدة التي أصدرها سعد يعقوب المالكي عام ١٩٣٤م لتعبر عن وجهة نظر الطائفة اليهودية والتعرف على مجريات الأحداث في الشارع المصري.

وقد حاولت الجريدة التوفيق بين المشروع الصهيوني وتطلعاته وبين الحركة الوطنية في مصر في محاولة لإيجاد نقطة التقاء بين التيارين.

وكان هدف جريدة الشمس- كما قال أحد الصحفيين اليهود في فلسطين الذي شارك في تحريرها: (أن تؤدي خدمة ليهود الشرق وأن تسمع صوتهم على صفحاتها، وأن تعمل على بث الروح الوطنية وتأييد النهضة الحديثة الرائعة في فلسطين وأن ترسل من فوق منبرها كلمة الاستنهاض إلى الطوائف الإسرائيلية في مصر وسوريا والعراق واليمن وتونس ومراكش وأمريكا وأن تحمل الجريدة البشرى إلى تلك الطوائف عن نهضة فلسطين وأن تقوم بتقوية الروابط التي ربطت اليهود برغم تشتتهم، وتبعث فيهم الشعور الوطني لكي ينهضوا ويعملوا بحزم ونشاط لتجديد موطن أجدادهم وإحياء لغة أمتهم العبرية.

صورة رسالة إسرائيل إلى سعيد يوجي في العراق

ويبدو أن إسرائيل كان معشوق بعض مثقفي العربية.

حضرة الاستاذ المجيد سعيد الديوه جي المحترم

بعد تقديم واجب الاحترام أخبركم انه وصلني خطابكم المؤرخ في ١٧/١/...
بشرتموني عن عثوركم على نسخة قديمة لكتاب المصايد والمطارد ...
بالمدرسة الحسنية بالموصل وبعد أن راجعت النصوص التي نقلتموها [من]
النسخة الموجودة عندنا اتضح لي انكم على حق مما قلتم في خطابكم ...
عملكم وعلمكم الغزير في فهم المجهول والكشف عن غوامضه ...
وقد أبلغ خبر عثوركم على نسخة مخطوطة لكتاب المصايد والمطارد في الموصل
منذ زمن طويل أرغب أن يصلني هذا الخبر السار
وقد بادرت في هذه الايام باخطار سيدنا المعظم الامير عبدالله ...
خبر عثوركم على نسخة قديمة لكتاب المصايد في الموصل و...
بوساطة الحكومة العراقية على تصوير الكتاب أو نسخه ...
اشرافكم
اما السبب في تأخر الرد على خطابكم يرجع الى عدم اقامتي في ...
القدس
فعلى كل حال أقدم لكم شكراً جزيلاً على ما قدمتم لنا من الخدمات ...
عن المخطوط وتجشمكم مشقة نقل بعض القطع من الكتاب ...
وتفضلوا يا حضرة الاديب النجيب بقبول فائق الاجلال

القدس في ١٤/٧/١٩٤٤

المخلص

اسرائيل أبوذؤيب

عنواني: اسرائيل ابوذؤيب (ولفنسون) بشارع ...
(رحابيا) القدس فلسطين

فأما إحياء العبرية فلنا وقفة معه في مكانه، أما أن فلسطين هو موطن أجدادهم فهذي مغالطة واضحة، لأن اليهود ما كانوا أغلبية في أية فترة من التاريخ – سيما مدينة القدس– وإنما كانت المدينة والبلد كاملاً مفتوحاً لكل الناس، ومنهم اليهود.

على أية حال فإذا كانت (الشمس) قد حاولت جهدها أن تضع الطابع المصري الوطني في الواجهة للاحتماء به والاختفاء خلفه، وهو ما مكنها – على الأرجح– أن تواصل صدورها حتى عام ١٩٤٨م، فإن الحكومة المصرية لم تدرك خطورة الدور الذي أدته هذي الصحيفة التي ظلت تعمل من أجل أهدافها بهدوء إلى أن تقدمت الجامعة العربية إلى إدارة المطبوعات المصرية بشكايات ضد هذي الصحيفة تتهمها بأنها دأبت على الطعن في رجالات العروبة والجامعة العربية والدس على القضايا العربية عامة، والدعوة إلى تأييد المطامع الصهيونية في القطر الشقيق (فلسطين).

كما أنها تصدر بأموال الحركة الصهيونية في مصر، ومن ثم أصدرت الرقابة العامة قرارها بتعطيل (الشمس) اعتباراً من ١٩٤٨/٦/١١م ومصادرة جميع النسخ التي كانت موجودة في المكاتب أو بأيدي الباعة.

وكان لإسرائيل ولنفسون دور فاعل في جريدة (الشمس) تحريراً ودعماً، ففي عددها الأول الصادر في ١٩٣٤/٩/١٤ مقالة على صدر الصفحة الأولى من الجريدة لأبي ذؤيب وفي رسالة له إلى صاحب الشمس ورئيس تحريرها سعد يعقوب المالكي، نشرت في الجريدة: (لقد سرني ما رأيت منكم من العزيمة على نشر جريدة تكون لسان حال الشعب اليهودي بالديار المصرية، إن هذا العمل

الجريء سيؤدي إلى انقلاب في الحياة الاجتماعية والأدبية اليهودية، ليس في الأمصار المصرية فحسب، بل في الأقطار الشرقية والإسلامية التي فيها جماعات وطوائف من بني إسرائيل.

بل استمر في تواصله مع اليهود في مصر وغيرها من الأقطار العربية حتى بعد عودته إلى القدس ١٩٤٠م، فقد وجه من تيك المدينة نداء إلى المسئولين من رجالات اليهود بالقاهرة والإسكندرية دعاهم فيه إلى تكوين لجنة مالية تتكفل بنفقات صدور الصحيفة يومياً ولمدة عام، بعدها يمكنها الاعتماد على نفسها.

ومن القدس راسل بن زئيف صحفاً يهودية مصرية أخرى، ففي ١٦ فبراير ١٩٤٥ أصدرت جمعية الشبان الإسرائيليين القرائين في القاهرة مجلة نصف شهرية تدعى (الكليم) ليكون لسانها معبراً عن طائفة القرائين وأمانيهم وداعية إلى رفع مستواها والنهوض بجميع مرافقها.

وعلى إثر صدور مجلة (الكليم) أرسل بن زئيف – وكان يومها مدرساً بالجامعة العبرية بالقدس– إلى مراد ليتو رئيس التحرير رسالة نشرت في العدد الأول من أبريل ١٩٤٥ أعرب فيها عن سروره البالغ بصدور الكليم لصحيفة ناطقة بلسان القرائين في مصر، وهي أمنية طالما تحدث بشأنها مع الأدباء اليهود المصريين إلى أن وفقوا إلى تحقيقها.

وطالب بن زئيف في رسالته القيمين على المجلة بضرورة الاهتمام بطائفة القرائين، خصوصاً بعد المحن والمصائب التي حلت باليهود في جميع بلدان المعمورة أثناء الحرب العالمية الثانية، وأوضح أن أهمية المجلة لا تكمن في أنها

الصحيفة الناطقة بلسان القرائين في مصر فقط، بل لأنها الناطقة بلسان اليهود في العالم أجمع، لأنه لم يك للقرائين في أي بلد مجلة أو صحيفة تنطق باسمهم في ذياك الوقت.

ولذا دعا إسرائيل إلى الحصول على أخبار بقية الطوائف اليهودية التي لم يسمع عنها شيء منذ بداية الحرب العالمية الثانية آملاً أيضاً أن تكون الكليم منارة الاتصال بين طائفتي القرائين والتوابين حتى يعملا معاً على إحياء مجد اليهود الغابر.

وقد استمرت مجلة الكليم في الصدور في قلب العروبة – القاهرة– حتى بعد قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨م، وعندها امتنعت عن نشر الأخبار السياسية مقتصرة على الموضوعات الدينية والأدبية، وبقيت تصدر حتى عددها الأخير في ٤ مايو ١٩٥٧ في عهد الرئيس خالد الذكر طيب العطر والأثر (١٩٢٢ – ١٩٧٠م).

كتاب (موسى بن ميمون) الذي ألفه أبو ذؤيب ونشر في القاهرة عام ١٩٣٦م أهدى إلى يوسف قطاوي باشا رئيس الطائفة الإسرائيلية بمصر ووزير المالية الأسبق.

وعلينا أن تشير إلى الفرق بين اليهود القرائين والربانيين، ثم أن نعرف بوزير المالية المصري الأسبق يوسف قطاوي:

أولاً: الفرق بين الربانيين والقرائين أكبر الطوائف اليهودية عدداً وانتشاراً في التاريخ القديم والحديث، واسم الطائفة مشتق من كلمة (رابي) العبرية بمعنى (حبر) ويطلق عليهم أيضا: (الحاخاميون) و(الربيون) وهم يؤمنون بأسفار موسى والتلمود وشروحه، وكانت الحكومة المصرية تختار رئيس الطائفة الإسرائيلية

في مصر من الربانيين ليكون ممثلاً رسمياً عن كل الطوائف اليهودية (الإسرائيلية) في مصر.

أما (القراءون) فإنهم يأتون في المرتبة الثانية بعد طائفة (الربانيين) ولكنهم -أي القرائين- أكثر ثراء، ويطلق عليهم أصحاب الدعوة و(بني همكراه) أبناء القراءة الخاصة للتوراة، يؤمنون بها فقط، رافضين (القانون الشفهي) التلمود وشروحه، يختلفون فقهياً مع الربانيين في حرمة يوم السبت والخمر والقصاص والمواريث، يركعون ويسجدون في صلواتهم، في حين ينحني الربانيون قليلاً دون ركوه أو سجود[١].

يوسف قطاوي: ينسب هذا الرجل إلى قرية (قطا) التي تقع شمال مدينة (بنها) عاصمة محافظة القليوبية، التي تقع هي الأخرى إلى الشمال من مدينة القاهرة.

يوسف أصلان باشا (١٨٦١ - ١٩٤٢م) يهودي مصري تولى رياسة الطائفة الإسرائيلية في مصر ولذا عين وزير للمالية في وزارة أحمد زيور باشا ١٩٢٤م، ثم وزيرا للمواصلات عام ١٩٤٥، انتخب عضواً في مجلس النواب ١٩٢٣، عن دائرة (كوم امبو) بعد ثورة ١٩١٩، تصور!!

ليس هذا فقط، بل اختير عضواً في عديد من المجالس الاستشارية للمؤسسات الصناعية والمالية، واشترك عام ١٩٢٠ بالتعاون مع طلعت حرب ويوسف شيكوريل في تأسيس بنك مصر، وفي ١٩١٥ كان يوسف قطاوي عضواً

---

[١] راجع: عرفة عبده، يهود مصر، القاهرة ٢٠٠٠، ص٤٣٤، ٤٢٧ - ٤٢٨.

في الوفد المصري الساعي إلى التفاوض مع بريطانيا لنيل استقلال مصر!! بل كان ضمن لجنة الثلاثين، لجنة التأسيس لدستور ١٩٢٣م.

تزوج يوسف قطاوي من عيلة (عائلة) سوارس، وكانت زوجه (أليس) وصيفة أولى للملكة نازلي زوج الملك فؤاد، ووصيفة الملكة فريدة زوج الملك فاروق.

وبعد وفاة يوسف أصلان تم انتخاب ابنه أصلان ليحل محل أبيه في مجلس الشيوخ (تركة خاصة يا حبيباه) كما عمل سكرتيراً عاماً لمصلحة الأملاك الأميرية التابعة لوزارة المالية، ومندوباً عن الحكومة المصرية في شركة قناة السويس، ومندوباً عن الحكومة في البنك الأهلي المصري، تصور!!

ابنه الثاني رينيه اختير عام ١٩٤٣ رئيساً للطائفة اليهودية في القاهرة وكان أيضاً عضواً في البرلمان، وفي الوقت نفسه كان يدير مشروعات اقتصادية، يبدو أننا أمام عبقريات فذة، لا يجود بها الزمان في وادي النيل.

هذا ما نقلناه عن موقع الملك فاروق، والآن مع موقع ويكيبديا الموسوعة الحرة، الذي يضيف: عائلة قطاوي عائلة يهودية برز عدد من أفرادها في النشاط السياسي والاقتصادي في مصر أواخر القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن العشرين (حيث قامت دولة إسرائيل ١٩٤٨).

انتسبت الأسرة إلى قرية قطا، شمال القاهرة – كما سلف– نزح رب الأسرة (إليشع حيدر) إلى القاهرة أواخر القرن الثامن عشر، ثم حصل ابنه يعقوب (١٨٠١ – ١٨٨٣) على امتيازات من الحكومة المصرية للقيام بأنشطة تجارية ومالية،

وكان أول يهودي مصري يمنح لقب (بيك) كما حصل على لقب بارون من الامبراطورية النمساوية المجرية التي حملت العائلة جنسيتها.

وقد أوكلت إليه وزارة الخزانة في فترة حكم الخديوي عباس الأول (١٩٤٩ – ١٨٥٤م) بل احتفظ بهذا المنصب أيضاً خلال حكم الوالي سعيد والخديوي إسماعيل، تولى في آخر أيامه رئاسة الطائفة الإسرائيلية في القاهرة، وبعد وفاته خلفه ابنه موسى قطاوي (١٨٥٠ – ١٩٢٤) في رئاسة الطائفة الإسرائيلية.

اختير موسى قطاوي عضواً في البرلمان المصري، كما حصل على لقب الباشوية فقد كان من كبار رجال المال والبنوك، تولى إدارة عدد من الشركات وأسهم في تمويل مشاريع السكك الحديدية في صعيد مصر، وشرق الدلتا، ومشاريع النقل العام في القاهرة بالتعاون مع عائلات سوارس ورولو ومنسّى.

وبعد وفاة موسى انتقلت رياسة الطائفة الإسرائيلية إلى يوسف أصلان قطاوي الذي درس الهندسة في باريس، وعمل عند عودته موظفاً في وزارة الأشغال. ثم سافر إلى إيطاليا الدراسة صناعة الشكر لينشئ مصنعاً للسكر، وليس مخزناً ولا دكاناً صغيراً للسكر.

الباحثة منى محمود، قدمت رسالة دكتوراه عن (عائلة قطاوي ودورها في المجتمع المصري) ومما جاء في هذي الرسالة:

اشترك موسى قطاوي رئيس الطائفة الإسرائيلية بالقاهرة في تكوين فرقة عسكرية من اليهود تألفت في الإسكندرية، وسميت فرقة راكبي البغال لتحارب في فلسطين مع القوات البريطانية، وهذا كان في مصر !!

الدكتور عاصم الدسوقي من جامعة حلوان المشرف على الرسالة، قال: بدأت الدراسة من عام ١٨٦٣ إلى عام ١٩٥٧م (في عهد الزعيم طيب الذكر جمال عبد الناصر) حيث صَفَّت العائلة أعمالها، وانتقلت من مصر إلى أوربة التي منها جاءت.

ويضيف مشرف الرسالة: لعبت عائلة قطاوي دور الجماعة الوظيفية المرتبطة بالاستعمار الأوروبي، والوسيط لرأس المال الأوروبي، وقدمت القروض بفوائد فاحشة للخديوي إسماعيل، واحتكرت العمل بالسلك السياسي والجماعات السياسية والاجتماعية والثقافية، لهم تمثيل دائم في المجالس النيابية ولجنة وضع الدستور... إلخ إلخ.

فهل كانت كل هذي المناصب بسبب (شطارتهم) أو (خيابتنا) أم هو خليط الخيانة والخيابة؟ أي (خيابنا) بالباء والنون معاً؟!

في رأيي المتواضع أن كل هذا العمل وهذي التحركات منذ نهاية القرن الثامن عشر ونهاية القرن التاسع عشر، ثم في بداية القرن العشرين حتى انتصافه كان إعداداً من قبل الجهات الاستعمارية والاستكبارية وكان تمهيداً لحدثين مهمين مدمرين، الأول احتلال مصر عام ١٨٨٢م، وهو مقدمة منطقية للحدث الذي يليه، وهو طرد الشعب الفلسطيني من وطنه وقيام دولة إسرائيل ١٩٤٨.

فقبل التحرك لاحتلال مصر أغرق البلد في دوامة الديون والمشكلات، فإذا جاءت الجيوش البريطانية لاحتلال مصر لم يستطيع جيش مصر بقيادة عرابي أن يصمد أمام الغزاة.

وبعد أن استقر الأمر لبريطانيا في مصر كان التمهيد والتخطيط لاحتلال فلسطين وقيام إسرائيل، وقد كان لهم ما أرادوا.

وبعد أن استقر الأمر لبريطانيا في مصر كان التمهيد والتخطيط لاحتلال فلسطين وقيام إسرائيل، وقد كان لهم ما أرادوا.

جيوش من المتعاونين مع الاحتلال والحركة الصهيونية كانت تعرف دبة النملة في مصر، خاصة في وزارة المالية والخزانة والمواصلات ومختلف مفاصل الدولة المصرية.

وقد لا يعجب المرء عندما يعرف أن الجيوش العربية التي ذهبت للدفاع عن فلسطين ما أنجزت ما كان منها متوقعاً، فقد كان كل شيء معروفاً عن هذي الجيوش، التسليح والتدريب والحركات والسكنات والثكنات، تماماً كما فعلوا مع المسلحين الذين أطلقوهم في سوريا والعراق وليبيا، أعطوهم كلا المعلومات عن جيوش تلك البلدان، ثم خططوا لهم أدق تخطيط فكان لهم ما أرادوا، وها هي هذي الجيوش تكافح لاستعادة الأراضي التي سلبت وسط معارضة قوية لاستعادة هذي الأراضي.

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ويعد هذي الاستطرادات بعيداً عن إسرائيل ولفنسون نعود – والعود أحمد – إلى سيرة أبي ذؤيب في مصر فنقول: إن الشيء بالشيء يذكر فلا يعاب من أحد ولا منا ينكر، فهذا:

- حاييم ناحوم أفندي: حاخام اليهود في مصر، عين عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة – مع آخرين– بمرسوم ملكي عام ١٩٣٣م، وبقي حتى وفاته ١٩٥٦م.

- مرد بيك فرج: كان محامياً ومستشاراً للملك، كما كان شاعراً وناقداً، له ٢٥ كتاباً، منها ديوان اسم القدسيات كان متأثراً فيه بالمشروع الصهيوني، ربما أهله هذا لعديد من المناصب والمواقع المهمة والحساسة، وإن كان هناك من يشكك في عضويته للمجتمع بل وجدنا في مجمع اللغة العربية مقدسين فلسطينيين، هو:

- إسحاق موسى الحسيني: (١٩٠٤ – ١٩٩٠م) كان عضواً بمجمع اللغة العربية في القاهرة ١٩٦١، والمجمع العلمي بالعراق ١٩٧١م ومجمع البحوث الإسلامية في الأزهر ١٩٦٣، والذي اشتهر – كما سلف – بروايته (مذكرات دجاجة) ترك مصر عام ١٩٧٣ إلى بيت المقدس، ت١٩٩٠م.

فهل كان هؤلاء أكثر كفاءة من علماء العربية المصريين، وبعضهم كانوا من أشياخ العربية وفرسانها، كانوا يتشوفون – بالفاء– إلى عضوية مجمع الخالدين، حتى ذكر بعضهم بأنهم لن يدخلوا المجمع إلا بعد أن يضعوا بعض الدقيق الأبيض على شعرهم، وقد أمد الله في أعمارهم حتى اشتعلت الروس – الرءوس– شيباً، لكنهم لم يحظوا بعضوية المجمع.

فهل كان هذا ميلا من المصريين عن العلماء المصريين، وانحيازا لغيرهم؟

مثل ماذا يا كاتب السطور؟ مثال صارخ لانحياز المصريين ورغبتهم عن القراء المصريين إلى القراء غير المصريين، هل لأنهم أغنياء أو هم غير مصريين، إن القراءة المصرية هي الأجود والأدق والأكثر تفاعلاً مع القرآن.

أصل هذه القراءة وأبوها هو عثمان بن سعيد الملقب بورش (ت١٩٧هـ) نسبة إلى طائر الورشان، وقد لقب بهذا لجمال صوته، كان حس الصوت مِداداً به، فإذا قرأ كان يغشى على بعض الجالسين السامعين تأثراً بقراءته (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله)[1].

لقد كان إنشاء إذاعة القاهرة ١٩٣٤، ثم ظهور آلات التسجيل وسهولة استخدامها ما أظهر نجوم القراءة المصرية وفرسانها، وعلى رأسهم الشيوخ محمد رفعت، ثم الخماسي الأشهر (محمد صديق المنشاوي – مصطفى إسماعيل – عبد الباسط عبد الصمد – محمود علي البنا) وغيرهم (الشيخ علي محمود – الشيخ عبد الفتاح الشعشاعي...) ومن لف لفهم، وسار على دربهم وعلى طريقتهم.

ولكن ٩٠% من المصريين – وخاصة من المتدينين – لا يعرفون مثل هذي الأسماء، وما سمعوها، وما سمعوا عنها، هم يعرفون غير المصريين ممن هم أقل بدرجات ودرجات من القراء المصريين.

فإن بعض هؤلاء القراء غير المصريين قد عرض قراءته على أحد خبراء القراءة في مصر، فأبدى على قراته ٨٠٠ ملحوظة، ولكن الناس استضافوه في بلادهم وبالغوا في إكرامه حتى أقر قراءة الرجل برغم مئات الملاحظ التي أبداها

---

[1] الحشر ٢١.

في الأول، فكما قال الأول – أي في المثل– إن الرثيثة تفثأ الغضب، الطعام الجيد والإكرام يذهب الغضب.

هل نستطيع القول بأن الغرب المحارب لنا وقد وعى أن الله عندما كلف بإدارة الأزمة في مصر القديمة يوسف الصديق – عليه السلام– والذي جيء به من أرض كنعان (فلسطين) ولم يكلف بإدارة الأزمة وتفسير رؤيا الملك أحد بني جلدتنا في مصر.

ولذا جاءوا لنا بعائلة قطاوي وإسرائيل ولفنسون ليزرعوا في الوسط المصري الذي يميل عن بني جلدته، وينجذب إلى من كان من غير بني جلوته، هل هذا صحيح؟! ربما، ربما.

فإن إحدى المشكلات المهمة في تعامل الناس في مصر مع بعضهم، هي تضخم (الأنا) وجرأة المصريين بعضهم على بعض، في حين لو خرج المصري إلى بلد آخر أو تعامل مع غير المصريين في بلده فإن أسلوبه يختلف عن التعامل مع بني قومه.

ونذكر القارئ بتعامل الموظف مع المواطن، والسائق مع الركاب في حافلته، بل وتعامل الأقرباء مع بعضهم... إلخ هل تتم التعاملات وتتلئب العلاقات بصورة مرضية؟ نسأل القارئ رأيه.

ونترك هذا كله ليعود أبو ذؤيب إلى:

القدس مرة أخرى: بعد أن قضى إسرائيل في مصرنا قرابة العشرين عاماً ١٩٢٢–١٩٤٠م طلبت منه المنظمة الصهيونية العودة إلى فلسطين، بعد أن أدى دوره كاملاً تاماً في القاهرة، أقام شبكة ضخمة من العلاقات مع العرب، مصريين وفلسطينيين وعراقيين وأردنيين... إلخ وزرع فكرة اللغات السامية في دار العلوم

وفي كلية الآداب، ودرست اللغة العبرية في الجامعة المصرية الوليدة، وهو ما سنعود إليه نفصله لاحقاً.

عاد إسرائيل ليحور اسمه من (إسرائيل ولفنسون) أبي ذؤيب إلى (إسرائيل بن زئيف) عودة إلى الأصل العبري لاسمه الألماني السابق (ولفعسون) أو العربي الشكل، وهو أبو ذؤيب.

إذن – يا سادة يا كرام– عاد الرجل إلى أصله وجلده ولسانه، فمن استدعاه إلى فلسطين ومتى؟ في عام ١٩٤٠م استدعته اللجنة القومية اليهودية ليتسلم منصب رئيس قسم المعارف لتعليم اللغة العربية في المدارس اليهودية، منصب يليق بخلفية الرجل ودراساته وبحوثه، وعمله السابق في دار العلوم، ولكن كل هذا ما نبه الناس في مصر أو في العالم العربي عن أن شيئاً مزلزلاً هو في الطريق إليهم.

بل إن أبا ذؤيب استمر في دوره في الاتصال بالمثقفين العرب، كما في رسالته إلى الأديب العراقي سعيد الديوه حول كتاب (كشاجم) المصايد والمطارد، وعلاقة أبي ذؤيب بالملك عبد الله (ت١٩٥١م) أمير شرق الأردن (راجع الرسالة) المؤرخة من القدس في ١٩٤٤/١/١٤.

على أي حال كان (بن زئيف) أول مفتش للغة العربية في قسم التعليم بالسلطة اليهودية، ففي خلال ست سنوات-١٩٤٠-١٩٤٦- زاد عدد المدارس اليهودية التي تعلم العربية من ٣٢ مدرسة إلى ٧٢، منها (٥٦ مدرسة عالية) يعمل فيها ٥٥ معلماً = ٢٢٦ ساعة تدريس أسبوعياً، وعشرة آلاف طالب على حسب تقرير بن زئيف نفسه.

لقد حرص اليهود على إعداد جيش جرار من المستعربين اليهود الذين يجيدون العربية، خاصة اللهجة الفلسطينية للتعامل مع أهل فلسطين، ويعرف القاصي والداني فرق المستعمرين الذين يتدربون على اللهجة الفلسطينية والزي والسلوك والتصرفات الفلسطينية، يتدربون على هذا داخل قرى فلسطينية مصممة لهذا الغرض على غرار القرى الحقيقية التي يعيش فيها الناس.

على أي الأحوال فإن الطلاب اليهود في المدارس اليهودية كان عليهم اختيار لغتين أجنبيتين، الإنجليزية ثم الفرنسية أو العربية فكان الطلاب في معظم المؤسسات التعليمية اليهودية يميلون إلى العربية عن الفرنسية لإحساس القوم بحاجة أكثر إلى العربية.

معلمان بارزان في تطوير الدراسات العربية في فلسطين تمثلاً في تأسيس مدرسة الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية الوليدة بالقدس (١٩٢٦م) والتي شارك بعض المسئولين العرب والمثقفين في حفل افتتاحها وبحضور مسئولين صهاينة وإنجليز على رأسهم بلفور صاحب الوعد المشهور.

والمعلم الآخر كان في ديسمبر ١٩٢٧م، والذي تمثل في قيام أول جمعية لمدرسي اللغة العربية في القدس، وكان هذا القيام بمبادرة من الدكتور بيرم مدير مدرسة (ريلي) في حيفا، و(أفينو يلين) الموجه العام للمدارس العبرية في القسم الإلزامي، هذا الأخير لقى مصرعه خلال الثورة العربية في فلسطين[1]- ١٩٣٦- ١٩٣٩

(١) العربية بين اليهود والعبرية بين العرب في فلسطين، تأليف نفتالي كنبرج ورفائيل تلمون، ترجمة د. أحمد أبو الخير - د. أحمد فريد، القاهرة ٢٠٠٢، انظر ص٤١ وقبلها.

ومن الواضح أن هذين المعلمين كانا قبل وصول بن زئيف١٩٤٠، وإن كانا مهداً لحضوره ١٩٤٠م.

مؤلفات أبي ذؤيب: قدم عدة كتب ومؤلفات، هي:

أولاً – تاريخ اللغات السامية: نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر وتأسست ١٩١٤ برياسة صديقه أحمد أمين الذي بقى على رأسها حتى توفي ١٩٥٤م، أي أنه رأسها ٤٠ عاماً كوامل كاملات، المؤلف إسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب) مدرس اللغات السامية في جامعة القاهرة الطبعة الأولى(١٣٤٨هـ-١٩٢٩م).

أهدى الكتاب إلى حضرة نابغة العصر الدكتور طه حسين، رئيس قسم اللغة العربية واللغات السامية بكلية الآداب، بالجامعة المصرية تقدمة إخلاص وإجلال.

في مقدمة الكتاب (ص هـ) قال أبو ذؤيب: وقد أحس رجال الأدب في مصر بهذي الحاجة الملحة يوم إنشاء الجامعة المصرية ١٩٠٨م، فاستقدموا كبار المستشرقين لتدريس اللغات السامية بكلية الآداب، وكان هذا بداية العناية بدرس اللغات السامية بجانب اللغة العربية.

وهذا ما حدا بي إلى وضع مؤلف خاص بهذي اللغات يعين على تحقيق تيك الفكرة النبيلة التي سادت مصر أكثر من عشرين عاماً ، أي قبل إصدار ذياك الكتاب الذي ألفه أبو ذؤيب، أو منذ إنشاء الجامعة المصرية ١٩٠٨م.

أبو ذؤيب ذهب إلى أن العربية متأثرة بأخواتها الساميات في صرفها ونحوها وبلاغتها، والآن ما معنى (اللغات السامية؟) وما حكايتها، وما القول فيها؟.

رأى (ماكس مولر ١٩٠٠) أن اللغات تتقسم إلى ثلاث فصائل:

١- فصيلة اللغات الهندية الأوروبية.

٢- فصيلة اللغات الحامية السامية.

٣- فصيلة اللغات الطورانية.

فأما الفصيلة الطورانية فهي اللغات التي لا تدخل في الفصيلتين الأوليين، لغات ليست هندية أوربية وليست سامية حامية، مثل اللغات (اليابانية-الكورية-الصينية-الأسترالية) إلخ.

أما اللغات الحامية فهي اللغات الإفريقية - غير العربية - مثل (اللغات المصرية القديمة والقبطية والبربرية والكوشيتية... إلخ، في حين كانت اللغات التي وسمت بالسامية في منطقة (فدان) أو العراق، و(كنعان) فلسطين، والجزيرة العربية واليمن والحبشة، مثل اللغات (الأكادية- الأشورية- البابلية- الكنعانية- العبرية والفينيقية- الآرامية- اليمنية القديمة- العربية- الحبشية القديمة والحديثة)[١].

هذي النظرية، ومنها فكرة (السامية) ما ظهرت إلا نهاية القرن التاسع عشر، وكان هذا مقدمة لإنشاء الكيان الصهيوني ثم دولة إسرائيل وإحياء اللغة العبرية لتكون لغة الدولة.

فكان لابد من خطوة لإدخال اللغة العبرية واليهود إلى فكر العرب ووطننا العربي، ليقال إن اليهود جزء من المنطقة واللغة العبرية جزء من لغات المنطقة بل وصل الأمر عند أبي ذؤيب إلى وصف (فلسطين) بأنها الموطن الأول لليهود في العالم، وهذا غير صحيح، كما ذكرنا.

والصحيح والصح والحق الحقيق أن النظرية السامية قد أصبحت مشروخة ومهلهلة، هذي اللغات تسمى الآن (اللغات العروبية) وقد فصلنا القول في هذي المسألة في دستور العربية، الحلقة الأولى والثانية، فليرجع إليها من شاء.

---

[١] راجع كتابنا (المدخل إلى علم اللغة) ص١٥.

ونتصور أن أبا ذؤيب عندما جاء إلى مصر كان السبيل قد مهد لنظرية اللغات السامية في الجامعة المصرية على يد المستشرقين الذين جاءوا إلى الجامعة لبث فكرة السامية، فقد كان قسم اللغة العربية في تيك الجامعة يضم اللغات السامية.

وفي دار العلوم درست الفارسية عام ١٩٤٩م، وقبلها بربع قرن تقريباً – أي في عام ١٩٢٤م مثلاً– درست العبرية في تيك السنة، وأتصور أن ولفنسون كان له أثر في دفع العبرية إلى الأمام وأن تدرس في كلية الآداب وفي دار العلوم أيضاً، ولنا عود لهذي النقيطة فيما بعد.

مرة أخرى إن ادعاء ولفنسون بأن (فلسطين) هي موطن أجدادهم أو هي الموطن الأصلي لليهود مغالطة كبرى لأن فلسطين – كما سلف– كانت بلداً مفتوحاً للجميع، اليهود وغيرهم، لكن نقر ما قاله الرجل حول العبرية في أمرين:

الأول: العبرية لم تمت تماماً حتى تم إحياؤها.

ثانياً: لغة اليهود في بلاد العرب. كيف؟ هذا ما سوف نفصله الآن:

١– لغة اليهود في بلاد العرب: في الجاهلية وصدر الإسلام كانت العربية – بلا شك – ولكنها كما يرى أبو ذؤيب[1] لم تك عربية خالصة، بل كانت مشوبة بالرطانة العبرية، لماذا؟

٢– لأن اليهود لم يتركوا العبرية تركاً تاماً، بل كانوا يستعملونها في صلواتهم وفي دراساتهم فكان من الطبيعي أن يدخل في عربيتهم بعض الكلمات والعناصر العبرية.

---

[1] راجع تاريخ اليهود... ص٢٠ وقبلها.

هذا ما لا غبار عليه، أما قول ولفنسون: (وإذا كانت الآطام – الحصون – اليهودية قد وجدت في شمال الحجاز أكثر من أية بقعة في بلاد العرب فإنا نرجح أن أنها كانت متأثرة بالنظم الاجتماعية اليهودية التي درج عليها اليهود في وطنهم الأصلي فلسطين).

ولقد كانت محاولة إنهاض اليهود بغرضين (تجديد موطن أجدادهم) أي فلسطين، وإحياء لغة أمتهم العبرية[1].

أما إحياء العبرية فلهم هذا، أما أن فلسطين وطنهم الأصلي، أو موطن أجدادهم فهو ما نرفضه، ولو أقاموا فيه ألف سنة، أو حتى ألوف السنوات.

نعود لقصة السامية، أو بدعة (السامية) والتي جاءت في القرن التاسع عشر خدمة للمشروع الصهيوني الاستعماري في فلسطين، ومحاولة لوضع العبرية على مستوى غيرها من اللغات العروبية، والعربية على رأسها كيف؟

إن أصحاب نظرية اللغات (السامية) لا يحددون من هي اللغة الأم لهذه السامية، وإن أشاروا إلى أن العربية هي الأقرب لهذي الأم المفترضة، إنها ليست الأقرب فقط، لكنها الأم الحقيقية لكل هذي اللغات المسمى بالسامية.

هم يقولون مثلاً بأن الحبشية القديمة والحديثة هي إحدى اللهجات اليمنية القديمة، وبالتحديد لهجة سبأ، بل والكتابة الحبشية هي الأخرى هي من أصل سبئي أيضاً فكيف نعود فنقول إن الحبشية هي أخت للعربية، كلا إن الأخيرة هي الأم وليس الأخت، وهكذا بقية الساميات.

---

[1] السابق، ص١٧.

وهذا حديث ولفنسون عن بعض اللغات السامية. أو (العروبية) كما نسميها: (تحولت أغلب بطون فلسطين وسوريا والعراق وسيناء – المصرية – عن اللهجات الآرامية).

لاحظ أنه يقول (اللهجات الأرامية) وليس اللغات، ويستطرد ولفنسون: (ثم أخذت هذي اللهجات الآرامية تتدهور تدريجياً في أطراف الجزيرة العربية، وأخذت تتكمش وتتضاءل ، أما اللغة العربية التي كانت في ذياك الحين– القرون الأولى من الميلاد– تمتد وتنتشر بسرعة حتى اضطرت بعض القبائل الآرامية والعبرية أن تختلط بالعنصر العربي الأصلي وتندمج فيه).

(سكان سيناء وأطراف الجزيرة العربية من جهة الشمال التي كانت تعتبر قنطرة طبيعية بين بلاد العرب وبين فلسطين ، وطن بني إسرائيل) نفس المغالطة تتكرر.

ثم يتحدث أبو ذؤيب[١] عما (بين اليهود وبين العرب من رابطة الدم)

هذا ما كان بين قلة من اليهود الشرقيين الذين انحدروا من نسل يعقوب، وعاشوا مع العرب – سيما في الأندلس– وخرجوا معهم، أي(السفرديم) وهم اليهود الشرقيون، في حين كان المشروع الصهيوني مشروعاً غريباً استعمارياً تدميرياً كان عماده اليهود (الإشكنازيم) اليهود الغربيين، ولفظ يهودي الآن هي مرادفة لليهودي الإشكنازي، وهم فوق العشرين ضعفاً من اليهود (السفرديم).

الإشكنازيم جاءوا من يهود الخزر (قزوين الآن) تيك المملكة التي ازدهرت في القرن التاسع والعاشر الميلاديين، وأطاح بها جنكيز خان في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي.

---

[١] تاريخ اليهود...، ص٥٨.

وعليه فإن جزءاً من اليهود الشرقيين عاشوا معنا، واختلطوا بنا، لكن الغالبية العظمى من اليهود الآن (إشكنازيمَ) غربيين غرباء عنا، ما بيننا وبينهم صلة ولا دم ولا عمومة، عدا من ذكرنا[١].

ومع هذا وبرغم هذا فإن هذا ما يبيح ما حدث من طرد شعب من أرضه، ثم مطاردته في بلاده وفي شتى بقاع الأرض، وتدميره تدميراً.

نعود مرة أخرى إلى العبرية والعربية، إذ يذكر ولفنسون ما بين العربية والعبرية من تشابه واقتراب، وقد يكون هذا صحيحاً، وهو بالفعل كذلك، لكن ليس العبرية أختا العربية، كلا كلا، بل لأن العبرية هي إحدى اللهجات التي تفرعت من العربية، وهي وإن تحولت إلى لغة، فهي لغة (عروبية) وليست سامية.

اللغة العبرية في رأي أبي ذؤيب[٢] كانت شائعة قبل نشوء بني إسرائيل وظهورهم في العالم، إذا كانت لغة فلسطين الكنعانية... ثم ظهرت بطون بني إسرائيل في طور سيناء وأطراف الحجاز، ومنها انتشرت إلى غيرها من الأرجاء، لكن العبرية بقيت صاحبة السلطان مدة طويلة إلى أن ظهر تأثير إحدى اللهجات الكنعانية، وهي الآرامية، فأخذت اللهجات العبرية والكنعانية الأصلية تضمحل مع التغيرات السياسية إلى أن أصبحت أغلب مناطق فلسطين وسوريا والعراق وسيناء تتكلم باللغة الآرامية، ثم أخذت هذي اللهجات تخلي مكانها للعربية.

---

(١) راجع مقدمة مترجمتنا (العربية بين اليهود والعبرية بين العرب...) ص١٨ وما قبلها.

(٢) تاريخ اليهود... ص٥٩.

صفوة القول في كل ما سبق أن نظرية اللغات السامية والشعوب السامية أصبحت مهلهلة ومهترئة، إنما هي اللغات العروبية، كلها نبعت من العربية التي أثرت في غيرها كثيراً وهذا ما سهل على اللغة العربية أن تجتاح المنطقة العروبية السابقة من العراق إلى فلسطين والشام، والجزيرة العربية واليمن، بل تجاوزتها إلى ما يعرف الآن بالعالم العربي من الخليج إلى المحيط.

الكتابة العبرية هي فرع من كتابة عربية قديمة تسير على ترتيب (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ) وإن كانت لا تزال تكتب مفردة من اليمن إلى اليسار، لأنها جمدت على نظام قديم ما تطور وما تغير.

أما الكتابة العربية فقد تطورت كثيراً، حتى غدت أجمل وأدق الكتابات في العالم أجمع، وهكذا.

والآن الآن عودة إلى مؤلفات أبي ذؤيب، فنقول:

ثانياً- تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام: صدر باسم (إسرائيل ولفنسون، أبو ذؤيب) أستاذ اللغات السامية بدار العلوم، نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر، التي أنشئت -كما سبق- ١٩١٤[١]، تقديم حضرة الأستاذ الكبير والنقادة الشهير الدكتور طه حسين، وقد أشرنا إلى هذي المقدمة قبلاً.

وقال مرتضى العسكري: (أول طالب يهودي يلتحق بالجامعة المصرية -١٩٢٢م- وقد حصل منها على الدكتوراه بإشراف عميد الأدب، هو (إسرائيل ولفنسون) وهي أول دكتوراه منحتها كلية الآداب، وكانت بعنوان: (القبائل اليهودية

---

[١] مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر بمصر، عام ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م.

في البلاد العربية)[١] وقد صدرت في كتاب بعنوان: (تاريخ اليهود في بلاد العرب...) كما سلف.

وقد صدرت طبعة أخرى من ذياك الكتاب – مع تقديم- طه حسين، فضلاً عن دراسة صراع اليهودية مع الإسلام من منظور يهودي للدكتور وليد صليبا، عام ٢٠١٠م في جبيل (لبنان).

ثالثاً- كعب الأحبار: في عام ١٩٣٣ حصل ولفنسون على الدكتوراه من فرانكفورت في موضوع كعب الأحبار، صدرت في كتاب بالألمانية في نفس العام.

وبعد أكثر من ٤٠ عاماً عاد الكاتب إلى أطروحته فنقلها إلي العربية عام ١٩٦٧، وقد عاونه في إعداد النص العربي محمود عباسي مساعد وزير المعارف والثقافة في الحكومة الإسرائيلية، وقد نشرت في القدس، في ذياك العام -١٩٦٧- ثم في عام ٢٠٠٨م.

ثم صدر الكتاب عام ٢٠١٠م مسبوقاً بدراسة تحليلية نقدية للدكتور لويس صليبا[٢] الذي ذكر بأنه راجع الترجمة وعالج كثيراً من الأخطاء حتى صدرت الترجمة في هذا الكتاب.

رابعاً- موسى بن ميمون حياته ومصنفاته نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٣٦ عندما كان أبو ذؤيب يدرس بدار العلوم، وقد قدم الكتاب المفكر الكبير الشيخ مصطفى عبد الرازق، شيخ الأزهر السابق، كما سلف.

---

(١) العسكري: مع رجال الفكر في القاهرة، القاهرة ط١، ١٩٧٤، ص١٦٦.

(٢) أرخت المقدمة بالثالث من فبراير ٢٠٠٩ بالسوربون (الفرنسية) راجع.

خامساً- كتاب المصايد والمطارد وهو أبرز ما وصلنا من تحقيقات بن زئيف، هذا الكتاب ينسب إلى الشاعر العربي المعروف بكشاجم (أبي الفتح) وكان معاصراً للمتنبي في بلاط سيف الدولة الحمداني، عرف عنه كثرة الترحل، وقد نشر ولفنسون نص الكتاب كشاجم هذا محققاً في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق.

الملك عبد الله ملك شرق الأردن هو الذي كلفه بتحليل وتحقيق مخطوطة المصايد.

ويبدو أن هذا تم بعد عام ١٩٤٤م، ففي رسالة بن ذئيف إلى الأديب العراقي سعيد الديوه جي المؤرخة ١٩٤٤/١/١٤ في القدس يذكر ولفنسون سروره لعثور الأديب العراقي على نسخة مخطوطة لكتاب المصايد والمطارد في الموصل... وقد بادرت في هذه الأيام بإخطار سيدنا العظيم الأمير عبد الله أمير ديار شرق الأردن خبر عثوركم على نسخة قديمة للكتاب وألححت عليه بأن يعمل بوساطة الحكومة العراقية على تصويره أو نسخة بمساعدتكم أو تحت إشرافكم... وتفضلوا - يا حضرة الأديب النجيب- بقبول فائق الإجلال.

وتحت الرسالة

المخلص

إسرائيل أبو ذؤيب

وهكذا كانت علاقات قوية بين رموز الصهيونية ومثقفين عرب بل وأمير عربي هو الأمير عبد الله.

على أي الأحوال فإني أتصور أن الأمر توقف عند هذا الحد أي أن الملك كلفه بتحليل أو تحقيق مخطوطة المصايد والمطارد ثم المراسلات بين إسرائيل بن

زئيف وبين سعيد الديوه، ولكن لم يقم[1] بن زئيف بتحقيق المخطوطة، ولم ينشر عنها شيئاً في مجلة المجمع العلمي في دمشق، فقد بدأت نذر الحرب بين العرب وبين إسرائيل المسرعة الحادرة إلى الظهور ، وبعد عام ١٩٤٤ وما تلاها، ثم اغتيل الملك عبد الله ١٩٥١م، وإن كنا لا نستبعد أن تبئنا بعض الأيام ما كنا جاهلين وعنه غافلين.

سادساً – الفصول المختارة من الأدب العربي نشره باسمه الجديد (بن زئيف) وهو كما يشير عنوانه مجموعة مختارة من النثر والشعر العربيين، مع شرح وتعليق، وهو كتاب ذو طابع مدرسي في تعليم اللغة العربية وآدابها، صدر عام ١٩٥٤ في الناصرة كتاب بهذا الطابع المدرسي لكنه يوصف أحياناً بأنه كتاب قيم.

سابعاً– المجلدان الناجحان: العربية المنطوقة، وقد طبعا باسمه العبري (بن زئيف).

ثامناً – مجموعة مقالات: كان لأبي ذؤيب مجموعة من المقالات في عدة صحف قاهرية، منها:

١– مقالان في مجلة الرسالة التي كان يصدرها الأديب الكبير أحمد حسن الزيات بالقاهرة، وهما:

أ– مقالة عن المستشرق (برجستريس) كتبه أبو ذؤيب إثر وفاة ذياك المستشرق ونشر في العدد (١٩) بتاريخ ١٩٣٣/١٠/١٥، ص٤٠ من مجلة الرسالة.

---

[1] هذ إحساسي ووهلي.

ب- دراسة كتاب أنساب الأشراف للبلاذري نشر في العدد ١٨ من مجلة الرسالة.

٢- مقالة عن عبد الله بن وهب القرشي (ت١٩٧هـ) نشر في الأهرام القاهرية، العدد ١٧٥٩، بتاريخ ١٩٣٣/١١/٢٥م.

تاسعاً وأخيراً- الكتب العبرية: بعد عودة أبي ذؤيب إلى القدس ١٩٤٠ كِتب عدد من المصنفات باللغة العبرية صدرت في القدس من ١٩٤٤ إلى عام ١٩٦٥، سبعة كتب صدرت باسمه الأخير والعبري (بتسرائيل بن رئيف).

وقد اجتهدنا في تقديم الصورة الأوضح عن مؤلفات إسرائيل ولفنسون من رحلته إلى القاهرة ١٩٢٢ إلى عودته إلى بيت المقدس ١٩٤٠ إلى وفاته ١٩٨٠، وذلك حسبما توفر لدينا من معلومات ومعطيات، والآن ننتقل إلى:

منهجية ولفنسون: في مؤلفاته وكتاباته فنقول:

أولاً كان بن زئيف يحاول الظهور بمظهر العلمية والرصانة والحداثة والتماسك، لكن إسرائيل رجل يهودي، وهو لا يخفي انتماءه هذا، يقول في مقدمة كتابة عن موسى بن ميمون: ولسنا نعلم رجلاً آخر من أبناء جلدتنا غير ابن ميمون...

بل إنه أهدى كتابه هذا إلى يوسف قطاوي رئيس الطائفة الإسرائيلية في مصر - وزير المالية الأسبق- كما اختار دوماً مواضيع دقيقة وحساسة مثل الصراع بين اليهود وبين محمد - صل الله عليه وآله- ومثل دور كعب الأحبار في نشأة علوم الحديث والتفسير - أو موسى بن ميمون وارتداده أو بقاؤه على الإسلام.

ثانياً: ومن ثم فإن ولفنسون ليس بريئاً ولا خلواً من غايات وخلفيات (أيديولوجية) تقود البحث وتركزه على الشخصيات اليهودية مثل - كعب- يدل على نزعة الوفاق ما بين الإسلام واليهودية وإمكانية الجمع بينهما كما جمعهما في شخصه وشخصيته فكان يهودياً من المهد إلى اللحد - وفق تعبير ولفنسون- برغم أنه دخل في الإسلام، هذي النزعة التوفيقية التي كان يحاول يهود بلاد العرب أن يروجوا لها في العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين.

وكان هذا تمهيداً لقيام دولة إسرائيل ١٩٤٨م، حيث حاولت هذي الدعاية زرع نموذج كعب في كل يهود العالم العربي، أن يكون يهودياً في النفس والأعماق، وأن يكون ملماً في الظاهر، أو متظاهراً بالتوافق والاندماج في المجتمعات العربية.

ثالثاً- ومن ثم كان أبو ذؤيب من الداعين إلى ضرورة الاهتمام بالتاريخ والثقافة اليهودية، والتطلع إلى آفاق واسعة من التفكير اليهودي في عصوره الغابرة واللاحقة[١]، وهو ما ظهر في مؤلفاته، خاصة في مصر وألمانيا.

رابعاً- في مؤلفاته كثير من المغالطات منها:

١- الادعاء بأن فلسطين وطن اليهود الأصلي، أو هي موطن أجدادهم، فهذا مخالف لواقع التاريخ وحقيقته، حيث كانت فلسطين بلداً مفتوحاً للجميع، وليس بلداً منغلقاً على اليهود، كما هو الحال الآن.

٢- المستعمرات اليهودية في بلاد العرب قد أثرت تأثيراً قوياً في الحياة العقلية والأدبية للعرب في أرض الحجاز... وهو كلام غير مقبول لأن هذي

---

[١] العربية بين اليهود... ترجمة وتقديم د. أحمد أبو الخير، ص٤٠.

المستعمرات – لاحظ استخدام لفظة المستعمرات- كانت جزراً منعزلة عن العرب، لا تأثير لها بهذا الشكل المدعي والمزعوم.

نعم كانت هناك علاقات بين بعض العرب وبين اليهود الذين ربما استخدموا سلاح الموائد مع الناس، والتظاهر بالكرم والسخاء، وهذي أمثلة:

-عبد الله بن أبي بن سلول، وما كان له من علاقات ووشائج مع بني قريظة وبني النضير على ما هو مشهور في كتب السيرة.

-عباس بن مرداس: الذي ندد بجلاء بني النضير وبكاهم في قصيدة منها:

لو أن قطين أهل الدار لم ينصدعوا وجدت خلال الدار ملهى وملعباً

فإنك عمري هل رأيت ظعائناً سلكن على ركن الشطاة فتيأبا

إذا جاء باغي الخير قلن بشاشة له بوجوه كالدنانير مرحباً.

فلا تحسبني كنت مولى ابن مشكم سلام ولا مولى حي بن أخطبا

إنه يتبرأ من الزعامات اليهودية التي ناصبت محمد العداء، كابن مشكم وابن أخطب، ومع هذا فقد عوتب في هذا:

- أنت الذي رثيت اليهود، وقد كان منهم في عداوة الله ما كان؟

- إنهم كانوا أخلائي في الجاهلية، وقد كانوا قوماً أنزل بهم فيكرموني، ومثلي يشكر ما صنع إليه من الجميل.

ثم أنشد:

هجوت صنيع الكاهنين وفيكم... لهم نعم كانت من الدهر ترتيباً

أولئك أحرى لو بكيت عليهم... وقومك لو أدوا من الحق موجباً

من الشكر، إن الشكر خير مغبة... وأوفق فعلاً للذي كان أصوباً
فصرت كمن أمسى يقطع رأسه... ليبلغ عزا كان فيه مركباً
فبك بني هارون[1] واذكر فعالهم... وقتلهم للجوع إذ كان مسغباً
أخوات[2] أذر الدمع بالدمع وابكهم... وأعرض عن المكروه منهم ونكباً
فإنك لو لاقيتهم في ديارهم... لألفيت عما تقول منكباً
سراع إلى العليا كرام لدى الوغي... يقال لباغي الخير أهلاً ومرحباً[3]

والأبيات من بحر الطويل (فعولن مفاعلين فعولن مفاعلين) لكن العروض مقبوضة، وكذا الضرب، أي تحولتا من (مفاعلين) إلى (مفاعلن) بحذف الياء في (مفاعلين).

هذي الصداقات (وربما العداوات) كانت في الجاهلية قبل قدوم ﷴ إلى مدينته (طيبة) أما بعد الإسلام فإن اليهود بمختلف قبائلهم قد ناصبوا المسلمين العداء، وانجلت المعارك عن إجلائهم عن جزيرة العرب.

وفي ظل احتدام هذي المعارك فإن مَنْ مال إلى اليهود موالياً لهم فإنه إما كان منافقاً أو رأس النفاق – ابن سلول مثلاً– أو من المؤلفة قلوبهم كابن مرداس هذا.

٣- وإذا كانت الآطام اليهودية (الحصون) في نظامها قد وجدت في الحجاز أكثر مما وجدت في أية بقعة أخرى من بلاد العرب فإنا نرجح –أي ولفنسون– أنها كانت متأثرة بالنظم الاجتماعية اليهودية التي كان يجري عليها اليهود في

---

(١) يقصد اليهود.

(٢) الرجل لأمه في رثاء اليهود.

(٣) راجع كتاب ولفنسون: تاريخ اليهود... ص١٤٠.

(وطنهم الأصلي فلسطين)[1] هذي الحصون لم يك لها صلة بفلسطين ولا بغيرها، هذا البلد المسكين ما كان وطناً لهم لا أصلياً ولا فرعياً.

٤- وفي إطار الدعاية الصهيونية في العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين تمهيداً لإنشاء الكيان اليهودي والتي روجت لكثير من الأفكار المزيفة رأينا ولفنسون يسير وفق هذي الدعاية ويروج بعض الأفكار في هذا الإطار، مثل:

أ- علي اليهود أن ينهضوا بحزم ونشاط لتجديد (موطن أجدادهم - أي فلسطين- وإحياء لغة أمتهم العبرية)[2].

ب- الترويج (لما بين اليهود العرب من رابطة الدم) وهذا ما رددنا عليه سابقاً من أنه كان بين العرب وبعض اليهود صلات دم، وكانوا قلة قليلة جداً، ممن عاشوا مع العرب سيما في الأندلس وبعد خروج الاثنين - العرب واليهود- من الأندلس.

جـ- والترويج (لما بين اللغة العربية واللغة العبرية من التشابه ومن الاقتراب).

د- إن اللغة العبرية من أمهات اللغات السامية، فقد كانت شائعة قبل نشوء بني إسرائيل وظهورهم في العالم.

وكل هذا الترويج كان توطئة لقيام دولة إسرائيل حتى يتقبلها العرب بابتسامة الرضا وعناق الترحيب، لكن الدولة في طريقها للقيام دهست الحجر والمدر والشجر في فلسطين، وعندها لا تقصر في حق جيرانها من التدمير والخراب

---

[1] السابق ص١١٧.

[2] تاريخ اليهود في بلاد العرب لأبي ذؤيب، ص٢٩.

فنالت مصر ما نالت من أنصبائها، سوريا، لبنان، الأردن، ثم جيرانها في مقتل القادة الفلسطينين في تونس، وتدمير المفاعل العراقي ١٩٨١م فهذه إسرائيل، وهذا مشروعها في العرب، دمار في دمار، في دمار، حتى قبل الدولة حاولوا زرع أفكار هي كاذبة تماماً، أو كانت كلمة لم يرد بها إلا الباطل، مثل: (موطن أجدادهم أو موطنهم الأول – ما بين اليهود والعرب من أواصل الدم) ترى هل كان ولفنسون الذي جاء من روسيا البيضاء – وأضرابه – من صلة دم مع بني عرب؟ اللهم لا، اللهم لا.

كما أنا لا نوافق على أن العبرية من أمهات اللغات السامية (العروبية) بل كانت إحدى اللهجات التي تفرعت عن الكنعانية، هي إحدى اللغات العروبية، أي التي تفرعت عن العربية، أو كانت لهجة عربية تحولت إلى لغة، ومن ثم كان التشابه بينهما، لأنها جاءت من العربية أمها، هي ليست أختاً للعربية، بل العربية هي أم للعبرية، كما حدث مع اللغة الحبشية، كانت في الأصل إحدى اللهجات اليمنية، وتحولت في الحبشة إلى لغة، فالعربية إذن هي الأم في هذه الحالة أيضاً.

وكما أن الكتابة الحبشية هي في الأصل كتابة عربية وإن شوهت بشكل أو بآخر، فالكتابة العبرية هي في الأصل كتابة عربية أو عروبية (سامية) تكتب من اليمين إلى اليسار، وحروفها هي بنفس ترتيب الكتابة العربية القديمة (أبجد–هوز–حطي- كلمن – سعفص – قرشت – ثخذ – ضظغ) ولكن الكتابة العبرية جمدت على شكلها القديم (المُفَرَّد) وغير المشبك، وبقيت إلى الآن على نفس النمط القديم.

أما الكتابة العربية فقد نمت وطورت وجُمِّلت وكملت، حتى غدت أجمل وأدق الكتابات في العالم وأجملها حتى اتخذت منها اللوحات الفنية التي تزين بها الأماكن والحيطان.

وإن كانت الكتابات الآن في سائر اللغات هي فينيقية الأصل والأرومة، أي هي عربية (عروبية) ولكن كل أمة طورت هذي الكتابة الأصل إلى الشكل الذي ترتئيه ويناسبها.

وفاة بن زئيف: وبعد حياة طويلة، من إحدى المستعمرات خارج أسوار القدس، ثم في بيت المقدس، ومنها إلى مصر وأوربة والعودة إلى مصر، ومنها سنة ١٩٤٠ إلى القدس مرة أخرى.

وفي هذه المرة تقلد بن زئيف عديداً من المناصب لخدمة الكيان الصهيوني بدءاً من استدعاء اللجنة الصهيونية ليتسلم منصب رئيس قسم المعارف لتعليم العربية في المدارس اليهودية، وفي عام ١٩٤١ عين بن زئيف أول موجه للغة العربية، وفي عهده – في الأربعينات – ازداد عدد المدارس اليهودية التي تعلم العربية إلى الضعف، وبالتحديد من عام ١٩٤١ إلى ١٩٤٦م.

وفي عام ١٩٥١م كانت نسبة عالية من المهاجرين العراقيين الشباب الذين تعلموا العربية في الثانويات، كونوا رصيداً مهما في أجهزة الأمن والجيش الإسرائيليين[١].

وقد عاد من سفره بعيداً عن بيت المقدس ليعود إليها وليغير اسمه مرة ثالثة من ولفنسون إلى (أبي ذئيب) في مصر، إلى (يتسرائيل بن زئيف) في القدس منذ عودته ١٩٤٠.

---

[١] العربية بين اليهود والعبرية بين العرب... ترجمة وتقديم د. أحمد أبو الخير، انظر ص٤٠.

لقد تقلب في المناصب وتقلد عديداً منها، سواء في الجامعة العبرية، أو عميد جمعية (هداسا) في تل أبيب في سبعينات القرن الماضي، أو غيرها أو غيرها، ولكنه في الأول والآخر كان ركناً مهماً في الاستعراب اليهودي، وأسهم في خدمة الدولة الصهيونية، وأسهم في إعداد كوادر مهمة في الاستعراب الإسرائيلي، هذا الاستعراب الذي كان ركناً ركيناً في الأمن وفي الجيش.

حتى كان عام ١٩٨٠ حيث توفى، وهنالك نعته الحكومة الإسرائيلية وأقيم له مأتم رسمي حاشد إقراراً بفضله وإسهاماته في الدراسات العربية والعبرية وجهوده في حقل التربية التعليم، وتعليم لغتنا العربية وخدمتها بين اليهود.

والآن الآن حان الانتقال إلى الشخصية الثانية هنا، أو الشخصية اليهودية الثانية هنا، وهي كعب الأحبار، أو كعب بن مانع.

كعب بن المائع

أو كعب الأحبار – كما يدور اسمه في المصادر والمراجع – وإن كنا نميل تسميته بابن الماتع هذا.

وقدمنا الكلام عن ابن جلدته (بن زئيف) لما بينهما من شبه، ولأن هذا المستعرب الإسرائيلي قدم دراسة مهمة حول (كعب) كما تحدث عنه في كتابه تاريخ اليهود في بلاد العرب فأما التشابه بين الشخصيتين، فهو:

-كلاهما من جلدة واحدة، كلاهما يهوديان، وإن كان الأول (كعب) قد ادعى الإسلام، في حين بقى (ولفنسون) على يهوديته في السر وفي العلن.

-كلاهما جاء إلى قلب عالم العرب، هذا في القاهرة، قلب العروبة، وذياك إلى المدينة المظهرة حاضرة الدولة الإسلامية الوليدة.

- كلاهما كان مخلصاً ليهوديته، وأدى ما طلب منه من أهداف بني قومه، فبقيا يهوديين من المهدين إلى اللحدين.

كلاهما ترك المكان فور أداء مهمته، هذا ترك المدينة بعد مقتل عمر إلى الشام، وذلك الآخر ترك القاهرة إلى القدس الشريف، وبقيا حتى ماتا.

ولذا قدمنا ملحقنا هذا بادئين فيه بأبي ذؤيب ثم ثنينا بابن الماتع، ونحن سائلوه، الآن عن نسبه ودينه ومولده ومن أين جاء، فيقول: كعب بن ماتع، يهودي من اليمن، أدرك عهد المصطفى – صل الله عليه – لكنه لم يره[1]، ماتع ليس من الأعلام العربية المألوفة، لم يستعمل في غير هذا الموضع!! فتأمل، ويعتقد إسرائيل ولفنسون (أن كلمة (لقب) أحبار أضيف له بعد أن أعلن إسلامه) أي العالم الكبير، ليس حبراً واحداً، بل أحبار، كما نقول الدكاترة فلان، ومثل زيد الخيل إشارة إلى الشجاعة وبسالته، وعروة الصعاليك[2].

لكن هل من مزيد عن نسب كعب وأصله وفصله؟ نعم: كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، كنيته أبو اسحاق، كان من كبار علماء اليهود في اليمن هكذا قيل، وهكذا أعد الرجل إعداداً للمهمة أو للمهمات التي سيكلف بها.

ولكن ماذا عن إعلان إسلامه؟ أعلن إسلامه في خلافة عمر عام ١٧ نفس العام الذي جاء فيه الهرمزان إلى المدينة.

من كتابنا عن المغيرة بن شعبة نقتبس:

جاء الهرمزان إلى المدينة في عام ١٧هـ، لكن عمر لم يسمح له بالإقامة في المدينة، لا هو ولا جفينة ولا غيرهما، عمر أخذ بنصيحة مشيره على ابن أبي

---

[1] أسد الغابة... لابن الأثير ٣٤٢/٤.

[2] راجع تاج العروس، مادة (ح ب ر).

طالب في أن يفرق بينهم، الهرمزان ومن معه، وبين غير المسلمين في المدينة، يبدو ساعتها أنهم كانوا الهرمزان والأسرى الاثنا عشر الذين كانوا معه، إضافة إلى جفينة الذي بدأ اسمه يظهر مع الهرمزان.

عمر طرد كل هؤلاء أجمعين، وعلى رأسهم جفينة والهرمزان ودعا عليهم أن يكسر الله بهم، أن يغرقوا في البحر، ولا يعودوا إلى المدينة، لكنهم عادوا مرة أخرى وأعلنوا إسلامهم، ولذا قبلهم عمر، وسمى الهرمزان باسم عربي هو (عرفطة).

إذن أقام الرجلان – الهرمزان وجفينة ومن معهما– في المدينة بعد أن أعلنوا الإسلام، فهل راجعوا موقفهم عندما ركبوا البحر – على الأقل الهرمزان وجفينة– أزمعا أمراً، أو رتبا له شيئاً، أم بقيا حتى جاء أبو لؤلؤة، فكان ما كان؟؟.

الحقيقة أن انتحار أبي لؤلؤة ومقتل جفينة والهرمزان على يد عبيد الله بن عمر قد أحرق كل الخيوط التي كان يمكن أن تزيل الغموض عن هذي الجريمة الشنعاء.

ومن عجب أن أحداً لم يشر بالتحقيق في مقتل عمر، بل كان التفكير في لجنة سداسية لاختيار خليفة منهم، ثم النظر في مقتل الهرمزان وجفينة، دون التفكير في دور هذين في الجريمة... إلخ[١]؟.

نعود إلى إعلان إسلام ابن مانع، لنقول: أسلم في شيخوخته بعد أعد لهذي المهمة أو المهمات – في تصوري– انظر معي عزيزي القارئ واقرأ ما يلي بشكل مركز:

---

[١] انظر ص١٢٠.

اتصل كعب فور مجيئه إلى المدينة بعمر، فقد نزل على رجل اسمه (مالك) كان جاراً لعمر، سأله كعب قائلاً له: (كيف الدخول على أمير المؤمنين؟) قال مالك: ليس عليه باب ولا حجاب، يصلي، ثم يقعد فيكلمه من شاء.

وهنا اختار كعب أقرب بيت من بيت عمر، اختلط به حتى أصبح عمر يستشيره فيشير عليه بما يحب ابن مانع ويميل ويقول.

ونترك علاقة ابن مانع بعمر قليلاً، نؤخرها لوقتها وموضعها من الدراسة لنتحدث عن موقف معاصري كعب لنراهم اختلف موقفهم من هذا القادم إلى المدينة، ما بين متشدد معه مدين لما يشيع ويتقول، وما بين معجب مفيد منه، يقدمه ويقدره، بل وصل إلى أن جعله له مشيراً وناصحاً وموجهاً:

أولاً- المعجبون به الملتفون حوله، الواثقون في علمه وبركاته، وعلى رأسهم:

١- عبد الله ابن الزبير بن العوام: قائد معركة الجمل المشئومة مع مروان بن الحكم، والذي أقنع أباه الزبير بخوض الحرب ضد الإمام على في البصرة، فكان الإمام علي يقول: (مازال الزبير منا – آل البيت- حتى نشأ له عبد الله)[1].

وكان من ثقة عبد الله بن الزبير في كعب أنه لما أتى لابن الزبير برأس المختار بن أبي عبيد قائد جيش التوابين الذي قتل كل من اشترك في مقتل الحسين ومن معه في كربلاء عام ٦١هـ، البطل ابن البطل، الشهيد ابن الشهيد... عندما أتى لعبد الله برأس المختار الذي استشهد على يد جيش الزبيرين في الكوفة إذا به يقول:

---

(١) أسد الغابة... ١٨٥/٣.

ما وقع بسلطاني شيء إلا أخبرني به كعب!! إلا أنه ذكر لي أنه يقتلني رجل من ثقيف، وهذا رأسه بين يدي، وما درى أن الحجاج قد خبئ له، بل إن عبد الله ابن الزبير أمر قبل استشهاد المختار – بقتل زوجته عمرة بنت النعمان بن بشير، وترك ضرتها بنت سمرة بن جندب صاحب قصة النخلة التي نرويها في الهامش[١].

ومن الإنجازات في دولة الزبيرين:

١- أحاديث كثيرة انتحلت في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وبالتحديد بين عامي ٦٤هـ و ٧٣هـ، أي في الفترة التي كان فيها عبد الله ابن الزبير خليفة في الحجاز إلى أن قتله الحجاج عامل عبد الملك بن مروان...هذي الأحاديث التي اخترعت كانت في فضل بيت المقدس،

---

[١] الرسول – صل الله عليه وآله- كان يجلس وسط أصحابه عندما دخل شاب يتيم يقول شاكياً: (يا رسول الله: كنت أقوم بعمل سور حول بستاني فقطع طريق السور نخلة لجاري، طلبت منه أن يتركها لي لكي يستقيم السور فرفض، طلبت منه أن يبيعني إياها فرفض).

طلب الرسول إحضار الجار – سمرة بن جندب- فصدق على كلام جاره، ولم يكذبه، عرض عليه الرسول أن يترك لليتيم النخلة فأبى، أن يبيعها إياه فأبى، فعرض الرسول على سمرة: (بع له النخلة ولك نخلة في الجنة يسير الراكب مائة عام...) لكن الرجل رفض هذا العرض السخي من سيد الخلق الذي قال للشاب: (أنت مضار، اذهب فاقلع نخله) أي نخلته.

هذا فقط ما فعله عبد الله بن الزبير؟ كلا، كلا، بل إنه أمر بدق يدي المختار بطل التوابين بالمسامير حتى أنزلها الحجاج بن يوسف الثقفي، بعد أن قتل ابن الزبير عام ٧٣هـ، أي أن هاتين اليدين المباركتين بقيتا معلقتين بالمسامير من عام ٦٧هـ، مقتل المختار إلى عام ٧٣هـ عندما قتل ابن الزبير وصلب.

أما مصعب ابن الزبير قاتل المختار ومن معه فقد قتل هو الآخر عام ٧١هـ، قبل موت أخيه بعامين، ثم حملت رأس مصعب القاتل إلى عبد الملك بن مروان في دمشق، كما حملت رأس المختار إلى عبد الله بن الزبير.

تيك الأحاديث نسبت إلى كعب بن ماتع. ولم يكتف مصعب بقتل المختار ومن معه الذين قاوموا جيش الزبيرين، بل إن التوابين الذين استسلموا بعد مقتل قائدهم قد ذبحوا جميعاً وفي يوم واحد، وكانوا فقط سبعة آلاف مقاتل، وهو ما حذرهم منه قائدهم قبل استشهاده على يد جيش الخلافة الزبيرية.

٢- معاوية بن أبي سفيان: من عجب عجيب قرأته في العلاقة بين معاوية وكعب ابن مانع، أن الأول قضى فترة من حياته في اليمن، وأن الرجلين ربما التقيا في يمن العرب قبل فتح مكة عام ٨هـ، هذا باب خطير وكلام كبير يحتاج لمناقشة في مكانه.

نعم كان ابن ماتع من المقربين إلى معاوية منذ كان الأخير والياً على الشام، ومن ثم يتهمه الشيعة بوضع كثير من الأحاديث ويجرحونه، كما يشكك آخرون في صحة إسلامه ويتهمونه بالتآمر على الإسلام.

وبرغم هذا روى عنه معاوية وابن الزبير و(أبو هريرة) بل قال عنه معاوية: (كعب الأحبار أحد العلماء، وإن كان عنده علم كالبحار، وأنا كنا فيه لمفرطين... إنه كان أصدق هؤلاء المحدثين من أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عنه الكذب) أي فيما يتنبأ به.

رحل ابن ماتع إلى الشام مرتين في حياة عمر، وقبل أن يرحل كعب إلى الشام نهائياً بعد موت ابن الخطاب، ومن ناحية أخرى فقد كان أبو الدرداء – الصحابي المشهور– وقاضي معاوية في الشام يقول: (إن عند ابن الحميرية لعلماً كثيراً).

وكان ابن ماتع يبادل معاوية إعجاباً بإعجاب، إذ قال كعب وهو يسير خلف عثمان: (الأمير بعده – والله- صاحب البغلة) وأشار إلى معاوية، ولما سمع معاوية بهذي البشارة التي تخصه سأل كعباً عن هذي الجُمَيْلة – الجملة- فقال: (نعم، أنت الأمير بعده، لكنها –والله- لا تصل إليك حتى تكذب بحديثي هذا).

يعقب معاوية: (فوقعت في نفسي) أخذها على محمل الجد.

سرد القصص والحكايات خصوصاً في المساجد ما كان على عهد رسول الله – صل الله عليه وآله – ولا في عهد أبي بكر ولا عمر حتى ظهرت الفتنة، فلما ظهرت الفتنة ظهر القُصاص... وعندما جاء عهد معاوية: (كان كعب يقص في إمارته) أي في خلافته، مع أنه رُوي عن رسول الله – صل الله عليه وآله: (لا يقص في مسجدنا إلا أمير أو مأمور، أو محتال).

أرسل معاوية إلى كعب بن ماتع، فلما حضر، قال: يا أبا إسحاق، لأمر رجوت أن يكون علمه عندك؟ فقال: يا أمير المؤمنين: على الخبير سقطت، سل عما بدالك، فقال معاوية: يا أبا إسحاق: هل بلغك أن في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة، وعمدها من زبرجد وياقوت، فقال كعب: تلك المدينة هي حق، على ما وصفت، وأما الذي بناها فشداد بن عاد، وأما المدينة فهي إرم ذات العماد، فقال معاوية: يا أبا إسحاق: لقد فضلك الله على غيرك من العلماء، ولقد أعطيت من علم الأولين والآخرين ما لم يعطه أحد منا) فقال: والذي نفسي بيده، ما خلق الله شيئاً إلا فسره في التوراة لعبده موسى تفسيراً، وإن هذا القرآن أشد وعيداً، وكفى بالله شهيداً.

وهكذا رأينا علاقة دافئة جمعت الرجلين معاوية وابن مانع، استدعاه وقربه، واتخذ منه مستشاراً في كثير من شئونه التي ما بخل بها كعب على صاحبه،

وكان من بركات ابن مانع اختراع أحاديث في أهل الشام ومناقبهم، منها (أهل الشام سيف من سيوف الله، ينتقم الله بهم من العصاة) ولعله قصد بالعصاة العراقيين من أنصار الإمام علي.

إذن بعض معاصري كعب رووا عنه وصدقوه وتصوروا أنه يعلم الغيب، بل ومنه أفادوا وجعلوا منه لهم مشيراً وناصحاً – كما سبق– ومنهم من روي عنه فقط، مثل أبي هريرة وأبي موسى الأشعري الذي سأله كعب:

– قال كعب: أهل الجنة اثنا عشر صفاً، أمة محمد ثمانية صفوف، وما بين كل صفين كما بين المشرق والمغرب!!

– أفتدري: ما بين كل صفين؟

– لا.

هذا الحوار – يا سادة يا كرام– جاء في كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (١٤/٦).

ونقبل شهادة واحد من بني جلدته (إسرائيل ولفنسون) شهادة شاهد من أهل كعب، هذي الشهادة تقول:

بحثنا – أي ولفنسون– في المصادر اليهودية ومراجعها علنا نجد أصل هذه الرواية فلم نعثر لها على أثر، فيظهر أنها من القصص التي لا أصل لها، والتي اخترعها كعب.

والشيء بالشيء يذكر، فلا يعاب من أحد ولا ينكر، فقد سأل كعب أحد معاصريه: أتدري مم كانت نعلا موسى؟ كانتا من جلد حمار ميت!!.

إنه لا يكفي أن ندين مثل هذي الإسرائيليات وأن نندد بها، بل يجب أن تُحذف وأن تطرد من أدبياتنا ومصادر تراثنا.

ومن ناحية أخرى فإن بعض معاصري كعب قد اعترضوا عليه بشدة وأدانوه بعنف ومنهم حبر الأمة الهاشمي عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما– ولكن (الكعب) كان يواجه مثل هذي العواصف بالمناورة والمداورة والمداراة، كما في هذي الرواية:

بلغ حبر الأمة أن ابن ماتع يزعم أنه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في جهنم، فغضب ابن عباس غضباً شديداً قائلاً: كذب كعب، بل هذي يهودية يريد إدخالها في الإسلام، قتل الله هذا الحبر، وقبح حبريته، ما أجرأه على الله ، وأعظم قريته على هذين المطيعين لله ، الشمس والقمر.

ولما عرف كعب غضب ابن عباس حاول استمالته والتظاهر بالتراجع والتوبة عما قال مستنصحاً ابن عباس فيما ينبغي أن يقول في هذا الشأن، بل حدث نفس الغضب من عمر برغم أن كعباً تسلل إلى الرجل حتى استشاره في خطير الأمور، وصل الأمر في غضب عمر أن ضربه بالدرة بسبب سوء فهم كعب لبعض الآيات القرآنية، أو قل تعمد هذا الفهم لتسريبه إلى الفكر الإسلامي.

وآخر ما نتحدث فيه من علاقات ابن ماتع بمعاصريه هو علاقته بعمر الخطاب، لقد حط كعب وربما قبل لقد، أي لقد حط كعب رحاله في المدينة وربما قبل أن يحط الرحال في (طيبة) بدأ بالسؤال عن بيت عمر ليكون في أقرب نقطة، أي من عمر قبل بيته، وقد كان له ما تمنى، وماله رسم وخطط قبلاً، قبل أن يصل إلى المدينة.

لقد توطدت علاقاته بالخليفة حتى أصبح يستشيره في كثير من القضايا، وقبل هذا كان في حرية تامة لممارسة نشاطاته بشكل علني، لقد كان بعد أن أعلن

إسلامه يحمل أسفار التوراة، ويتلو ما ورد فيها، في التلمود نفسه أمام الجموع الحافلة في المساجد وفي مسجد الخليفة (عمر) نفسه.

كذا لم يك مقيد الحركة داخل المدينة فقط، بل رحل كعب مرتين إلى الشام، كما ذهب إلى مكة لأداء فريضة الحج.

وقد وصل الأمر إلى أخذ عمر بمشورة ابن ماتع؟ كيف؟ لما أراد عمر أن يزور البلاد التي فتحها المسلمون في العراق والشام جمع الناس فاستشارهم: هل يبدأ بالعراق والشام؟ فأشار كعب بالشام – ربما خدمة لصديقه معاوية – وبالفعل أخذ عمر برأي ابن ماتع، بل كان من الذين خرجوا مع الخليفة إلى أمصار الشام، وكانت هذي الرحلة العمرية بعد طاعون عمواس بالقرب من بيت المقدس عام ١٨هـ.

هكذا تمكن ابن ماتع الذي أعلن إسلامه عام ١٧هـ فقط، وعلاقته بالخليفة عام أو أكثر أو أقل، ولكنه فاز بمشورةِ عمر الذي مال إلى مشورته، ورغب عن مشورة عليّ الذي نصح بالبدء بالعراق أو (الكوفة) ولكن الخليفة أخذ برأي كعب وعلاقته به ما تجاوزت (أشهراً).

جاءت أم كلثوم زوج عمر تبكي إلى زوجها الذي سألها ما يبكيك؟ يا أمير المؤمنين: هذا اليهودي – كعب – يقول: إنك على باب من أبواب جهنم!! وجيء بكعب على الفور الذي قال: يا أمير المؤمنين: لا تعجل علي، والذي نفسي بيده لا ينسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة!! فقال عمر: أي شيء هذا؟ مرة في الجنة ومرة في النار؟! ولكن ابن ماتع يحاور ويناور ويسرح قائلاً: يا أمير المؤمنين، إننا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها، فإذا

مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة، تصور عزيزي القارئ هذا الكلام جاء في طبقات ابن سعد!!.

يحكي هذا الكعب: كان في بني إسرائيل ملك إذا ذكرناه ذكرنا عمر، وإذا ذكرنا عمر ذكرناه، وكان إلى جنبه نبي يوحى إليه، فأوحى الله إليه أن اعهد عهدك، واكتب وصيتك فإنك ميت إلى ثلاثة أيام، فلما كان في اليوم الثالث وقع بين السرير وبين الحائط، ثم جأر إلى ربه قائلاً: اللهم إن كنت تعلم أني أعدل في الحكم، وإذا اختلفت الأمور اتبعت هواك وكنت مطيعاً، فزدني في عمري حتى يكبر طفلي، وتربو أمتي فأوحى الله إلى النبي أنه صدق وقد زدت في عمره خمس عشرة سنة، ففي ذلك يكبر طفله وتربو أمته. ولما طعن عمر قال ابن الماتع: لئن سأل عمر ربه ليبقينه والله، ولكن عمر عرف أن هذا (فشر وسرح وكذب) فتمنى أن يقبضه الله.

ومرة أخرى نعيد الحكاية الحكاية: جاء كعب إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام، فقال عمر: وما يدريك؟ أجده في كتاب الله-عز وجل- التوراة!!

ويعجب عمر: آلله، إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال كعب: اللهم لا، ولكني أجد صفاتك وخلتك، وأنه قد فنى أجلك... فلما كان من الغد جاءه كعب فقال يا أمير المؤمنين: ذهب يوم وبقي يومان، ثم جاءه من غد فقال: ذهب يومان، وبقي يوم وليلة، لك إلى صبيحتها.

فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة - وكان يوكل بالصفوف رجالاً- فإذا استوت جاء هو فكبر - أي تكبيرة الإحرام- ودخل أبو لؤلؤة في الناس وفي يده خنجر له رأسان جعله في وسطه، فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت

سرته وهي التي قتلته، فلما وجد عمر حر السلاح سقط، ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يصلي بالناس، ليس غيره، أو ليس علي بن أبي طالب.

وكان آخر من عاصرهم كعب من الخلفاء عثمان بن عفان الذي تودد إليه منحازاً إليه تماماً ضد كبار الصحابة مثل أبي ذر، كما حاول بعث التخاصم بين بني أمية وبني هاشم حرصاً على تأليب العرب ضد العرب، وتأجيج الحروب بينهم، ومن نافلة القول معاده ومكروره أن ابن ماتع كان منحازاً إلى معاوية الذي جعله من جلسائه ومن كبار مستشارين.

وبعد هذا كله هل يرى القارئ الكريم أن ابن ماتع كان على علم كامل واطلاع بمقتل عمر، أم كان بريئاً غاية البراءة، ترقى إلى براءة الذئب من دم ابن يعقوب؟!.

ولكي تكتمل الصورة سوف نشير إلى رأي إسرائيل ولفنسون في كعب بن مانع، ثم رأى الباحثين الذين يتهمون الأخير في دم ابن الخطاب.

أولاً– رأي ولفنسون: في كعب ابن جلدته، هذي الصورة التي نحددها فيما يلي:

- كان كعب يهودياً من المهد إلى اللحد، وكأنه بعد إسلامه لم يترك دين أجداده.
- الملامح اليهودية واضحة في كعب، لم يسطع الإسلام أن يمحوها أو أن يخفف منها.
- لم يك كعب قصاصاً في الجوامع على عادة أحبار اليهود وحسب بل هو مفسر للقرآن على طريقة تأويل أحبار اليهود للتوراة.
- الطريقة التي اتبعها كعب حين ناقش الناس في آيات القرآن هي نفس الطريقة التي اتبعها أحبار التلمود في كثير من الأحوال.

- كعب شيخ الإسرائيليات، لقد أدخل في التفاسير القرآنية روايات يهودية عن الأنبياء.
- كعب في إسلامه كأنه واحد من حكماء التلمود وأحباره، إنه لم يخف يهوديته، ولم يحمل عليه أحد بسبب ذلك.
- لقد كان في إسلامه يحمل أسفار التوراة، ويتلو ما ورد فيها، وفي التلمود أمام الجموع الحافلة في المساجد، وفي مجلس الخليفة نفسه.
- لهذا يعد شيخ علماء عصره الذين وجهوا العلوم الدينية الإسلامية إلى الوجهة المعروفة بالإسرائيليات.

وفي قراءته للقرآن وتفسيره له كان يقارن بين القرآن وبين التوراة، فيفهم القرآن على ضوء التوراة، بل يجد في الاثنين أوجه شبه عديدة.

- ولم يوجه كعب إلى التوراة التهمة الإسلامية التقليدية بالتحريف، كما فعل عبد الله بن سلام ومحمد بن كعب القرظي اللذان أقرا بأن اليهود حرفوا بعض آيات التوراة لأغراض معينة.
- كعب كان يختلف عن هذين – القرظي وابن سلام- في أنه تشبع بالعقلية اليهودية حتى برزت فيه اليهودية بروزاً لم ير مثله في مسلمة اليهودية.
- لقد كان بعد إسلامه كأنه لم يترك دين أجداده، لأنه كان ينظر إلى الإسلام بالعين اليهودية.
- ويحل ما يعرض له من المشكلات الدينية الإسلامية بعد أن يغوص في الأدبيات اليهودية.
- أي أنه كان يهودياً ومسلماً في آن واحد.

ـ ويقارن إسرائيل ولفنسون بين كعب وبين من أسلم من اليهود، فيقول: (يعد كعب – في نظرنا- أعظم من اعتنق الإسلام شأناً- من اليهود في القرن الأول الهجري وأقواهم أثراً في المحيط الجديد الذي اختاره لنفسه، فقد كان عبد الله بن سلام ساذجاً وديعاً، يؤثر الهدوء والسكينة، ولا يطمح أن يكون له أثر في الشئون الخطيرة والأمور العظيمة التي تقع حوله...).

كليمة هنا أخيرة هي أن ابن ماتع وقف أمام منتقدي عثمان من كبار الصحابة مثل أبي ذر وسعد بن أبي وقاص وعلي بن أبي طالب، هذا الموقف يختلف عن موقف عبد الله بن سلام الذي وقف أمام من حاولوا قتل عثمان بن عفان مخاطراً بحياته، إذ قام على باب عثمان ينهى الناس ويذبهم عن الخليفة وعن قتله قائلاً: (يا قوم، لا تسلوا سيف الله عليكم، – فو الله – إن سللتموه لا تغمدوه، ويلكم!! إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرة، فإذا قتلتموه لا يقوم إلا بالسيف، ويلكم!! إن مدينتكم محفوفة بملائكة الله – فو الله – لئن تركتموها لتتركنها الملائكة).

وذهبت هذي الكليمات المخلصات أدراج الرياح، بعد تفاقم الثورة ضد عثمان الذي لم يترك للحل سبيلاً حتى انتهت بمقتله في بيته.

صفيه بنت حيي بن أخطب – أم المؤمنين- كان لها موقف نبيل من حصار عثمان، لقد وضعت خشباً – كقنطرة – بين منزلها ومنزل عثمان تنقل إليه الماء والطعام، مواقف نبيلة من صفية وابن سلام، بلا شك ولا ريب.

ثانياً – رأي الباحثين في كعب: ممن اتهموه بالاشتراك في اغتيال عمر، منهم، أو على رأسهم:

١- الشبح رشيد رضا.

٢- محمود أبو رية[١].

٣- نبيه عبد العظيم[٢].

٤- عبد الوهاب النجار.

٥- عبد الله سالم ملطان[٣].

٦- طه حسين[٤].

هؤلاء ستة من الباحثين شهدوا أن ابن ماتع كانت له يد وعلم بمؤامرة مقتل عمر، فما رأي القارئ الكريم؟؟.

ولكن هل بقى في الجعبة شيء؟؟ نعم، نعم، يا أخا بني يعرب:

١- كعب أول من قص القصص في القرآن الكريم، أول من قص القصص في الجوامع وهي من عادات اليهود، فإن الأحبار كانوا يقصون على المجتمعين للتعبد والصلاة قصص أنبياء بني إسرائيل للعظة والاعتبار.

٢- من مروريات كعب أنه سأل أحد الرجال: أتدري مما كانت نعلا موسى؟ كانتا من جلد حمار ميت!!.

٣- كثير كثير من مروياته لا أصل لها، وكثير من القصص اخترعها ابن ماتع، وما كان لها من أي أصل.

٤- وكان من أهم موضوعات القص ما ورد في القرآن عن أنبياء بني إسرائيل، وقد بذل القصاص مجهوداً عظيماً في جمع ما وصل إليهم من

---

(١) أضواء على السنة المحمدية، أو دفاع عن الحديث، قم (إيران) ٢٠٠٤م، ص٥٨.

(٢) أشهر مشاهير الإسلام، طبع بمصر ١٩٠٨، ص٢/٤٧٤.

(٣) التفكير الأسطوري في الإسرائيليات، قضايا وشخصيات، مصراتة (ليبيا) ١٩٩٨، ص١١٦.

(٤) في كتابه الشيخان.

الأخبار اليهود والقسيسين المسيحين، وزادوا عليه ما اخترعته مخيلتهم الخصبة، ثم ألبسوه بمهارة مسحة إسلامية توافق المبادئ الإسلامية، وترضى المجتمع العربي في الوسط الإسلامي.

٥- وإلى هذا النوع من القصص المعروف بأدب قصص الأنبياء يتصل اسم كعب اتصالاً وثيقاً مع أنه - ومن أسف- لم يذكر في المصادر الإسلامية على أنه من القصاص، بل على أنه وبكل الأسف -راوية- مع أنه يعد شيخ القصاصين لأخبار بني إسرائيل عند المسلمين.

٦- ومن قصص كعب: تغلغل إبليس إلى الحوت الذي على ظهره الأرض فوسوس إليه أنه ما على ظهرك من الأمم والدواب والشجر والجبال وغيرها، لو نفضتها أو ألقيتها عن ظهرك لكان ذلك أريح لك، فهم الحوت أن يفعل ذلك فبعث الله إليه دابة فدخلت من منخره فوصلت إلى دماغه!!

٧- ومن مروريات كعب - أو قل من مخترعاته - أهل الشام سيف من سيوف الله ، ينتقم الله بهم من العصاة. أي عصاة لأهل الشام، وأي أعداء لهم؟ هل قصد العراقيين من أنصار الإمام على الذين قاتلوا الشاميين حتى رفعوا المصاحف هرباً من حر السيوف ومرارة الهزيمة، وإلا فمن يا بن ماتع؟!.

٨- يقول الباحث[١] محمود أبو رية: وتدل القرائن كلها على أن مقتل عمر كان بمؤامرة من جمعية (جماعة) سرية، وكان كعب من أعضائها، وعلى رأسها الهرمزان... وعهدوا بتنفيذها إلى أبي لؤلؤة... وهذا أمر لا يمتري فيه إلا الجهلاء.

---

[١] أضواء على السنة المحمدية، القاهرة ١٩٩٤، ص١٢٦.

٩- ويقول الباحث عبد الله سالم[١]: أبو لؤلؤة لم يقدم على ارتكاب الجريمة وحده، بل كانت وراءه دون أدنى شك جمعية سرية تخطط لقتل عمر، ولو كانت محاولة فردية ناتجة عن رد فعل أبي لؤلؤة لما علم بها كعب، ولما جاء إلى عمر فقال له: اعهد فإنك ميت... القصة، وقد روى أن أبا هريرة علم بهذا الائتمار والتدبير وحذر منه عمر، وكذا حذره عينيه بن حصن الفزاري، الأحمق المطاع.

١٠- ورأى طه حسين في كتابه (الشيخان) ما رآه الباحث عبد الله سالم، وأضاف سالم: ولو كان كعب صادقاً في تحذيره لكشف له أسماء المتآمرين عليه.

والخلاصة أن مقتل عمر ما كان محاولة فردية، بل مؤامرة مخططة ومدروسة.

وفاة كعب: وبعد مقتل عمر كان كعب قد أدى مهمته، ولذا التحق بخدمة معاوية ولكن في حمص في الشام مستشاراً مقرباً إليه، فتوفي عام ٣٤هـ، قبل مقتل عثمان بسنة، ودفن بدمشق (٣٤هـ-٦٥٢م) بعد أن عاش مائه عام وأربعة، وطويت حياة ابن ماتع، والتي ما تزال بحاجة إلى مزيد من الدراسات والتمحيصات.

وهكذا بدأنا من نقد الأدب إلى نقد التاريخ ثم غوص في الواقع المعاصر وفي الخاتمة بقى أن نقول

---

[١] السابق، ص١٥٣ وقبلها.

أولاً – لا يكفي أن ندين أو نشجب الإسرائيليات أو ندين بكل ألفاظ الإدانة، بل يجب أن ترفع هاتيك الروايات وتشطب تماماً تماماً من تراثنا وأدبياتنا حتى لا تضلل مزيداً من الأجيال العربية والمسلمة.

ثانياً – إن الحق مهما تقادم عهده، وبانت سنونه وتعددت، هذا الحق، هذا الدم لا يمكن أن يصيبه التقادم أو العطب أو السوس بل يبقى ويجب أن يبقى ماثلاً أمام الأجيال.

وعليه فإن التاريخ مهما تقادم عهده لا يمكن أن يعزفنا عن دراسته وبيان جوانب الخطأ فيه والصواب، لأن الأمة معرضة لأن تؤخذ على غرة وفي كل مرة، وتلدغ من نفس الجحر، وفي كل مرة.

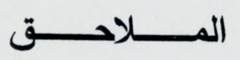
- فما قام به كعب بن ماتع وإسرائيل ولفنسون يمكن أن يتكرر ويتكرر. فإن إلقاء الضوء على مثل هذي الأدوار ودراستها وتمحيص جميع جوانبها هو ضرورة ضرورية لازمة لازبة، ولا يصح أن نخجل من شيء مما سبق.

ثالثاً – إننا يجب أن نعترف بكل الأخطاء التي وقعنا فيها بدءاً من عصيان أوامر الرسول – صل الله عليه وآله- الصريحة الواضحة، بل رمى نبي الأمة بأنه هجر وغلبه الوجع مروراً بكل الأخطاء الواضحة الفادحة التي وقعنا فيها.

رابعاً – ويجب أن نعترف بأننا ما كنا أكفاء أنداداً لأعدائنا، في كثير من المعارك، ومنها المعركة من أجل فلسطين، ولكن القرآن دوماً يطمئننا، أو يهددنا بقوله: (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم)[1] صدق الله العلي العظيم.

---

[1] آخر آية في سورة محمد، آية ٣٨.



الملاحق



فاروق(أ) شوشة

في

كتابه :

العلاج بالشعر

وأوراق أخرى

للدكتور

أحمد مصطفى أبوالخير

رئيس قسم اللغة العربية – جامعة المنصورة

الخبير السابق بالخارجية المصرية

١٤٢٨ هـ

٢٠٠٧ م

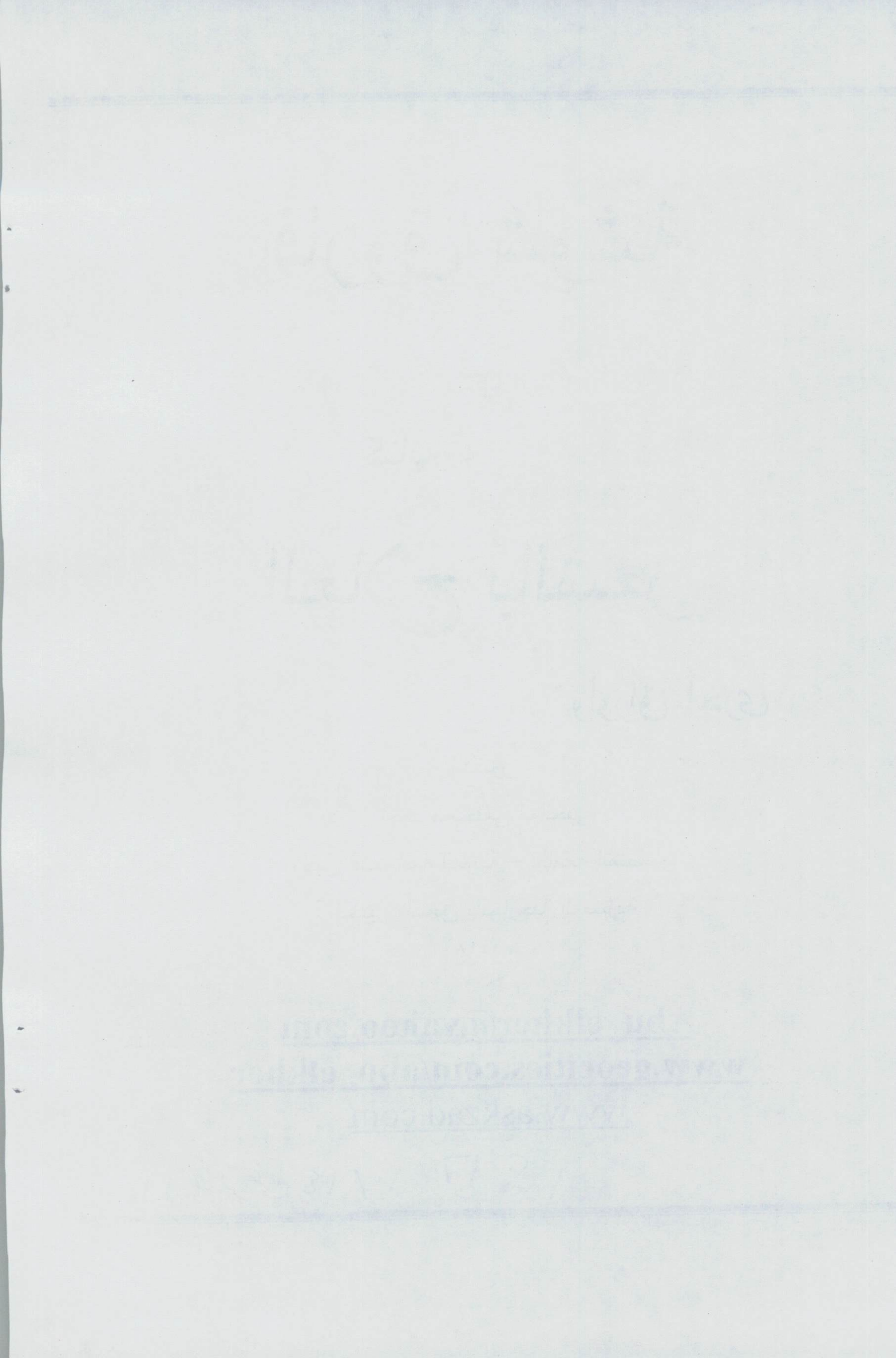
Abu_elkher@yahoo.com

www.geocities.com/abu_elkher

www.askzad.com

(أ) توفي ١٤/١٠/٢٠١٦م

٢٤٦



أشهر ما كنا نعرف به فاروق شوشه هو برنامجه الأشهر لغتنا الجميلة ، بصوته المتميز الرقراق ، وشاعريته الفياضة المعطاءة ، ثم كرُمه مؤتمر إعلام دمياط ، تقليد أرساه العميد الأسبق لكلية التربية (محمد أبو الفتوح شريف) رحمه الله – منذ ١٩٨٥ ، حيث كرم الراحل العظيم د. شوقي ضيف – وفي العام التالي ١٩٨٦ كرم الفيلسوف زكي نجيب محمود ، وفي العام الذي بعده ١٩٨٧ كرمت العالمة الجليلة عائشة عبد الرحمن – بنت الشاطئ- مع الشاعر فارق شوشه ابن قرية الشعراء من أعمال دمياط .

مؤتمر ١٩٨٧ كان حاشداً في تاريخ الكلية ، حضرته وفود عربية وعالمية ومصرية بالطبع ، كان من أبرزهم وفد من جامعة بايرو النيجيرية ، والذى تمثل بأربعة أعضاء على رأسهم سيبويه نيجيريا ، البروفسير علي نائبي الذي كان نائبا لرئيس الجامعة آنذاك ، حيث سعدت بالعمل في هذى الجامعة النيجيرية عامي ٨٣- ١٩٨٤، ومن ثم كانت دعوتي لهم ، كما ضم الوفد أيضا عالم اللغويات النيجيري الدكتور هارون الرشيد ، وأحد الزملاء المصريين والهنود اللذين كانا يعملان ساعتها في قسم اللغة العربية ، جامعة بايرو، شمال نيجيريا .

وأذكر أنه عندما أطل فاروق شوشه بصوته المتميز ، وجمعت الفرصة السانحة بين الصوت الحلو الرخيم وبين الصورة أو بعبارة أخرى ، سنحت الفرصة للحضور بان يروا فارق شوشه عيانا بيانا جهارا نهارا ، وان يسمعوا صوته المتوجه إليهم ، ضجت القاعة بالتصفيق والإعجاب ، فهذي أول مرة يرى فيها هذا الجمهور الحاشد فاروق شوشه يتكلم إليهم بصوته المعهود والى هذا الجمع ، فاضت به القاعة الأضخم في الكلية وفي هذا المؤتمر ١٩٨٧ – عرفنا الكثير عن شاعر الشعراء – مسقط رأسه –وعرفنا شيئا عن حياته ومسيرته الشخصية ،

وطرفا من تاريخ حياته ، بل سعدنا بالاستماع إليه وهو ماثل أمامنا موجها كلامه إلينا ، سعيدا وأيما سعادة لتكريمه في بلده .

ولكن موقفا آخر حدث معه منذ خمس سنوات في كلية دار العلوم التي تخرجنا فيها ، أو تخرج فيها كلانا، كان هذا في مؤتمر علم اللغة ٢٠٠٢ –عندما خرج أحد الحضور بمقولة هزت الناس من أعماقهم واستفزتهم ، ما دعاهم إلى الاعتراض عليه ولكن الشاعر فاروق شوشه كان له رد آخر ، رقيق ، دقيق مفحم آثار إعجاب المؤتمرين وأنا أولهم . ماذا قال الرجل مثيرا حفيظة المستمعين؟ قال :(لقد توقف القران عن أن يكون مرجعا للعرب في كلامهم ؟؟) يا إلهي ،ما هذا التعبير غير اللائق ، لو قال : (توقف العرب عن أن يكون القران مرجعا لهم في كلامهم) ربما لو قال هذا كان أقرب إلى الصواب وأبعد عن الاستفزاز .

نفس هذا الرجل قال مرة في مؤتمر آخر ، مؤتمر اللغة العربية في الجامعات المصرية الذى انعقد في جامعة الإسكندرية ١٩٨١ قال ما أذكره : (يجب أن نفصل دراسة اللغة العربية عن الدين ؟؟) وهنا رد عليه رجل من الجالسين : (أنا كرجل مسيحي أقول لك : لا يمكن فصل دراسة اللغة العربية عن الدين الإسلامى) ووقتها عجب الناس لما قيل وطرح ، ولكن الشاعر فاروق وفى مؤتمر دار العلوم رد على نفس الرجل بأطيب رد وأقيمه وأقواه ، لقد قدم محاضرة مركزة عن دور القران الكريم في شعر فاروق شوشه ، كيف جعل القران الكريم من الطفل فاروق شوشة شاعرا مرموقا متميزا ، فأثبت بما لا يدعو مجالا للشك أن القران لا يزال له نفس التأثير والمرجعية أو على الأقل لم يتوقف تأثيره أو مرجعيته.

وكان عليَّ أن أحيى المنافح المجاحش عن مرجعية القران الكريم ، فقلت له بعد انتهاء الجلسة مادحا مطريا رده المفحم :(ما هذا الكلام الجميل الذي سمعته ؟) فرد بعبارة أجمل : (الجمال ليس في الكلام الذى قيل ، ولكن في الأذن التي سمعت) وأشار إلى أذنى ، لقد رد المجاملة بأجمل منها صحيح أن الملافظ _ الكلام _ سعد، كما يقول المثل المصري ، وصحيح أن النجاح لا يأتى عفوا ومصادفة ، لكن اللباقة واللياقة وحسن اللفظ وجماله خطوة مهمة في طريق الشهرة والنجاح وبعد الصيت .

بعد هذه التقدمة ندخل في موضوعنا ، وهو كتاب طريف لم أرى مثله ، على الأقل في تراث العربية تالده وحاضره ، ومن هنا رغبت أن اكتب تيك _ هذى _ السطور فأقول :

العلاج بالشعر : عنوان طريف ما قرأته قبلا ، وحرصا على البعد عن الخلط عن (الشَعر) وبين (الشُعر) فقد حرص غلاف الكتاب على وضع شدة وكسرة تحتها على الشين ، (الشَعر) وليس (الشُعر) وهو أول ما ينبه له القارئ الكريم .

في السطور الأولى من الكتاب يذكر فاروق شوشه كيف ساقته الأقدار للعلاج بالشُعر، هذا الموضوع الذي يظهر لأول مره في لغة العرب ، يقول :(كانت الصدفة قد لعبت دورا في اكتشافي لكتاب بالانجليزية ، جمع مادته ، واشرف على تبوبيه وعلق عليه د. جاك ليدى ، مدير مركز العلاج الشعري في نيويورك ، المشاركون في تأليف الكتاب أكثر من عشرين عالما من تخصصات مختلفة ، الطب والفلسفة وعلم النفس والنقد الادبى واللغة والاجتماع يدلون جميعا

بخبراتهم النظرية والميدانية حول هذا الموضوع الطريف المثير ، العلاج بالشعر .

ويستمر فاروق شوشه : استغرقتنى مادة الكتاب المفعمة بروح البحث العلمي ومنهجيته وحرارة التناول الادبى والنفسي ، وسرعان ما بدأت أفكر في نقل هذه الخبرة الجديدة بالنفس الإنسانية _ من خلال فن أحبه وأعتز بالانتساب إلى مريديه وأصفيائه ، هو فن الشعر _ إلى قراء العربية ، وهم الذين إليهم أتوجه ومن اجلهم أمارس الإبداع الشعري ، وأعانى مخاضه وتجلياته ، ومن أجله أدور من حول الشعر ، ويغترف فاروق شوشه أنه اكتشف من خلال سطور الكتاب ما في شعرنا العربي قديمه وحديثه من بذور العلاج بالشعر قبل أن تكون قضيه عصريه ، يقام لها مركز للعلاج في الولايات المتحدة وأوربة

يقول شوشه : اكتشفت أن مساحة الوعي بهذا الموضوع تتصل بجوانب شتى من المعرفة الأدبية والنقدية والعلاجية النفسية والطبية من شانئها أن تضىء الطريق أمام الشاعر والناقد والطبيب المعالج ، العلاج بالشعر قضية الكتاب الرئيسة ، وإن كان الشاعر فاروق شوشه قد أتبعها بأوراق أخرى عن الشعر والأدب واللغة ، ولذا سينقسم حديثنا هنا على الموضوعين كليهما ، العلاج بالشعر ، ثم الأوراق الأخرى :

أولا- العلاج بالشعر : استغرق الحيز الأكبر من الكتاب ، إذ هو – كما أسلفنا – قضيته الرئيسة ، ويشير الشاعر الكبير في تقدمة الكتاب إلى تقديره وإعزازه لشعراء عصره على اختلاف فكرهم وإبداعهم ، فما أشد حاجتنا وحاجة حياتنا

الثقافية إلى أن نتحاب ، وأن نرى الأشياء حولنا بعين الحب والتسامح والفهم والتقدير ، وإن اختلفنا أسلوبا وفكرا لن تزدهر حديقة الإبداع إلا عندما تتعدد فيها الأشجار ، وتتكامل فيها الألوان والظلال ، وتفيض مساحتها بالأنغام المختلفة ، وغير المؤتلفة ، والعطور الأليفة والوحشية ، ذلك هو درس الإبداع ، أو قل درسه الأول .

العلاج بالشعر دراسة طريفة حقا وممتعة ، فضلا عن أنها تغوص في خبايا النفس الإنسانية ، وتستشف غموض العقل البشري ، محاولة اكتشاف هذا العالم المجهول بحثا عن كوامن الشجي والشجن والأسى ، وصنوف العذابات التي تعترض مسيرة الإنسان ، وتشكل صورة عالمه القلق الملىء بالمعاناة .

ولكن متى بدأ الوعي بقيمة الشعر كقوة شافية ومعالجة للنفس البشرية ؟ اليونان القدماء هم أول من اكتشف قوة الشعر وقدرته الفعالة في النفس ، وبعد قرون متطاولة جاء فرويد ليلقي الضوء على الجذور النفسية الخبيئة في الماضي وإذن فالشعراء – في مدرسة فرويد _ هم أول من أطلق العنان للكشف عن الحقائق العميقة في خبايا النفس ،من خلال دوامة العواطف والمشاعر .

وقبل فرويد كان أرسطو قد تكلم عن العلاج بالشعر ، التراجيديا – المأساة – لاحظ في بعض قصائدها أن مشاعر الشفقة والخوف يمكن أن تصحح وتهذب ، لقد استعمل أرسطو مصطلح (التطهير) التخلص من شىء مؤلم ومفزع إنه علاج نفسي من خلال مشاعر الشفقة والخوف التي تثيرها المأساة الشعرية وعندئذ تحدث الراحة للنفس وتستريح .

وبعد مرور آلاف السنين على تراث الإغريق يأتي العالمان سميث وتويفورت – منتصف القرن العشرين- يؤكدان أن الأدب يمكن أن يستخدم

كعلاج في حالات المرض العقلى والنفسى ، عن طريق مساعدة المريض للحصول على معرفة أفضل عن نفسه ، وعن ردود فعله ومساعدته أيضا على تحقيق مستوى أفضل من التكيف في حياته .

ومن الإغريق إلى العصر الحديث نستطيع أن نخمن ذلك الرقم الذي لم يذكر عن عدد النفوس والأرواح التي تحققت لها الطمأنينة والسلام والأمان بفضل الشعر.

إن حجم إسهام الشعر في راحة الإنسان وطمأنينته عبر العصور كامن في تاريخ الإنسانية لن يكون بالإمكان معرفة عدد العقول والقلوب التي أحست أنها أقل تقييدا وأكثر إنسانية بفضل قراءتها ومعايشتها لأشعار عظيمة، إن خيال كل جيل يتحدد ويتأثر بحجم شعرائه ، فهوميروس وتشوسر وشكسبير وتنيسون ولونجفلو وويتمان ، تحدثوا إلى معاصريهم بتعبير ذلك الوقت ورموزه ، وفي حين يعزف بوب وإيلن بلغة الشباب على أيامهم ، كان أسلاف هؤلاء الشباب يهتزون على أشعار روبرت فروست وكارل ساندبرج .

وعندما نبدأ في التعامل مع مجال التأثيرات المختلفة في المشاعر فإننا نصبح قريبين من تجديد الأهداف التي يرمي إليها العلاج النفسي ، وعندما نسلم – في مرحلة لاحقة – بأن الكلمات واللغة هي الوسائل التي تتحقق بها هذه الأغراض والنوايا فإننا نكون إذن قد توصلنا إلى أساسين مشتركين يجمعان بين الشعر وبين العلاج النفسي هي :
(المشاعر واللغة [٣]) .

ولكن كيف يتم علاج المريض (نفسيا وعقليا) بالشعر ؟

يجيب العالم روبرت جونز ، وهو احد المشاركين في ذياك الكتاب الانجليزي القيم :

(إن كل اختيار يتضمن خسارة ، فعندما نتخذ قرارا ما فإننا نضحي ببديل) أو بشيء آخر مقابل (إن الأشخاص العاطفيين والمرهفين – والمرضى نفسيا منهم على وجه الخصوص – يجدون أن الجانب المعذب والقاسي في اتخاذ القرارات هو تلك الاختيار البديل ، والتوق إلى مالم يختاره ، والتطلع إلى الغرض) أو الشيء (الذي أصبح مفقودا[4] وضائعا).

ومن أجمل الآثار الشعرية التي تصف لحظة اتخاذ القرار ومعاناة الإنسان من أجل ذلك قصيدة الشاعر روبرت فروست (الطريق الذي لم يسلك) ومنها :

طريقان يتشعبان في الغابة الصفراء .
ويا أسفي لأني لا استطيع السير عبرهما معا.
ولأني مجرد مسافر ، فقد توقفت طويلا.
وتطلعت بأقصى ما استطيع من طاقة الإبصار.
إلى حيث يمتد عبر المدى .

هذه هي القضية التي يطرحها الشاعر أن الإنسان في حياته مضطر إلى واحد من الاختيارين – أو أكثر – مما يتاح للمرء ، وعليه فإن الإنسان الحساس المرهف يركز على ضياع الاختيار الآخر ، إنه يركز على ما فقده ، لا ما اكتسبه وما حصل عليه ، وهذى طبيعة البشر ، إنه يريد الحصول على كل شيء معا ، وفي وقت واحد ، الوظيفة المرموقة ، والدخل الوفير ، والزوجة

الموافقة ، والأبناء والبنات (العزوة) والأسرة المستقرة ، والقصر الكبير المريح والصحة والهناء والسعادة وطول العمر الخ الخ .

هذا يأخا الدنيا لا يكون إلا في الجنان فقط ، أما في دنيا الناس ، فإنك تحصل على شيء، وتحرم من أشياء وفي بعض الأحيان أو في كثير منها تجد نفسك أمام اختيارين ، لا ثالث لهما من بعيد أو قريب .

فعندما يسافر المرء يعمل خارج وطنه يجد المال الوفير ومعها الغربة ومشكلاتها وعذاباتها ، يجمع قدرا لا بأس به من المال ، يعود إلى وطنه، يرى أنه بهذا المال سيعيش ملكا متوجا ، وبعد سنوات يتبخر ما معه من المصاري والفلوس ، متحسرا صباح ومساء على فرصته التي ضيعها في الغربة ، يعذب نفسه ما استطاع بقراره الخاطئ العودة إلى الوطن .

إن إلقاء الشعر الضوء على هذه القضية مما يريح المرء الذي يعذب نفسه بقرار اتخذ في وقت كانت كل المعطيات التي أمامه تشير إلى صواب هذا القرار، وبعد شهور ربما سنوات قليلات يكتشف سريعا أنه كان خاطئا تماما ومن العلوم التي ألقت الضوء على هذي النقطة علم البرمجة اللغوية العصبية° ، حيث يقول لك (قرارك يومها كان صائبا ١٠٠% أما الآن فربما تغيرت المعطيات ، ولكن عليك أن تعرف أنك لا تصيب في جميع الأحوال ، وأيضا لا تخطئ ، فإن أصبت فيها ونعمت ، وإن كانت الأخرى فتعلم من خطئك ، بل واستفد منه ، من هذا الخطأ انتهز مثلا فرصة وجودك في الوطن لتنجز بعض الأعمال أو بعض الصفقات التي لم تك متاحة في الغربة ، انظر إلى مقدار النفع الذي عاد عليك

وعلى وطنك من الرجوع إلى أحضانه ، وحدد بعض المثالب للحياة في الغربة ، وهكذا .

لا تقل : لو كان كذا لكان كذا ، قل : قدر الله وما شاء فعل ، ولا تبك على اللبن المسكوب أو الزجاج المكسور ، فإنه لا أمل البتة في عودة شيء مما كسر أو سكب ، فالعايط (البكاء) في الفايت نقصان في العقل .

نعود بعد هذي الاستطرادة السريعة إلى فاروق شوشه : وفي مركز العلاج تعقد الجلسات الشعرية في جو يشبه غرفة الجلوس ، توزع على الحضور ورقة بها ٣ أو ٤ مقطوعات شعرية يقوم الطبيب المعالج بقراءة القصيدة مرتين بصوت مرتفع واضح وبإلقاء بطيء مركزا على مقاطع من القصيدة ستكون محلا للمناقشة .

اختيار القصائد لهذي المهمة صعب عسير ، ليست قصائد صعبة بحيث لا تفهم ، وإلا اضطر الطبيب المعالج إلى صياغة القصيدة بإسلوبه هو لشرحها وتفسيرها ، سوف يتبدد إذن معظم تأثيرها وفاعليتها .

تقرأ القصيدة جيدا وباهتمام تام موجه إلى إيجاد الجو النفسي الصحي وعندما تنتهي القراءة تعتريك حالة من السكون المتطلع إلى المعرفة، أنت تختبر وتفحص كل مشاعرك وردود فعلك ، ولكنك لا تستطيع القطع بردود فعل الآخرين .

بداية طيبة أن تسأل : كيف وجدتها – أى القصيدة – هل أحببتها، ما هو شعورك تجاهها كيف تجعلك تشعر ؟ مثل تيك – هذى – الأسئلة تعطي الحاضرين فرصة لإزالة الزبد الذي يعلو سطح النفس بتأثير القصيدة ، ويحسن

في بعض الأحيان أن تشق السكون بتبادل النظرات ذات المعنى مع إنسان تتوسم فيه أن القصيدة لها معنى خاص لديه .

الخطوة الأولى في العلاج تبدأ باكتشاف انطباع الحضور عن القصيدة ، أحبوها أم رغبوا عنها ؟ ثم تتسع الفرصة للكشف عن بواطن أعماقهم ، وبعد جلسات متعاقبة ، تبدأ المناقشة ، وتستمر بالدفع الذاتي ، دون الحاجة إلى إلقاء أسئلة .

ولعل الحوار ينصب – في الحال – على المعجم غير المألوف والتعابير الصعبة ، والكلمات الغامضة ، ولكن الهدف لا يسير نحو تمرين القدرات العقلية أو تحسين المعجم اللغوي ، ولسنا معنيين بإعطاء دراسات منهجية عن كيفية فهم الشعر، إن مهمة الطبيب المعالج هنا هي إيقاظ الفكرة العاطفية والشعورية للقصيدة ، وبالطبع فإن لديه فكرة واضحة عن هذي (التيمة[٦]) التي تعالجه عل الأقل بالنسبة له هو.

إن مناقشة القصيدة سوف تمضي في اتجاه لم يتوقعه المعالَج حين اختارها في البداية ، بعض الحضور يمكن أن يستجيب لهذا ؛ لأن التداعيات التي لا معنى لها بدأت تستيقظ لديه ، والآخرون من المرضى يمكن أن ينفد صبرهم محاولين العودة إلى النغمات الأصلية للقصيدة ، نحن مهتمون – كمعالجين – بهموم الحاضرين أكثر من اهتمامنا بالقصيدة ، مهمتنا أن نصل بالقارئ إلى إعادة تركيب القصيدة في ضوء مخزونه الخاص من التجارب والذكريات ، ما الذي تعنيه بالنسبة لك أيها القارئ أو المستمع ، ولماذا هي بالذات تعني شيئا آخر

مختلفا بالنسبة لك ؟ وغيرهما من الأسئلة التي تساعد في تشجيع الاتجاه المطلوب تعزيزه.

نموذج آخر للقصائد التي دارت حولها جلسات العلاج الشعري ، قصيدة الجوع والظمأ :

من بين كل الفواكه التي اقتطفتها .

تظل الخوخة التي تركتها على الغصن

هي أشهاها جميعا

وهكذا في حفل العيد الذي سوف أقيمه .

قبل أن تغرب حياتي .

سوف يكون الجوع أفخر الطعام[٧].

والظمأ أعذب الشراب .

في القصيدة – فيما نرى – تركيز الإنسان على ما تركه وما فات منه الممنوع مرغوب ، ولعل مثل هذي القصيدة تلقي الضوء على مشكلة كثير من الناس ، البكاء على ما لم يدركوا،وما منه حرموا ،ومن ثم يمكن أن يأتى الشفاء من هذى المشاعر السلبية بتحليل المسألة ، كما جاء في القصيدة .

ونكتفي بما سبق من أمثلة للشعر الغربي ليعود بنا الشاعر فاروق شوشه إلى العلاج بشعر بنى يعرب – قديمه والجديد – ونختار مما جاء في الكتاب بعض أمثلة :

١– امرؤ القيس : أول من وقف وبكى واستعبر ، لقد كان صادق الحس والبصيرة في إشارته إلى الشفاء من طريق البكاء ، أو الشفاء بالعبرات ، الوقوف

على الأطلال يستتبع حالة شعورية ووجدانية مصدرها الالتفات إلى الماضى ، خزان الذكريات ومستودع التجارب والخبرات في قوله :

وقوفا بها صحبى علىَ مطيَّهم

يقولون : لا تهلك أسى وتجمل

يستطرد :

وإن شفائى عبرة مهراقة　　　　فهل عند رسم دارسٍ من معوَّل

وضع امرؤ القيس يده على البداية الصحيحة لفهم الظاهرة والتعامل معها ،البكاء يشفى ويريح ،والدموع تخلص الإنسان مما يعانيه ، وتطهر وجدانة مما يمتلئ به ويلاقيه ، والطريف أن المصادر القديمة تشير إلى رواية أخرى ، هى : وإن شفائى عبرة إن سفحتها....

سفحتها أى صببتها .

٢- في شعر العذريين : وعلى وجه الخصوص قيس بن الملوح ،هذا الشعر يفسح مكانا أرحب للتطهير بالبكاء والشعر ولدور الشعر في شفاء النفس وعلاجها ،يقول قيس :

خليلىُ : إن لا تبكيانى ألتمس

خليلا إذا أنزلت دمعي بكى ليا

ثم نصل إلى بيته القاطع الدلالة في معنى العلاج بالشعر ، وكيف أن إنشاد الأشعار دواء وشفاء :

فما أُشرف الأيفاعَ إلا صبابة

ولا أنشد الأشعار إلا تداويا

الأيفاع: الربى والمرتفعات .

٣ – الشاعر إبراهيم ناجى : بحزنه وقلقه وعكوفه –وهو الطبيب – على مواجع القلب الإنسانى وعذاباته ، وعمق معاناته ومكابداته يمزج في قصائده بين لغة الشعر ولغة الدموع ،في همسات شعرية أسيانة مفعمة بالشوق الذائب والحنين الجارف :

كم مرة يا حبيبي والله يغشى البرايا
أهيم وحدى وما في الظلام شاك سوايا
أصيِّر الدمع لحنا وأجعل الشعر نايا

ويختتم فاروق شوشه نماذج الشعر العربى المعالجة بهذا النداء إلى الأطباء العرب ،يقول فيه[٨] : متى نجد أطباءنا – في العلاج النفسى والعقلى – يتخيرون من نماذج شعرنا العربي – قديمه وحديثه – وما يهيئ طريقا إلى العلاج بالكشف عن أغوار النفس الإنسانية وإثارة حوافز التأمل والدهشة والاكتشاف ، والراغبة في البوح والإفضاء والاسترسال ،بما يكشف عن مكونات الداء ، وعن طبيعة العلة وصولا إلى المكاشفة فالتطهر فالخلاص.

وفي شعر شعراء الرومانسية العرب من أمثال إبراهيم ناجي وعلي محمود طه ومحمود حسن إسماعيل والهمشري والشابى وجبران ونعيمة وأبى ماضي والمعلوف . وفى شعر شعراء حركة الشعر الجديد : السياب ونازك الملائكة وصلاح عبد الصبور وخليل حاوي والبياتى ومحمد عفيفي مطر ومحمد إبراهيم أبو سنة وأمل دنقل وغيرهم من القدامى والمحدثين والمعاصرين ، مئات القصائد التي تشكل في مجموعها ديوانا ضخما للعلاج بالشعر.

لقد سبق أطباؤنا إلى استخدام الموسيقى والتصوير فى طرائق العلاج ، وإن أوان استخدام الكلمة الشاعرة لتكون مدخلا جديدا يتضمن إضافة ثرية ، وسبيلا من سبل الخلاص .

والآن ننتقل من العلاج بالشعر إلى الجزء الثانى من هذا الكتاب الشيق الشائق ، لنتحدث عن:

ثانيا – الأوراق الأخرى : وهى ثلاث عشرة ورقة : بالتمام والكمال ، نخص كلا منها بكليمه عجلى :

١- شاعر الهند أمير خسرو : في يناير ١٩٧٦ انعقد في دلهي الجديدة الندوة العالمية للاحتفال بمرور ٧٠٠ سنة على مولد الشاعر الهندي المسلم أمير خسرو الذي ولد ٦٥١ هـ -١٢٥٣م لأب تركي وأم هندية .

أحدث أمير خسرو طفرة ملحوظة في الشعر الفارسي المنظوم في الهند ، ليس من ناحية الكم فقط ، بل من الناحية الفنية أيضا ، كان خسرو شاعر مدح وتصوف وناظم قصص من الطراز الأول ، عبر عن كل هذي الأغراض بلغة لا نبوً فيها ، وتعبير مباشر ينفذ إلى القلب .

وعندما اجتاح المغول إيران ، وحطموا بغداد عاصمة الخلافة ، واستولوا على الشام كانت الحضارة الإسلامية بكل عناصرها ورجالها تزحف غربا إلى الأناضول في تركيا ، وشرقا إلى الهند مكونة ما يشبه المحور حول أرض الحضارة المنكوبة ، هذه الظاهرة من معجزات تيك – تلك- الحضارة على مر الزمن ، فلا تكاد تتعرض لمحنة في أرض ما حتى تحمل عصاها تلقى بنورها وبذورها في أرض أخرى .

ويعطي فاروق شوشة نماذج من نثر خسرو وشعره منها : (على المرء في كل مكان أن يعمل ، وعلى العاطل أن يذوب خجلا وذلة ، الرجل الذي لا يصير كالأسد عند العمل فإن كلب السوق أفضل منه، ومن شعر خسرو الذي ترجمه فاروق شوشة عن الإنجليزية :

أنا والليل .

كلمتان تلخصان قصة حياتي .

وقلبي .. والأحزان .

هذا هو كل ما يمكن أن يقال .

احتراما لسعادتى !

طوال الليل أفكر فيها .

٣,٢-اللقاء الذي لم يتم والحديث الأخير .. معه : هاتان الورقتان حول الشاعر الراحل محمود حسن إسماعيل -ت١٩٧٧م- في بدء الأولى منها يقول فاروق شوشه: لم أكن أتصور أن يحول الموت دون لقائنا في الكويت، حيث غربته الأخيرة في خريف العمر بعيدا عن الأهل والديار ، لأحمل إليه آخر أخبار ديوانه الجديد (موسيقى من السر)

الذي لم يمهله القدر حتى يشهد صدوره .

وفى خضم واحدة من هبات الحر العنيفة في الكويت يصاب الشاعر بانفجار في المخ ، إنها نهاية المأساة القاسية التي عاشها في سنواته الأخيرة والتي كانت كبرياؤه الحادة تمنعه من الخوض فيها ، إلا مع أخص خاصته وما كان أقلهم .

محمود حسن إسماعيل هو إذن شاعر التجارب الكبرى ، شاعر الرؤى الكونية الشاملة ، شاعر ما وراء الجزئي والمنعزل والمنظور .

أما الحديث الأخير الذي أجراه فاروق شوشة مع الشاعر محمود حسين إسماعيل فقد كان في أغسطس ١٩٧٦ حيث جاء الشاعر في إجازته الأخيرة من الكويت إلى القاهرة فقد توفى في العام الذي تلاه مباشرة .

الحديث بالغ الأهمية في فهم شخصية محمود حسن وإلقاء الضوء على ثقافته ومنابعها الثرة الدفاقة الفياضة وهو يحتاج إلى تفصيل لعله يصل إلى ورقة كاملة خاصة به ، نأمل أن ننجزها قريبا .

٤- ملقى السبيل أثر نفيس مجهول للمعرى : وينقب فاروق شوشه ، ليس في سيرة المحدثين ومسيرتهم - كما رأينا - بل ينقب أيضا في تراث المتقدمين من شعراء العربية ، ومن ثم يكتب الشاعرعن رسالة (ملقى السبيل) التي كشف الغبار عنها العلامة التونسى حسن عبدالوهاب ، فحققها وقدم لها ونشرها ، ثم سعدت هذى الرسالة عندما اختارها العلامة السورى محمد كرد على ، الرئيس الأسبق للمجمع العلمى بدمشق ضمن كتابه الجامع (رسائل البلغاء) الذي صدرت إحدى طبعاته بالقاهرة منتصف الأربعينات .

٥ - بدءا من التراث وانطلاقا إلى المعاصرة : إن شاعرنا لا يتحدث الآن عن شاعر أو أديب، إنما يتحدث عن ناقد عملاق في ذكراه ، هو المرحوم الدكتور محمد غنيمى هلال خاصة في الأدب المقارن .

٦ - روح قرطبة : يتحدث عن جمعية للصداقة الإسلامية المسيحية ، وأين ؟ في قلب أسبانيا التي طردت المسلمين منها ، إنها عودة إلى روح قرطبة ،

روح التعايش بين البشر التي سادت الأندلس كلها عندما حكم العرب وعندما انهار حكم العرب تماما ١٤٩٢ م انهار هذا التعايش فورا .

ثم يتحدث الشاعر عن المؤتمر الاسلامى المسيحي الثانى في قرطبة ١٩٧٧[٩] وعن الجزء الغالى ، الفردوس المفقودة ، وماله ولغيره من الشعراء العرب من ذكريات في أندلسنا .

٧ _ وكما تحدث فاروق شوشة عما سلف من شخصيات ، الآن هو يتحدث عن أديب آخر من أدباء مصر والعروبة هو يحيى حقى .

٨ – قدر من التنسيق والتكامل : هو حديث أيضا عن يحيى حقى ، ولكن عن كتابة الطريف (حقيبة في يد مسافر) الذي يتحدث فيه عن فن (التنسيق) خاصة بين الأجهزة والهيئات المختلفة ، سيما في مجال الترجمة واللغة .

٩ _ لغة الاتصال ، هى لغة الحاضر والمستقبل ، يتحدث فيها عن ثلاث مستويات في الفصحى وهى (فصحى التراث – اللغة العلمية العصرية – اللغة الأدبية) .

١٠ – الجاحظ ولغة الاتصال بالجماهير : كتب الجاحظ في شتى الموضوعات وللناس جميعا ، كل الناس ومن ثم جاءت لغته سهلة ، ولكن ممتنعة ، فيها واقعية مباشرة وفكاهة وخلط بالجد بالهزل ، وفيها دعابة وتهكم وجدل وحوار ، تبسط ، إطناب ، إلى آخره ، وكل هذا من خصائص لغة الاتصال بالجماهير .

١١- رفاعة الطهطاوى : ومع عملاق آخر من العمالقة و لغة الاتصال ، فكما اتسعت عبقرية الجاحظ للغة عصره فقد استطاعت عبقرية الطهطاوي أن تتمثل روح الحضارة الغربية الأوروبية ، عندما أتيح له أن يتفاعل معها خلال سنوات بعثته إلى باريس ١٨٢٦-١٨٣١ تلك البعثة التي سجل كل ما يتصل بها في كتاب ممتع طريف ، سماه تخليص الإبريز في تلخيص بارِيز .

ومن أمتع فصول الكتاب الفصل الذي يتحدث فيه رفاعة عن اللغة الفرنسية ، مقارنا إياها بالعربية ، فالأولى - في رأيه - واسعة المجال غنية بالمعاني ، وكثير من الكلمات غير المترادفة ، خالية من تلاعب العبارات والمحسنات البديعية اللفظية والمحسنات المعنوية غالبا ، فالتورية لا تكون من المحسنات الجيدة الاستعمال في الفرنسية إلا نادرا ، فإن كانت فهي من هزليات أدبائهم ، وكذا الجناس التام والناقص فانه لا معنى له عندهم .

هذه الورقة أيضا بحاجة إلى بحث مستقل خاصة في تلك الدراسات المقارنة بين الفرنسية والعربية ، وهو ما نأمل أن نقوم به في المستقبل القريب إن شاء الله .

١٢- معجم عربى للقرن الحادى والعشرين : ويعنى به المعجم الكبير الذي يصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة حيث صدر منه إلى الآن -٢٠٠٧- سبعة أجزاء ، وصلت به إلى حرف الدال ، ونأمل أن ينتهي قريبا إلى الياء .

أشار فاروق شوشة إلى آراء المستشرق الألماني فيشر ، والتي أفاد منها المجمع ، وكانت ركيزة لهذا العمل العظيم ، ولكن لنا - نحن اللغويين - بعض ملاحظات على المعجم منها أن المعجم يضع لغتنا كواحدة مما يسمى

اللغات السامية ، في حين إن لغتنا هي الأصل والأساس لكل هذي اللغات ، ولذا تسمى الآن باللغات العروبية ، ليس السامية ، كما أن المعجم يربط العربية دائما بالعبرية ، بل يبدأ بهذه الأخيرة في حين هى إحدى اللغات التي تفرعت عن العربية ، ليست مناظرة لها ، أو شقيقة[١٠] .

كما جاءت بعض الأخطاء في الأرقام ، ورد في المعجم مساحتها ، أي إيران (٦٤٥.٠٠٠[١١] كيلو متر) و الصح هو ١.٦٤٥.٠٠٠ ، المساحة فوق المليون ونصف ، ليس أقل من المليون كما جاء في المعجم .

١٣ – لسان العرب الخالد : من قديم والعرب يدركون قيمة لغتهم ، يحثون على تعلمها وإتقانها وتجسيدها والتزود بأدبها ، ويرون ذلك جزءا من الخلق القويم ، وسمة للإنسان الكامل .

وفى الخاتمة

رأيي في العلاج بالشعر

وفى الكتاب ولغته :

أولا العلاج بالشعر : ولم لا ؟ إن الشافى الله ، كما قال نبي الله إبراهيم – عليه السلام – في القران الكريم : (وإذا مرضت فهو يشفين[١٢]) أما سبب الشفاء فقد يكون الشعر ، أو الكتاب الكريم ، أو الدعاء ، إلا مرض الموت ، لا دواء ، ولا دعاء ، قال تعالى (وقيل من راق[١٣]) الراقى أى الطبيب الشافى[١٤] ، ولذا عندما يأتى مرض الموت يتوه الحاذق الماهر الخبير من الأطباء ، ومن هذا المنطلق وفى هذا الإطار يأتى العلاج بالشعر .

لكن هذا العلاج واحد من العلاجات ، قد يصلح وربما لا يصلح ، حيث لا يوجد علاج واحد شاف / شافى ، كاف / كافى لكل الأمراض ، كما لا تجود الحياة بحل واحد وحيد لكل المشكلات والمعضلات وهكذا .

ثانيا الكتاب ولغته : سمعت بعض الفضلاء في فضائية عربية يشكو من أن الإبداع في العلم والفكر هو غربى غربى لا مكان للعرب فيه . حتى الأفكار الجديدة المهمة والرئيسية الآن التي تطرح وتأخذ حظها من الذيوع والانتشار هى آتية من الغرب ، واستشهد على هذا بـ (صمويل هانتنجتون – فوكوياما ....) الخ .

إن العرب – الآن وليس قبلا - لديهم من الأفكار والأطروحات ما هو مهم ومفيد ونافع لهم وللبشرية لكن المشكلة أن أفكارنا نحن العرب لا تحظى بالاعلام اللازم ، كما تحظى الأفكار الغربية والكتابات الغربية ، وربما تكون متهافتة، أو متحاملة معوجة ، ثم نساعدها نحن بالترويج لها ، ونرفع أمام مفكرينا ومبدعينا سلاح الإهمال والنسيان ، إن سلموا من الحرب الضارية الضروس ، لو دخلوا حجر ضب لتعقبناهم فيه .

إن الأمم الحية هى التي تحيى أمواتها، أما الأمم الميتة فهى التي تميت أحياءها ، وهكذا نعلى من شان الآخرين ، ونجل كل ما يتصل بهم ، ونتعامل مع أنفسنا بجلد الذات ، والحط من قيمتنا باستمرار .

وتعجب معى أيها القارئ واستغرب ، إن كنت من المستغربين المستعجبين ، كيف نحاول – أحيانا – تشويه بعض الشخصيات العملاقة في تاريخ أمتنا ، حين يحكى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه – ما نصه[١٥]:

(أمران في الجاهلية ، أحدهما يبكينى ، والآخر يضحكنى ، و أما الذي يبكينى فقد ذهبت بابنة لى لوأدها ، فكنت أحفر لها الحفرة ، وتنفض التراب عن لحيتى ، وهى لا تدرى ماذا أريد لها ؟ فإذا تذكرت ذلك بكيت والأخرى كنت أصنع إلها من التمر أضعه عند رأسى يحرسنى ليلا ، فإذا أصبحت معافى أكلته، فإذا تذكرت ذلك ضحكت من نفسى).

أخا العروبة والإسلام : أتصدق ما قيل عن عمر ؟ تفكر مليا ، وتدبر متأنيا ، ثم أخبرنى برأيك .

وفى هذا السياق فإن العلاج بالشعر من الكتب التي نالت أقل من حظها في الشهرة والإعلام برغم أن صاحبها أحد الإعلاميين المرموقين في عالم العرب ، فما بالنا بغيره .

مثال أخر أذكره على تجاهل الناس من بنى يعرب لما يكتبه أبناء العرب ، وربما في خويصة[١٦] من أهم خويصاتهم ، وهى تهمة واد البنات ، التي يدحضها كتاب مهم – ربما لم يحس به من أحد في العالم العربى – هو (الوأد عند العرب بين الوهم والحقيقة[١٧]) للباحث المبدع الدكتور مرزوق بن تنباك ، من جامعة الرياض .

خلاصة الكتاب أن العرب سالمون عاطلون عن هذى التهمة ، بريئون منها براءة الذيب من دم بن يعقوب – عليهما السلام– لم يئد العرب – بعضهم – بناتهم خوف الفقر أو العار ، إن هذا لم يحدث ، وإنما فعلت هذا بعض من حملن سفاحا ، حيث تخلصن من آثار الجريمة يدفنهن أو دفنهم – ذكرانا أو إناثا – في حفرة ، لا يعرف أحد لها أثرا أو رائحة ، تماما كما يفعل بعض الناس الآن عندما يلقون الطفل غير المرغوب فيه أمام دور العبادة ، أو فى أى مكان ، دون أن يراهم إلا الله ، أما العرب فقد ابتعدوا عن هذا ؟ لأن الطفل عندما يعثر عليه سوف يعرف أبوه الحقيقى حتما حتما ، ولن يخفى على العربى العادى فضلا عن القائف[١٨] الخبير .

وعندما لاعنت زوج هلال بن أمية زوجها قال النبى الأكرم ، صلى الله عليه وسلم (إن جاءت به اصيهب[١٩] أريشح ، حمش[٢٠] الساقين فهو لهلال) زوجها (وإن جاءت به أورق _ جعدا ، جُماليا ، خدلَّج الساقين ، سابغ الأليتين ، فهو الذي رميت به ، فجاءت به – أى بمولودها – أورق[٢١] جعدا جماليا ، خدلج[٢٢] الساقين ، سابغ الأليتين ، وعندها قال الرسول : (لولا الأيمان لكان لى ولها شأن) قال عكرمة : (فكان بعد هذا يدعى لأمه ، ولا يدعى لأب[٢٣]).

على أية حال فإنى لا أقول إن العرب الآن في خير وعافية وتقدم كبير ، أو أن دنياهم ربيع وجوهم صحو وبديع ،ولا أقول أيضا إننا وصلنا إلى حالة مستعصية ، لا شفاء ولا علاج لها .

أما عن لغة كتاب العلاج بالشعر فإنها في كل ركن من أركانها تشى بأنها لغة شاعر ، فإن ما يميز لغة الشعر هو الاختصار والاختزال، والتركيز الشديد ،فأول مشكلة واجهتها فيما سطرت عن الكتاب هو صعوبة الاختصار الشديدة ، فلذا كل أجزاء الكتاب قمينة جديرة بدراسة خاصة بها .

ومن الكتاب ولغته نلتفت إلى ملمح مهم في شخصية فاروق شوشة ،إنها شخصية لماحة ، التقطت هذه الفكرة المهمة التي مر الآخرون عليها ، دون أن يحسوا بها ،أو بأهميتها ، كما أظهر الكتاب اطلاع شاعرنا على الفكر الغربى في لغته الانجليزية .

أما لغة الكتاب في ألفاظها وتراكيبها وأساليبها فهى فضلا أنها لغة محكمة ودقيقة ، فهى لغة عصرية ، لا هى بالمبتذلة ، ولا هى غريبة ، مغرقة في الغرابة ، فضلا أن تكون حوشية وعرة برغم أنها تزدان بالفاظ وتعابير تراثية ، تتلئب – تتفق – تماما تماما مع سياقها وموضوعها .

يبدو الشاعر في كتابه شديد الوفاء لأصدقائه ، وهو ما يظهر بوضوح فائق في كتابته عن الشاعر محمود حسن إسماعيل . كما يظَهر في كتابه أيضا ولاء واضح للعروبة والإسلام ، وهو ما يظهر عندما كتب عن الفردوس المفقود تحت عنوان (روح قرطبة) وفى حديثه عن الشاعر الهندى المسلم أمير خسرو .

وفى النهاية نقول : كتاب العلاج بالشعر عمل مهم رائد ، جدير بالدراسة في كل جوانبه ونواحيه ، كما أنه قمين أيضا ، وقمن بشهرة أوسع ، وإعلام عنه ، يتوازى مع أهمية الفكرة وريادتها في لغة بنى يعرب .

خادم اللغة العربية أحمد مصطفى أبوالخير

دمياط الجديدة – مصر

المحتويات

